



الجزء الرابع

احوال المئة سنة الماضية

تأليف

احسان النمر

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

١٣٩٥ هـ _ ١٩٧٥ م

مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية بنابلس

الاهداء

الى المرحومين الرواة المازذكروهم في الجزء الاول لاسيما حيدر بك طوقان والحاج حسن افندي حماد والحاج احمد اغا النمر وعبد اللطيف آغا النمر رحمهم الله تعالى.



صورة المؤلف الاستاذ احسان النمر باللباس البلدي

المقدمة

لما كان اسلوب التاريخ الحديث قسم للحوادث وقسم للاحوال ولذا كان الجزء الاول من هذا التاريخ لحوادث ما بعد الحروب الصليبية الى عهد النظام الحديث والجزء الثاني لاحوال ونظام ذلك العهد فالجزء الثالث لحوادث عهد النظام الحديث اي ما قبل مئة سنة فالجزء الرابع هو لاحوال ذلك العهد مع قسم مختصر من الحوادث في اوله آخرت عن الجزء الثالث لاسباب اقتضتها الظروف وصدرت بها هذا الجزء والله المستعان.

المؤلف

احسان النمر

الباب التاسع

مكايد الانكليز وغفلة العرب

الفصل الاول

نكسات الانكليز وتغاضي العرب

نكستهم بوجه اللجنة الملكية

ولما كانت اللجنة الملكية في طريقها الى فلسطين اعلن وزير المستعمرات البريطاني في البرلمان عدم توقف الهجرة الى فلسطين اثناء عمل اللجنة الملكية وعلى هذا قررت اللجنة العليا مقاطعة اللجنة الملكية الا ان ملوك العرب نصحوا بعدم المقاطعة فعادت اللجنة العليا الى التعاون وتقدمت للشهادة امامها .

نكسة التقسيم

امضت اللجنة الملكية ستة اشهر بين تحقيق وتحضير ثم اصدرت بيانها الذي اوصت فيه بتقسيم فلسطين (مع صغرها) الى قسم عربي وآخر يهودي وثالث انتدابي على ان ينقل (٤٠٠) الف عربي من القسم اليهودي الى القسم العربي لقاء ٢٠ الف يهودي ينقلون من القسم العربي الى القسم اليهودي . فكان هذا البيان وهذه الاوضاع ضربة قاتلة للعرب فجنونهم في كل مكان ، ورفضوه جميعاً، الملوك والامراء واللجان والجمعيات في بلاد العرب قاطبة .

مؤتمر بلودان

تنادت العرب من جميع الاقطار الى مؤتمر بلودان وقد اشتركت فيه وفود من مصر والعراق ولبنان وسورية وشرق الاردن وفلسطين .

وفي اليوم الثامن من ايلول سنة ١٩٣٧ عقد المؤتمر برئاسة السيد ناجي السويدي رئيس الوفد العراقي ونيابة السادة محمد علي باشا المصري والامير شكيب ارسلان والمطران حريكة (لبنان) ، وقد قرروا رفض التقسيم وحملوا بريطانيا المسؤولية اذا اصررت على تنفيذه ، وان المجتمعون في المؤتمر مصرون على الغاء الانتداب ووعد بلفور ويطلبون وقف الهجرة وببوع الاراضي العربية فوراً ، واعلان سيادة الشعب العربي في بلاده . واتخذوا قراراً سرياً بتجديد الثورة اذا اصررت بريطانيا على قرارها . وقد قام الزعيم احمد الشكعة يقنعهم بأن الشعب العربي الفلسطيني لا يتحمل ثورة ولا غيرها فلم يكثرثوا لكلامه .

تجديد الثورة

تشكلت بعد بلودان لجنتان لجنة برئاسة الحاج امين الحسيني لتلقي الاعانات وقد نزل في جونه بلبنان . ولجنة اخرى لايقاد الثورة وادارتها وتزويدها بما تحتاجه وهم السادة نبيه وعادل العظمه وعزة ومحمد علي دروزه وفخري البارودي واكرم زعيتر ووافظ كمال . فكان اول قراراتهم ان لا يدعو فوزي¹ القاوقجي فعهدوا بتجديد الثورة للقواد المحليين الذين مر ذكرهم . وقد شكلوا في الشام ثوار ورؤساء وقد بدأوا زحفهم من الحدود الشمالية يطوقون القرية العربية ويفرضون عليها عدداً معيناً من المسلحين ويضمنونهم اليهم بصرف النظر عن ماضيهم وهويتهم . وبذلك انخرط فيها كثيرون ممن لا خلاق لهم فقاموا باعمال شوهت الثورة وقد اندس آخرون من طرف اعداء الامة يقومون باعمال اخرى وكانوا يلحون بمعاذبة الجواسيس والخونة ففتح الباب الى اغتيال فارتكبت اخطاء وصار صاحب الثار يأخذ بشاره. وقد قام الاعداء باغتيال شخص معروف بوطنيته في كل قضاء لقلب الرأي العام ضد الثورة . وقد حصل ما ارادوا وصار اصحاب الثارات يستعينون بالجيش البريطاني . وقد انقلب الرأي العام ضد الثورة لاسيما انهم لم يصادموا الجيش البريطاني كسنة ١٩٣٦ . وكثر المتجسسون عليهم لمعرفتهم بمكانهم اذ انهم نصبوا محاكم للاهالي عندهم في الجبال و قد لبسوا ملابس خاصة تدل عليهم. وصار² الثوار ينسحبون من التطويق ثم صار الجيش والمنضمون اليه باسم فصائل السلام يظفرون بالثوار فقتلهم ورؤساءهم ولم ينج منهم الا القليل الذين خرجوا الى العراق فاشتركوا بثورة رشيد عالي ولما غلب ذهب رؤساؤهم واللجنتان الى تركيا وبلغاريا والمانيا وسويسره وغيرها



(سماحه المفتي الحاج امين الحسيني)

¹ كان فوزي القاوقجي يسير باعتدال مع الفريقين فعد هذا ذنب لا يغتفر فاداروا مجلسية حزبية متهمين الدفاعيين بالموافقة على التقسيم الامر الذي كان يعتبر خيانة ثم ندموا.

² حتى ان عزة دورزة الذي كان متحمساً لهم لم يذكر اي واقعة لهم مع الانكليز في كتابه حول الحركة العربية . لان الهدف تحول الى تطهير البلاد من حزب الدفاع وغيره ممن اتهموهم بالخيانة والمكيدة .

ومما هو جدير بالذكر ان ثورة سنة ١٩٣٦ لم يقتل من قوادها احد ولم يقتل من ثوارها الا القليل لان الشعب والحزبيين كانوا معهم يساندوهم ويسهرون عليهم وكانت قيادتهم حريصة على ان لا تساعد الفوضى ولكن ثورة سنة ١٩٣٨ تدار من الخارج من لجنة دمشق ولما بلغتهم الفوضى قالوا ان الثورة تحتاج الى فوضى . ورحم الله الشعب الفلسطيني باعلان الحرب العالمية الثانية فانقلب الانكليز يصالحون الحمائل والعائلات مع بعضهم فهدأت البلاد وحصل استقرار باسرع ما يمكن وانبه الى ان هذه الثورة ينبغي ان تتخذ عبرة الى الابد .

الفصل الثاني

خطط الانكليز لاذلال عرب فلسطين

الانتقام اللئيم

بالرغم من وجود بريطانيين كبار يعترفون بخطئهم بمظلومية العرب فان الدعاية المعادية وأنصارها عدت كل عمل يقوم به العرب هو عدوان وقح وكل مطلب عادل هو تصلب وعناد ولهذا فانهم صمموا على الانتقام من العرب بحملهم على الانتحار اولا ثم التנקيل بهم والقضاء عليهم . وقد اتوا بالخبراء واصغوا بكليتهم لشهادات ضد العرب وقد جيشوا جميع ما عندهم من خبث ودهاء واستعملوه ضد عرب فلسطين كما سيتبين . وهذا ما قاله لي سليمان بك طوقان حين كان يقول بعدم اعادة الثورة (ان الذي سفك دم بريطاني وسينتقم الانكليز شر انتقام) فكان هذا القول يفسر من حساده تفسيراً سيئاً .

تواصي تجارت

في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٧ وصل الى فلسطين قادماً من الهند المستر تجارت دوجين البريطاني الخبير بقمع الثورات والاضطرابات وبعد دراسة احوال فلسطين لا سيما العرب اوصى بما يلي :

١ - استخدام بوليس اضافي من ابناء العشائر (الحمائل) المعروفة .

٢ - تقليص الجيش الى مراكز حصينة فلا يتعرض للثوار .

٣ - ايقاف المحاكم والبوليس وعدم التحقيق بالجرائم .

٤ - بناء سور وقلاع على الحدود الشمالية .

٥ - السيطرة على الطرقات العامة والسكك الحديدية .

٦ - الزام جميع السكان بحمل هويات شخصية .

٧ - ان يبطشوا بفريق دون الآخر .

ونرى من هذه التوصية ترك البلاد بدون حكومة وبلا امن معرضة للفوضى والفساد واذ لا يجد الثوار جيشاً يصطدمون به فانهم سيتسلطون على الاهالي وعلى بعضهم . ومع ان هذه الامور عرفت ونبه اليها فانها قوبلت بعدم الاكتراث ولم تتخذ اي حيلة ضدها فنفذت بحذافيرها وأتت باضعاف النتائج المتوخاة منها .

مقتل اندروس واستغلاله

كان من الصعب جداً ان يتخلص عرب فلسطين من هذه المكاييد والاحابيل فانهم قاموا بعمل مفاداة فقتلوا حاكم³ الناصرة البريطاني مستر اندروس. فاعتقل القضاة الشرعيون⁴ في نابلس وطولكرم وجنين وعدد من الشبان الوطنيين واعتقلوا اعضاء اللجنة العليا ونحو الحاج امين الحسيني عن رئاسة المجلس الاسلامي وعينوا مكانه لجنة ثم لم يتعرضوا لحزب الدفاع بشيء أفراداً وجماعات وحملت صحف الانكليز واليهود على المفتي وحزبه واتهموه بالعناد والفساد واثنوا على النشاشيبي وحزبه وعدوهم معتدلين مسالمين . كان هذا العمل يوجب على العقلاء من العرب التريث وفهم ما ينطوي عليه الا ان الامر كان بالعكس فقد تحاملوا على الدفاعيين وهددوهم وتمسكوا بالحزب العربي وقصدوه ونجحت المكيدة الى حد كبير وقد اغروا المخاتير بتقديم شبان للتطوع فتسلط عليهم الثوار فيما بعد وصاروا يغتالونهم . وقد اغتتم الفرصة فمدوا يدهم للاغتيال وقد اغتالوا في كل قضاء شاب⁵ وطني لاثارة الناس على الثوار وقد عدلوا قانون الطوارئ الى اقصى حد فجعلوا من تضبط في حيازته طلقة واحدة مجرماً يستحق الاعدام .

عمليات الجيش

لما تأكد الجيش امتلاء البلاد بالموتورين وتأصل العداء عاد الى اماكنه وصار يقوم بالتطويق والتفتيش فيخرج جميع السكان ويفتش بأذى وعنف وحيث توجد البسة عسكرية او اسلحة ينسف البناء الذي وجدت فيه ومن وجدت معه يحول الى المحكمة⁶ العسكرية فيحكم بالاعدام .

الخصائر

قدر الانكليز قتلى العرب في الثورة الثانية (٨٠٠) شخص وقتلاهم (٢٨) ولم يقدروا على تقدير عدد الجرحى والمشوهين الا اني اقدر القتلى باكثر لان مجزرة⁷ حيفا بلغت حداً لا يطاق قال لي الدكتور فؤاد ابي غزالة وقد انتقل

³ قتله الياس الديك من قباطية وقتل مستر موفد

⁴ وهم الشيخ عبد الحميد السايح والشيخ رامي مسمار والشيخ مصطفى العورى . والسادة عادل التميمي ، صدقي ملحس، مصطفى البشناق ، راشد ابي غزالة ، عادل سماره ، سعيد عنباتوي، امين القاروط ، الشيخ ادب الخالدي ، عبد العفو امين والشيخ مطيع الدرويش احمد والشيخ طاهر الطبري والشيخ تقي الدين البيهتاني .

⁵ من ذلك الدكتور أنور شقيري في قضاء عكا ورافع الفاهوم في اندور من قضاء الناصرة والسيدان احمد ومحمد ارشيد في قضاء جنين وحاولوا اغتيال الدكتور احمد الطاهر في قضاء نابلس الا ان الامر انكشف وتبعه انتقام وفي غزة قتلوا السيد يوسف العلمي وقتلوا رئيس بلدية الخليل ناصر الدين ناصر الدين . وصدقي الدجاني في قضاء القدس .

⁶ فتحت محاكم عسكرية تحكم بالاعدام وغيره ببيانات بسيطة وقد اوقفت باعلان الحرب العالمية الثانية .

⁷ امتلأت حيفا بالعمال القرويين لا سيما من بين الطيريين والعرايين وقد تحركت بينهم النعرات الحزبية فاقتتلوا فكانت القتلى لا تعد الى ان رجع فخري بك عبد الهادي الى البلاد فأشار على العرايين جميعاً بالانسحاب وطهر البلد من ممثلي الاجرام وقد وكل ابن عمه علي عبد الهادي عارف بذلك .

لنابلس بعد نصف وقت المؤامرة : (لقد قتل تحت داري حتى الان (٣٨) عربياً بأيدي عربية) . ومن المحقق انه لم يقتل احد من القواد في ثورة سنة ١٩٣٦ بينما قتل جميع قواد ثورة سنة ١٩٣٨ اما القتلى والجرحي المسلحين والاهليين فمن الصعب احصاؤهم . اما الذين اعدموا شنقاً بحكم المحاكم العسكرية فقد بلغوا ١٤٢ شخصاً وحكم على ٤٦ آخرين بالسجن المؤبد، مع انهم سنة ٣٦ لم يتمكنوا من القبض على اكثر من سبعة اشخاص تفلت ادهم وحكم الباقون سنين ومؤبد ثم عفي عنهم من هذا يفهم مبلغ حب الشعب لثوار سنة ١٩٣٦ ومبلغ نقمته على ثوار سنة ١٩٣٨ ومبلغ التفسخ والانحلال والانتقال الذي اصاب الشعب العربي في فلسطين فان اسرى سنة ١٩٣٦ انما اوقعوا انفسهم بتفريطهم ولم يدل ويشهد عليهم احدا اما اسرى سنة ١٩٣٨ فقد دل وشهد عليهم اصحاب الثارات.

اما الخسائر المالية فبالرغم من عدم وجود اضراب فانها كانت اعظم لا سيما في المدن الكبيرة يافا وحيفا والقدس فقد نهبوا نهباً كبيراً .

الفصل الثالث

انقاذ نابلس من المجزرة

الحملة المدبرة ضد نابلس

نفرت نابلس من الوضع فلم تسمح بسكن احد من المهاجرين الاجانب وحافظت على اراضيها واراض القضاء فلم تفرط بشبر واحد بل بالعكس انقذت اراضي كثيرة في سهلي طولكرم وبيسان كما مر وحملت حملة شعواء على باعة الاراضي والسماسة وكانت تضطرب وتثور كلما حصل اضطراب في البلاد .

هكذا سارت نابلس منذ بدء القضية وكان الكل يلهج بوطنيتها ويأمل منها النجدة والصلابة في المواقف في كل حين الا ان هذا كان جرمًا لا يغتفر بنظر السماسة وباعة الاراضي وزعامة القدس التي كانت تخشى ان تأخذ نابلس الزعامة منها .

عمل الجميع على مهاجمة نابلس بالخفاء يرمونها بالتعصب والجمود والعدوان وفي هذه الايام هاجموا علنا ورموها بالخيانة والمروق لان فيها اقطاب الدفاع الاربعة ومن ينضم اليهم وذنب نابلس انها لم تحتشد فتدمر بيوتهم على رؤوسهم وتقضي عليهم فيخلوا الجو الى خصومهم ولا يبقى من يهاجم السماسة وباعة الاراضي ولا من يهاجم بريطانيا واليهود ولا يبقى متمرد على زعامة القدس .

ان البلد الذي كان قبل سنة مفخرة العالم العربي ويسأل الغربيون عن مركزه ونفوسه ومعامله وجيوشه اصبح خائناً مجرمًا يستحق الحرق والدمار وهكذا كنا نسمع بأذاننا واعيننا اذا ما زرنا اي بقعة في فلسطين.

ثم سرت هذه الروح فاذا بها على السن النابلسيين خارج نابلس فينادون على تل أبيب ويعنون نابلس وهكذا تفعل الفتنة في النفوس :

واذا اراد الله فتنة معشر واضلهم رأوا القبيح جميلا

خروج القطبين وتحول الحملة على نابلس

بعد مقتل الشيخ عطيه السعدي القسامي كلفني بعضهم بمصارحة سليمان بك طوقان فزرتة في بيته ليلا مساء الخامس من محرم سنة ١٣٥٧ هـ الموافق ١٩٣٨م وقد حضر السيد احمد الشكعة واشترك بالبحث واستعرضنا الموقف ونصحت بجل حزب الدفاع فرفضوا، فقلت اذاً اتركوا البلد فقال سليمان بك (افكر ولكن اسمع يا خال حالما نخرج تنقلب الحملة على نابلس وترون الاعاجيب) ، فقلت له (لا بأس حينئذ يعرف فضلكم) . وقد خرج بعد ذلك من نابلس هو وصديقه الزعيم الحاج احمد الشكعة والسيد احمد العبد الرحمن (اماتين) بعد امد واشتداد المناقشة وما كانوا يخرجون حتى انقلبوا الحملة ضد نابلس بأسرها. فاتصلت بالوجهاء الحاج حسن حماد والحاج عبدالفتاح اغا طوقان والحاج نمر النابلسي فاتفقوا على الاجتماع في بيت الاخير فقرروا مراسلة عبد الرحيم الحاج محمد ولما لم تثمر قرروا ايفادي على السيد عبد الرحيم الحاج محمد وقد حملوني رسالة منهم .

وبعد تجول ثلاثة ايام في الجبال اجتمعت به وقلت له (ان نابلس فيها عرضنا⁸ وعرضك واخواننا واخواتك فما معنى هذه الحملة ونابلس لم تبع اراض ولم تسمس ولم تخن فقال صحيح نابلس كما قلت ولنابلس كل صيانة وهي في عهدكم يا اغوات) . فطلبت استلام الجماعة الذين كانوا حولي من الحرس البلدي وايفاد من يتولى امرهم على ان يردوا صعاليك القرى عن نابلس . فارسل مصطفى الاسطه واستلم الحراس فوقف أشرف موقف . وباجتماعي بحمد الزواتي في عصيرة القبليّة اتفقنا على منع بعض الصعاليك الذين يدعون الانتساب اليه . ولقد كان لهذا السعي ولمساعي ابن عمي اسماعيل آغا النمر لدى عبد الرحيم الحاج محمد اثره في الحيلولة دون المجزرة اذ لو حصل شي لنزلت النساء تأخذ الثار كما تحققت في وقائع⁹ ماضية.



(صورة سليمان بك طوقان)

⁸ لانه صهرنا لزواج اخته من ابن عمي صدقي آغا النمر .

⁹ من الامثلة ان نديم جاموس قتل محمد ابو اسماعيل وقد حكم بخمس عشرة سنة وبعد ان اتم المدة ونزل لعمله باغتته مريم اخت المقتول تحمل مسدساً وهجمت عليه في السوق فأمسك بعض الحاضرين بيدها ونجا من هذا الموقف ولكنه هرب من نابلس وسكن مصر ولم يرجع وكذا حين وقعت الدماء بين آل فريتح والعفوري اشتركت النساء



(صورة المجاهد السيد مصطفى الاسطه)

حراسة نابلس ومنع تسلط الصعاليك

تساقط الصعاليك من المدينة والقرى على أسواق نابلس يسرقون الدكاكين لا سيما الدخان والساعات فراجعني كثيرون فعقدت اجتماعاً للمسلحين¹⁰ _ وكان بينهم بعض المتسلطين فرتبنا حراسة الاسواق الغربية والوسطى _ وتركنا الشرقية لجماعة المفتي _ وقد وليت السيدين نافع ابي غزالة وعادل استيتية للمراقبة. وكانت مهمتهم شاقة لتعرضهم للصوص ولدوريات البوليس والجيشالا ان هذا العمل لم يرق لجماعة المفتي فذهب مصطفى بك البشناق وأقنع السيد عبد الرحيم الحاج محمد ليكلف يدي فطلبني عبدالله الطه الى عنبنا فاعطيته قائمة¹¹ تبرعات الحراسة ليستلم المبلغ من اللجنة التي تولت ذلك وهم السادة محمد الشنار وأمين الطاهر وحامد الشنتير وظهر لهم انني لم استلم شيئاً فنجوت من هذا المازق الحرج وبرجوعي الى نابلس خطبت في مقهى الشيخ قاسم بنابلس منبها¹² اهالي نابلس الى سوء النية المبينة لهم . ثم حضر مصطفى الاسطه من طرف عبد الرحيم الحاج محمد وتولى الحراسة - وقد جاهد لمنع اللصوص والمتسلطين وقد كان لموقفه اثره الحسن الا ان اصغاه¹³ لبعض المشاغبيين اوقعه في مشاكل اودت بحياته .

¹⁰ اكثرهم ثوار سنة ١٩٣٦ الذين تعاونت معهم وادرتهم في تلك السنة الى حدماء وقد بلغ عددهم ١٨ شخصاً ونحو مثلهم يتصلون بي من القرى الغربية

¹¹ صرنا نجمع شلناً او شلنين او ثلاثة من كل دكان شهرياً لننفقها على الحراس ثمن دخان وما شاكلة فقالوا لعبد الرحيم الحاج محمد بأنما نجمع اموالا .

¹² كانت هذه مجازفة جنوبية لانها ضد (٣٦) فصيلا من الثوار ولكنها نفعت اذ نقلت لسليمان بك طوقان بعد رجوعه فأفادت ونجوت من نقمة فريقه .

¹³ جاء الى نابلس بأشراف آل النمر وحوله شيوخ العائلة الي وبمجرد وصوله قال لي : انني مصمم على تطهير بلدي وسأقتال اربعين وجيها فقلت له لا يوجد خيانة في نابلس وكل ما سمعته هو تحامل حزبي واياك ان تعمل شيئاً من هذا فانه سيكون فيه القضاء عليك وعلى عائلتك وعلى عيال كل من يمشي معك لان الثورة لا تدوم الى الابد في عقبها الانتقام - فتوقف الا انه خدع وتخاصم مع ثوار القرى لا سيما عصيرة فقتلوه هو وبعض اتباعه

لقد عملت وابناء عمي لاسيما اسماعيل آغا كل ما تستطيع لانقاذ البلد فكان جهداً مشكوراً قال لي الحاج نمر النابلسي (لو قتل احد من نابلس لاتهتمم به يا آل النمر لانكم اصبحتم كل شيء في هذا الوقت الخطير واضطلعتم بالمسؤولية وقد نجحتم بارك الله فيكم وهذا ظرف آخر ليس بالحسبان يدل على ان هذه العائلة موجودة فاذا حصل ظرف استغلته للخير والصلاح فيقبل عليها الناس بقلوب مطمئنة للعقيدة الراسخة عندهم بصلاحها وحبها لخير البلد . فلم اكن لاكتب الا ما حصل .

ومع ان الحراسة كانت عامة وانتفع بها الفريق الثاني الا انها لم ترق باعينهم فعاكسوا ثم حملوا عارف عبد الرازق على الاسطه والفصيل الذي سلمته اليه فجردهم من سلاحهم . فشكا الاسطه الامر لعبد الرحيم الحاج محمد فسلحه وامره بالضرب على الجيش من وراء بيوت جماعة المفتي فهرع الجيش الى بيوتهم¹⁴ وقتلهم واعتقلهم بقسوة . وقد استمر الاسطه يحرس البلد ويرد عنها الى ان تطورت الثورة الخ . وقد لفقت شكايات ضد القطبين القارين في البلد وهما الحاج عبد الرحيم النابلسي رئيس البلدية بالنيابة والحاج طاهر المصري وطلب مني المساعدة بتسليمها لرسول حمد الزواتي وكبل عبد الرازق في الجبال فرأيت العمل على ان اشرك معي الحاج حسن حماد وبهذا استطعت ان انبه المطلوبين وخرجت في اليوم الثاني والسيد وجيه البشتاوي بالهدايا من الحلويات والدخان الى عصابة القبلية حيث كان حمد الزواتي وسلمناه مكاتيب القطبين يظهران استعدادهما للحضور في مناسبة اخرى لنلا يتبعهما الجيش لان الخبر عم البلد . ثم عادوا الى التحامل والتعجيز والطلب الى ان ضعفوا وانتهوا .

فشل التآمر الخبيث

دبر قواد الثورة قتل بعض مخاتير القرى والوجهاء في نابلس كي يتسنى لهم فتح باب الاغتيال في نابلس فكلفوا اثنين من فتيان نابلس المسلحين والمنضمين اليهم لاغتيال الوجيه العصيري السيد مصطفى ابي شقرة في أعمار شوارع نابلس فوقع علي الخبر وقوع الصاعقة فكلفت الحرس للبحث وكشف المسألة فظهرت¹⁵ ونهت الناس للتحدث بها وحلّت دون استغلالها وبذلك فشلت هذه المكيدة .

¹⁴ وقد حال الحاج عبد الرحيم النابلسي بشفاعته دون نفس البيوت اذ كشف المسألة بانها من الثوار . فسكن القائد وقد ساعده السيد فريد العنبتاوي ومصطفى البشناق وفاق العنبتاوي جماعة المفتي عند الثوار وعند المفتي فيما بعد وقد اتصل بهم وانضم اليهم فكان لهذا اثره في سياسة البلد فيما بعد . فالحاج عبد الرحيم كان مضطراً لهذا ولم يكن انقلاباً على جماعته

¹⁵ لقد كان لمقتل ابي شقرة أثره على الثورة إذ ان قريبه السيد محمد عبد الهادي ابي شقرة كان في الجيش العربي فركب في دبابات ومصفحات الجيش وغشي اجتماع القواد في دير غسانه وغيرها فقتل القائد ابو خالد وابو عمر وغيرهما من القواد والثوار وأخذ بثار ابن عمه وضعفت همة الثوار في قضاء نابلس كثيراً . ثم اقنعه الشيخ احمد الحاج حسين الصانوري بالانسحاب فانسحب . وكان لهذا الوجيه مكانته عند الثوار هو واخوه كامل الحاج حسين الا انهما كانا ضد الاغتيالات وقد رحلا الى دمشق لما حدثت. وقد نسف بيوتهم اذ بات فيه عبد الرحيم الحاج محمد قبل قتله ورفضوا التعويض من الحاج امين .

تفتيش الجيش

لما ينسوا من فتح باب الاغتيال شكلوا فصيلاً باسم فصيل نابلس يتصل بجماعة المفتي وصاروا يضربون على سيارات الجيش وعلى مركز الجيش وتكنات البوليس من بين الدور فكانوا يجيبونهم وقد قتلوا بعض الشبان واحرقوا عربة قطار السكة الحجازية فصمم الجيش على تفتيش نابلس وقد طوقوا البلد في الليل وبعد الفجر قاموا بعملية التفتيش وقد اخرجوا الرجال خارج البلد وابقوهم حتى اصيل ذلك النهار . على ان تفتيش نابلس كان خفيفاً لان رئيس البلدية بالنيابة الحاج عبد الرحيم النابلسي قد تفاهم مع القائد البريطاني ولطف الجو . ولم تحدث سوى احداث¹⁶ طفيفة اثناء التفتيش اذا قيست بغير بلدان . وقد حصلت تفتيشات فرعية فهدمت بسببها بعض الدور

رجوع القطبين

هنالك مسألة لم يكن بالإمكان التخلص منها وهي مطالب الثوار لان مركز الشام صار يقتر عليهم فتسلطوا على نابلس يطلبون المال والمؤن وصار قواد الفصائل يطلبون ايضاً ولما افلت الزمام من ايديهم تعرضت البلد لفوضى كبيرة وضنك شديد وعجز الاسطة عن ردهم ثم قتل هو وجماعته . واستمر الضنك الى ان رجع¹⁷ سليمان بك وصديقه المذكورين وشكلت فصائل سلام لنابلس وقضاها واصبح يجري القبض على كل من يتهم بالانتماء للثورة وقضي على فصيل ثوار نابلس وقد تعرضت الدور الخارجية لمباغطات المسلحين امداً كبيراً وذاقت البلد مشقة فوضع حراس ودوريات خارجها .

الفصل الرابع

جهود العالم العربي

رفع التقسيم

انهالت الاحتجاجات على لندن واثار مندوبو العراق ومصر في عصبة الامم امر التقسيم فارسلت وزارة المستعمرات لجنة فنية قررت عدم جدوى التقسيم لضيق رقعة البلاد وعدم امكان التهجير فألغي قرار التقسيم¹⁸ .

¹⁶ لقد اشتبهوا ببعض شبان لتتقلهم بعد منع التجول فقتلوه وصعد السيدان عفيف النمر ومحدث الشافعي على ظهر سطح بيت اخي الحاج احمد النمر واذ كان متروكا وجد فيه (ستره) عليها علامات ضابط في الجيش العربي ظنوها لقائد فيصل فساقوهما امام الدبابة الى السجن وكاد الجندي يطلق النار على عفيف النمر لانه كان يسوقه ويضربه بفوهة بندقيته فآلمه فانقلب وقبض عليها فحرك الجندي محركها ليطلقها فصحت بالانكليزية (فول فول) اي مجنون مجنون وكان قد انزله من على السطح الى داري وبعد العصر ذهبت واخي (رغم مرضه) فاعترف بأن السترة له ولحسن الحظ وجدنا ضابطاً بريطانياً في ادارة سيناء وهو يعرف العقبة حيث كان عمل اخي وبهذا انقذناهما من خطر الاعداء المحقق . راجع كتابي من السويس الى العقبة اذ فيه تفاصيل عن وجود اخي في موقع ومدخر العقبة الفيصلي .

¹⁷ لقد شعر الناس بعد خروجهم بالفراغ الذي تركوه لان التعامل اصبح على نابلس جميعها لنهايتها وهدمها وذبحها تأثراً بالدعايات السابقة . وبعد رجوعهم اتصل بهم كثيرون وتعاونوا معهم وما زالوا يعملون الى ان انتهى الثوار والمسلحون وخرجوا

¹⁸ كان المحور يزيد ويرغي وكانت روائح البارود تشم في كل مكان فرأى الانكليز ان الحرب العالمية وذبولها تحتاج الى عشر سنين فرفعوا مشروع التقسيم على الرف ومنوا العرب الاماني حتى اذا ما انقضت الحرب عادوا الى التقسيم كاسيبيين اما العرب فقد ظلوا يرفضون التقسيم الى ان استولى اليهود على اكثر فلسطين فعادوا يطلبونه

مؤتمر لندن ومقرراته

دعت بريطانيا العرب واليهود لمائدة مستديرة فذهبت وفود من مصر وسوريا والعراق والسعودية واليمن وفلسطين وأبوا ان يجلسوا مع اليهود فاجلسوا كل فريق على مائدة وباحثوهم من ٧ شباط ١٩٣٩ الى ١٧ آذار ١٩٣٩ وقد وقف في سبيلهم تمديد مدة الانتقال لعشر سنين فلم يتفقوا وانفض المؤتمر . ولكن الانكليز لم يترجعوا بل اصدروا كتابا ابيض ابانوا فيه مقررات المؤتمر وهي تتلخص بتحديد الهجرة وبيع الاراضي ومنح البلاد حكماً ذاتياً بعد تدريب في الخمس سنين الاخيرة اي انه في سنة ١٩٤٥ ينتهي الانتداب ويبدل بمعاهدة .

فلم يوافق العرب ثم اعلنت الحرب العالمية واستؤنف العمل للقضية بعدها.

الباب العاشر

احوال العرب واليهود

الفصل الاول

الاحوال في الحرب العالمية الثانية

التصفية الانكليزية

حالما اعلنت الحرب غير الانكليز سياستهم رأساً على عقب مع العرب في كل مكان : تبديل الجفاء بوداعة وتبديل ائتلاف المؤن بتقديمها . والغوا الاحكام العرفية وسمحوا لكثيرين بالرجوع الى البلاد وصاروا يطلقون المعتقلين بالتدريج . وقد وضعوا نظام التموين بالبطاقة وصاروا يوزعون الطحين والسكر والارز باثمان محدودة وقد وظفوا في دوائرها كثيراً من الشبان المتعلمين وغير المتعلمين . وفتحوا النوادي الثقافية و أنشأوا الصحف والمجلات العربية واستخدموا لها كثيراً من العرب . ولتأمين تقدم الشبان الى التطوع قاموا بالمصالحات الكثيره لانهاء الثارات السابقة وقد دعوا للتطوع¹⁹ وعقدوا له الاجتماعات .

اظهر الانكليز هذا الا انهم لم يقدرروا على التخلص من تحيزهم المقيت في كل شيء في الدوائر وفي توزيع المؤن وفي كل معاملة فيها عرب ويهود فبدلاً من معاملة اليهود بالثلث كما قرر الكتاب الابيض كانوا يعطونهم النصف بالظاهر والامثال والاضعاف بالحقيقة مما حمل العرب على الانسحاب من المجلس الاستشاري²⁰ اما الانكليز كاشخاص فقد ظهروا بمظهر منحط في الدوائر والقضاء فقد فتحوا ايديهم للرشوة علناً وصار رؤسائهم لا يبالون بالشكايات بحجة ان حالة الحرب تقتضي ذلك فكان البصير يرى ان موعدهم قد حان وان استعمارهم قد آذن بالزوال والحمد لله رب العالمين

استغلال اليهود للظروف

اظهر اليهود نشاطاً عظيماً ففتحوا المعامل والمصانع واصبحوا ياحذون المواد الخام بطريق الحكومة ويصنعون ما يستطيعون فيبيعونه للجيش وللإقطار العربية المجاورة اذا ارتفعت المقاطعة ولم يبق ما ينكد الخواطر²¹. وقد اقبل شبانهم على التطوع في جيوش الحلفاء ولم يقبلوا على النوادي الثقافية . وفي آخر الحرب اشتروا الشيء الكثير من مخلفات الجيش باثمان بسيطة استفادوا منها كثيراً لقتال العرت فيما بعد

¹⁹ الا ان تأثيرها كان محدوداً والذين تطوعوا استخدموهم في المطابخ والمغاسل.

²⁰ وهم السادة نافذ الحسيني و خليل حافظ طوقان وفريد السعد وشبلي الجمل.

²¹ وقع حادث واحد بين العرب واليهود طيلة الحرب العالمية الثانية وهو ان السيد حمد الزواتي آخر من بقي من الثوار في الجبال اعتدى في حزيران سنة ١٩٤٣ على سائحين من اليهود في جهة جبع وكانوا في جولة فقتل اثنين منهم وقد قبض عليه بسببه وكانت الحكومة قد اغضت عنه بعد رجوعه من المراق بعد ثورة رشيد عالي وقد حكم ثلاث سنين ثم اطلق قبيل القتال فاشترك فيه .

هذا في فلسطين اما في اميركا واوروبا فقد تعاونوا مع الحلفاء وقدموا لهم الرجال والاموال والانتاج وغير ذلك من الامور التي ظهر اثرها بعد الحرب وقد صرح به الجنرال مونتغمري للضابط المتطوع السيد مصطفى السعيد (ارشيد) في حديثه حين قدم الاستقالة .

وقبل انتهاء الحرب هبوا يطلبون فلسطين باجمعها وفتح ابواب الهجرة وبيع الاراضي ولما وجدوا من الانكليز شيئاً من الامتناع هاجموهم وفتكوا بهم الى ان اجبروهم على الخروج من البلاد .

خبال العرب وجمودهم

اوجدت الثوره وبطش الجيش خبالا عند العرب وضعفا فلم يقووا على عمل شيء²² يذكر . ولتألمهم من بريطانيا لم يقبلوا على التطوع الا قليلا . واصبح التطوع مدار تهكم فيقولون (تطوع) اذا سئلوا عن شخص وارادوا التهكم والذين تطوعوا بغير ارادة اهلهم حملوا عليهم حتى ان بعضهم تظاهر بالجنون كي يتمكن من التخلص . ولهذا لم يكن عند العرب²³ مدربين على السلاح لاسيما الحديث الا القليل . وقد قتلت الروح الوطنية فأقبل كثيرون على النوادي البريطانية الثقافية²⁴ (الدعائية) اقبالا كبيرا ومنهم من توظف فيها . وكذلك اقبالهم على مجلات وصحف الدعاية الاجنبية . والدفاعيون الذين عادوا الى البلاد وخلا لهم الجو فلم يظهروا مظهر الزعامة بل اقتصروا على الحملة على لابي الحطة والعقال في المدن على حساب المسلحين وقد اطلقوا عليه (زي الاجرام) . فأضاعوا اثنى فرصة كما ظهر فيما بعد .

ولقد تخنث الجبل الجديد الذي نشأ بعد الثورة فأقبلوا على زيت الشعر والقمصان الملونة وأكثروا من ارتياد اماكن اللهو الاجنبية . وقد سلكوا مسالك شاذة حملت آباءهم واهلهم على التبرؤ منهم على صفحات الجرائد .

احوال الشعب العربي في الحرب²⁵

ارتفعت اثمان الحاجيات ارتفاعاً فاحشاً مع وجودها في الاسواق فلم يفقد شيء كالحرب العالمية الاولى وظلت اسعار الكاز معتدلة . وكانت الطبقات الفقيرة تشتري الطحين بثمان السكر اذ يبيعون حصتهم من السكر في السوق السوداء لاسيما انه كان احمر . وبلغت اسعار القماش حداً كبيراً حتى بلغ ثمن بذلة الافرنجي ثلاثين جنيهاً والمعطف عشرين جنيهاً ثم صارت دائرة المؤمن توزع قماشاً موحداً تشتغله مصانع البلاد لاسيما اليهودية وكان الناس يشترون من ملابس الجيش وزادت اسعار الورق فحصر وتوقف طبع الكتب . واستغل التجار بيع ما يعطى لهم استغلالاً سيئاً بتلاعبهم

²² انشأوا بعض المصانع والمعامل واذ لم يقدر على استعمال كل ما يعطى لهم من المواد الخام كانوا يبيعونها لليهود

²³ على ان الذين تطوعوا واستمروا قد استخدموا في خدمة الجيش للكوي والغسيل وقد فسدت اخلاقهم بمعاشره الانكليز

²⁴ والمؤسف حتماً ان الذين لم يكونوا بحاجة للتوظيف ولا المال يحملون لقب اكبر من استاذ تراموا على هذه النوادي والمجلات والصحف الدعائية بصورة مخجلة

²⁵ ولم يحدث سوى حادث حربي واحد هو هبوط عبد القادر بك الحسيني وذوالكفل عبد اللطيف في غور اريحا بالمظلات من طائرة المانية وقد كسرت رجل الاخير فقبض عليه .

وجشعهم . وقد شرعت الحكومة ببناء ثكنات ودور للبوليس والحكومة والمحاكم وكانت ضخمة فاشتغل²⁶ العمال على اختلافهم فتفرجت ازمتهم نوعاً . وكذلك شغلت كثيراً من المعتقلين في دوائر التموين والنوادي والمجالات فتفرجت ازمة هؤلاء ايضاً . وقد زادوا رواتب الموظفين جميعاً زيادة تتناسب مع غلاء اثمان الحاجيات وفتحوا لهم مخازن للمؤن فصاروا في بحبوحة . الا ان نقص المواد الغذائية نتج عنه تفشي الامراض الجلدية وحمى البربرى وغيرها ففتكت بالناس رغم الاسعافات .

وكان هدوء اذ ان المجالس لم تتحرك فقد ادارت المجلس الاسلامي لجنة برئاسة كبراييد البريطاني وعضوية الشيخ حسام الدين جار الله وقاضي بريطاني وعينوا بدلا من امين بك التميمي الشيخ كمال اسماعيل وبدلا من الحاج سعيد الشوا الشيخ عبد الحي عبد الشافي وعينوا الشيخ يوسف طهبوب عن الخليل وعينوا عن الشمال امين بك عبدالهادي ولم تقع انتخابات بلدية .

الفصل الثاني

استئناف العمل لقضية فلسطين

ايجاد الجامعة العربية

قويت دعاية دول المحور في الشرق لدرجة اخافت بريطانيا ولكي تضمن استمرار هدوء العرب ولكي تعوضهم عن الدولة العربية التي وعدتهم بها ولكي توجد وكالة عربية بوجه الوكالة اليهودية زار وزير خارجيتهم المستر ايدن الشرق العربي وصرح لقادة العرب بترحيب بريطاني بهيأة عربية مشتركة . وعلى الاثر اجتمع نوري باشا السعيد رئيس وزراء العراق بمصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر وتفاهما على ايجاد هذه الهيأة . وفي ايلول سنة ١٩٤٤ عقد رؤساء وزارات الدول العربية وهي مصر والعراق وسوريا ولبنان واليمن والسعودية وامارة الاردن مؤتمراً في الاسكندرية وضعوا فيه ميثاق تأسيس جامعة الدول العربية للتعاون والتضامن وحل المشاكل العربية العامة والخاصة .

تمثيل فلسطين في الجامعة العربية

كانت فلسطين في مقدمة ما تهتم به الجامعة العربية وكان ملوك العرب على وعد من تشرشل²⁷ وروزفلت لعمل ما يضمن حقوق عرب فلسطين ولما اسست الجامعة رأوا انه من الواجب اشراك عرب فلسطين في الجامعة العربية كي يتصلوا بعرب فلسطين ويساعدوهم ويتكلموا في قضيتهم . وكانت اللجنة العليا منحلة والاحزاب والهيئات متنافرة فرؤي

²⁶ وقد اسسوا ملاجئ خشية الغارات وبنوا خطاً حريباً سموه خط ايدن على الحدود بين سوريا والاردن فشغلوا قسماً من العمال بهذا وللاعمال الحربية الاخرى

²⁷ كان روزفلت زار الشرق الاوسط ومعه تشرشل فاجتمعوا بملوك العرب وهم الملك فاروق والملك عبد العزيز آل سعود والامير عبدالله وباحثوهم في مطالب الشرق الاوسط وفي مقدمتها فلسطين وقطعاهم العهد بالحل العادل بعد الحرب .

اختيار شخص محايد فاتفقوا على اختيار موسى بك العلمي فايدوه بضبطه وأصبح ممثلاً لعرب فلسطين في الجامعة العربية فعهدوا به بالمشروع الانشائي ليكون نواة لتحسين حالة الزراعة في فلسطين .

قام السيد العلمي بعمل ويواصل جهوده ليل نهار الا انه أصبح يسير كما يشاء دون ان يطلع رؤساء الهيئات والاحزاب فاعتاظ هؤلاء وسحبوا ثقتهم منه مبلغين الجامعة ذلك. فانقلب عليهم وصار يحرك الشعب عليهم فاثار الشعب اثارة عظيمة اوقعتهم تحت ضغط كبير فاضطروا الى ايجاد هيئة عليا ارسلت من ينوب عنها في الجامعة العربية .

الهيئات والتشكيلات

كانت الحكومة مضطرة الى ايجاد نقابات للحرف والصناعات لتسليمهم ما يخصص لهم من المواد الخام والادوات والاقمشة وبانتهاء الحرب كون هؤلاء حزب عمال تضخم حتى بلغ اعضاؤه ستين ألفاً وقد رأسوا عليهم السيد سامي²⁸ طه من حيفا . وكان الحلفاء قد رفعوا المراقبة عن الشيوعيين بعد اتفاقهم مع الدولة الشيوعية فقام الشيوعيون بنشاط كبير ونما عددهم فأسسوا هيئة باسم²⁹ عصبة التحرر القومي وقد ولوا رئاستها للسيد بولس فرح الناصري وقمت³⁰ بتأسيس حزب باسم حزب التقدم العربي الفلسطيني معلناً منهجه الذي يشمل على مواد قيمة فيها التحدي لمسالك الهيئات السابقة فمن ذلك المادة الرابعة القائلة رفع المبادئ والاخلاق على جميع الاعتبارات العائلية والشخصية .

وفي نفس الوقت قامت الاحزاب السابقة تعيد كيانها فقام بالحزب العربي السيد صالح الحسيني الى ان اعيد اخوه جمال بك الحسيني الى القدس.

ثم اعيد الحاج امين افندي الحسيني من المانيا الى مصر . وكان في البلاد فريق نجادة . ثم أنشأ احمد حلمي باشا صندوقاً باسم صندوق الامة فقابله جمال بك الحسيني بتأسيس صندوق آخر باسم بيت المال . وأسس محمد بك البرادعي جمعية باسم جمعية اليتيم . وهكذا اصبح في البلاد عدد من المشاريع المالية التي تطلب من الامة المعاضدة . وعدد من الهيئات التي تعمل لكسب الثقة وتنمية العدد . وقد اثيرت انتخابات البلديات سنة ١٩٤٦ فكانت حادة كانتخابات سنة ١٩٢٤ واذ لم تجر مصالحات بين رؤساء الهيئات فقد كانت البلاد في وضع سياسي سيء جداً .

²⁸ اصبح للعمال شأنهم الا ان سامي لما زار لندن للاشتراك بمؤتمر العمال العالمي صرح برأي بخصوص الهجرة والصهيونية ففسر تفسيراً سيئاً اتخذه حساده ومنافسوه سبباً لاغتياله ففترق العمال بعده وانقسموا وضعفوا .

²⁹ انضم لهذه الهيئة عدد من المتعلمين واصبحت لها فروع عديدة الا انهم كانوا يتصلون بالحزب الشيوعي اليهودي فأسيء بهم الظن فكانوا يتعاونون مع اليهود وكانوا طابوراً خامساً لهم وقد فضحت مسالكهم في المجالات والكتب وقد ثابوا الى الرشد بعد النكبة .

³⁰ كان لي من تأسيس جمعيتي الهداية غايتان احدهما الثورة والاخرى تأسيس حزب سياسي ولما هبت الامة تستأنف قضيتها قمت بتأسيس هذا الحزب وقد اخترت هذا الاسم للتقدمية وقد مر اشتراكنا بالثورة الفلسطينية مكافحة للتقدمية الشيوعية وقد قمت باسمه باعمال ومطالب مبتكرة منها . الغاء اسماء الاولوية الاسرائيلية وتسليم المعارف للعرب (لان معارف اليهود بيدهم) وتقريب المبعدين السياسيين العرب ثم ارجاعهم واعادة النظر بنظام الضرائب وتشكيل شركة انقاذ اراضي برئاسة عبد الحميد بك شومان وقد صار الحزب يكسب ثقة بعد استهجان وقد بلغ اعضاؤه (٢١٥) عضواً من المدينة والقرى وكنت أمل ان يتشكل غيره وتتلاشى الاحزاب السابقة فلم يحصل ثم اوقفته نزولاً على طلب الجبهة العربية التي شكلت في يافا وكان محورها الاستاذ مصطفى الطاهر وهو من واصلا الجهاد للفضية وقد تحمس اقاربه لاسيما الشبان فاستشهد منهم عددهم اخوة واباء عمه رحمهم الله .

المساعي والجهود لتشكيل اللجنة العليا

عاد جماعة المفتي الى البلاد على اعتقاد ان منافسيهم قد انتهوا وان الشعب لا يثق بهم . وقد تعاملوا او انهم لم يسالوا عما حصل في البلاد لان اشياهم بلغوهم خلاف الواقع . لانهم لا يعقل ان يكشفوا عن اعمالهم ولا يعقل ان يصغوا لمقالات خصومهم ومنافسيهم اذ يعدونها من قبيل الحسد والتشويه . اما الحاديون³¹ من غير الاحزاب فهم اندر من الكبريت الأحمر وكانت توجه اليهم دعايات الهدم والتحقير من الاحزاب .

ولهذا تمسك فريق الحزب العربي بفكرة انهم اكثرية لان الشعب يحبهم اكثر دون ان يعلموا الفرق بين النقية والحقيقة . فلما سعى الساعون من فلسطين وغير فلسطين لتشكيل الهيئة العليا ابوا ان تكون التشكيلات على غرار اللجنة العليا بل ان تكون بنسبة الاكثرية فيكون للحزب العربي الثلثين وسائر الاحزاب الثلث . وقد بلغ الجامعة العربية الخبر فأوفدت السادة : جميل مردم وتقي الدين الصلح وخير الدين الزركلي فحكمهم رؤساء الاحزاب فاقترحوا تشكيل لجنة عليا من اثني عشر عضواً منهم خمسة اعضاء للحزب العربي وخمسة للاحزاب الاخرى واحمد حلمي باشا وموسى بك العلمي فرفضت الاحزاب ذلك فتعقد الخلاف ولما عاد جمال بك الحسيني من المنفى شكل لجنة جديدة كما يشاء فرفضت الاحزاب الاشتراك بها ولما مر توفيق باشا السويدي عن فلسطين ويخ من صادفهم من الشبان والوجهاء وانبهم فهب شبان يافا ودعوا الى مؤتمر لتشكيل جبهة عربية انتخبوا لها مكتباً من السادة : عوني عبد الهادي وسليمان طوقان وحسين الخالدي وحمد الحسيني ويعقوب الغصين وكمال حنون واميل توما الا ان الحزبين العربي والكتلة لم يشتركا وذهب جمال الحسيني كممثل عن لجنته في الجامعة العربية وسافر وقد آخر عن الجبهة العربية ليمثل فلسطين ايضاً ولما رجع الحاج امين الحسيني نزل في مصر فوفدت وفود من فلسطين للسلام عليه وأطلعوه على ما جرى من جمال فشكل هيئة عليا برئاسة السادة راغب النشاشيبي وجمال الحسيني والدكتور حسين الخالدي وعضوية كل من السادة الشيخ حسن ابو السعود واحمد حلمي وعبد اللطيف صلاح ويوسف صهيون ومعين الماضي ورفيق التميمي وعين السيد اميل الغوري امينا للسر ولكن راغب بك النشاشيبي وعبد اللطيف بك صلاح لم يشتركا لان اكثريتها الساحقة من جماعة سماحة المفتي.

وضع البلاد قبل القتال

لا اصدق ان شعباً بلغ مبلغ الشعب العربي الفلسطيني في هذه الفترة من الحماقة والغرور والتفرقة والانحلال والصمم عن النصيحة . لقد كان اقل الناس بصيرة يتنبأ بالكارثة التي حصلت في ما بعد وهذا كان يعرفه كثيرون³² ولكن لم يستطع احد ان يتفوه به فقد كان الشعب في حدة عصبية زائدة يتفوهون بكلام لا يتحمله النبيل العاقل بعضهم عن تحزب وبعضهم

³¹ كان الحياص اصعب الامور و كان المحايدين يضايقون ويرمون من جميع الهيات والاحزاب ولهذا لم يكن لهم تأثير وكان هذا من اسوأ اخطاء الاحزاب وكان في البلاد شخصيات محترمة كيوست افندي عاشور وقاسم آغا النمر وتوفيق بك الغصين فماتوا فلم يبق من يلف الجو .

³² في زيارتي لقتل الدول العربية في فلسطين باسم حزب التقدم العربي الفلسطيني قال لي فاضل بك وحيد قنصل العراق ايها افضل التقسيم ام الانماج مع اليهود في دولة واحدة قلت التقسيم فقال لم لا تصرحون انتم ورؤساء الهيئات براكم قلت له نقتل كخونة لان الشعب مشبع بالدعاية قال ما الحل قلت له يستفتي الشعب رأساً ويتحمل جناية خطئه . فقال النتيجة معلومة فقلت له اذا تكون كارثة ، فقال ان التقسيم لا محالة واقع وبعد الكارثة ندم العرب على رفض التقسيم ولا يزالون.

عن تعصب . وعلى الاثر وفي سنة ١٩٤٦ م اجريت انتخابات البلديات فكانت حادة جداً . وباغتيال السيد سامي طه مثلت امام الاعين اغتيالات سنة ١٩٣٨ فودت وفود من الدفاعيين وغيرهم الى رجالات البلاد العربية في دمشق ومصر وبغداد اطلعوهم على جميع ما ارتكب في ثورة ١٩٣٨ وحذروهم من اعتماد المفتي وجماعته من الحزب العربي وغيره فقرروا عدم اعتماد عرب فلسطين جميعاً بشيء وتأكدوا من هذه الاحوال في تشكيل الهيئة العليا ان لا خير فيهم.

بهذا الوضع الاحمق دخل العرب ساحة القتال مع اليهود وانصارهم فحلت الكارثة التي لا يعلم الا الله متى يتخلصون من نتائجها.

الفصل الثالث

التطورات الخارجية

المجرة والتقسيم

لم ينقطع اليهود عن الطلب من بريطانيا فلم تصغ لهم طيلة الحرب وأحسوا منها الصلابة فمثلوا دوراً اراهيباً خطيراً ضد الانكليز دون العرب الى ان تركوا البلاد . وقد تحولوا الى اميركا يطلبون عن طريقها فصرح ترومان خليفة روزفلت بفتح باب الهجرة الى فلسطين وزحف مائة الف يهودي الى فلسطين كدفعة اولى . هنا هب العرب يحتجون وينددون بعود تشرشل وروزفلت فلجا الانكليز والامير كان الى سياسة اللجان فارسلوا لجنة تحقيق مشتركة من الانكليز والامير كان فحققت ودققت واستمعت لشهادات رجالات العرب واليهود وقررت فتح الهجرة وبيع الاراضي فاستمر اضطراب العرب وهاجمهم فحولوا القضية الى مجلس الامن فقرر ارسال لجنة من الدول المحايدة فقاطعها العرب واتصل بها اليهود والبريطانيون فقررت التقسيم³³ وقرر الانكليز انهاء انتدابهم في الخامس عشر من ايار سنة ١٩٤٨ فثار العرب ونشب القتال.

استعداد اليهود وخلو العرب

كان لدى اليهود فيلقا عسكريا خاض غمار الحرب مع الحلفاء وقد استأجروا كثيراً من الضباط والفنيين عند الدول المتحاربة وقد اعطاهم الجيش البريطاني كثيراً من الاسلحة واستوردوا غيرها من مصانعها وقد انشأوا المصانع الكثيرة في مستعمراتهم فبرز اليهود يستندهم الاميركان والانكليز والفرنسيين مع الاستعداد التام.

اما العرب فلم يكن منهم مدربون لانهم لم يشتركوا في الحرب ولم يكن عندهم الوقت الكافي للتدريب والاستعداد فكانت دولا بالاسم اذ انسحب آخر جندي من جنود الاستعمار من مصر ولبنان وسوريا في آب سنة ١٩٤٦ ثم ابتليت مصر بالكوليرا سنة ١٩٤٧ جميعها . اما عرب فلسطين فقد كانوا يطلقون عشرات الالوف من الطلقات في الجو كل يوم³⁴

³³ ولما عرض الاقتراح على الجمعية العمومية فهينة الامم اينته الكتل البريطانية والروسية والاميركية ورفضته الدول العربية والاسلامية منضمة اليها اليونان وكوبا وامتنعت عشر دول عن التصويت فيها بريطانيا وتغيبت سيام وكان ذلك ليلة الاحد الموافق ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ م . فنرى ان بريطانيا ارجأت التقسيم مدة مناسبة هي مدة الحرب وذيوله ثم اقترحته لحل لا بد منه ثم لم تصوت في حين ان كتلتها جميعها صوتت.

³⁴ وكانت تقع اصابات يومية بينهم منها القاتلة ومنها الخطرة فانشغل الناس بها كثيراً .

ولم يكن من يتولى التدريب وقد بح³⁵ صوت القادة بالنهي عن هذا لتوفيره لحين الحاجة فلم يصغوا ابداً اذ بلغ استخفافهم باليهود حداً كبيراً فقال الشيخ صبري عابدين في احدى خطبه (سنطرد اليهود بالاحذية لا بالسلاح) .

وقال السيد كامل العريقات قائد منظمات الشباب : (اذا امرني سيدي القيت اليهود الى البحر) . وركونا الى هذه الاقوال اشتبكوا باليهود دون انتظار ودون تريث وبغير تنظيم ولا تدريب .

الاشتباك

كان اليهود يعلمون خلو العرب وحدتهم فصاروا يتحرشون بهم³⁶ وكان رأي العقلاء ان يقفوا مدافعين الى ان يتم الاستعداد ولكن غرور عرب فلسطين ثم صراخهم³⁷ فانه زج بالعرب في القتال بتهور وكان فريق كونه المفتي باسم الجهاد المقدس تولى قيادته السيد عبد القادر الحسيني الى ان استشهد .

وقد انشئت في دمشق مدرسة للتدريب لتشكيل جيش من المتطوعين باسم جيش الانقاذ ولانه لم يقم بالتجارب التامة ولان افراده من الطلاب فقد خسر معركة زراعة جهة بيسان وغيرها وكان دون العدد المأمول .

معارك الجيوش

تأخرت الجيوش العربية حتى ١٥ ايار اي بعد انسحاب الجيش البريطاني ولما وصلوا كان عرب فلسطين قد جف الدم في عروقهم وكان الكل يستغيث . دخلت الجيوش من جميع الجهات مستخفة باليهود فكانوا يتركون المستعمرات ويغفلون عن الاعيب القواد والضباط البريطانيين³⁸ فدبروا مكاييد كثيرة اضررت بالموقف وقد خدعهم باخلاء اماكن فسلموها لليهود فحصل هؤلاء على اماكن مهمة تكشفت عن مفاهيم وتراجع .

وكاد اليهود يحتلون جينين لولا مفادة القائد العراقي عمر علي فقام بموقعة مجيدة هي افضل ما وقع في جبل نابلس وكان الجيش العربي يقوم بمعارك من قبيل النجدة فأمن الطريق بين القدس والخليل وبيت لحم كاحتلال كفار عسيون بين نابلس والقدس باحتلال النيفي يعقوب وكانوا يطلبون منه المحال فقد كان عدده عشرة آلاف وقد بلغ عدد الجيوش العربية المقاتلة (٣٣) الف جندي غير مستوفون للمعدات والسلاح والعتاد والمال والتدريب . بينما بلغ الجيش الاسرائيلي خمسة وستين الف جندي قد دربوا في الحرب العالمية وبعدها يضاف الى هذا العدد اكثر منه من غير النظاميين يضاف الى هذا الامداد الوافر من الاموال والمؤن .

³⁵ قد مات السيد محمود البغدادي احد ضباط جيش الانقاذ وهو يخطب التهدة الجمهور في جينين

³⁶ هي منظمات قاموا بها تقليدا لليهود وقد عمت الا انها انقسمت على بعضها .

³⁷ لما عوتب الاستاذ عبد الوهاب عزام قال : (ان الذي اضطرنا الى خو المعركة قبل الاستعداد هو صراخ عرب فلسطين) .

³⁸ كان الاخوان لاش البريطانيين ادهما عند العرب والثاني عند اليهود وكانا يتصلان ببعضهما ويخططان ويكشفان احوال العرب لليهود



(صورة القائد عمر علي القائد العراقي)

هذا وقد قدر كلوب ان الجيش الاسرائيلي يساوي اربعة عشر مثل الجيش العربي وهو بمجموعة من المتطوعين والمساعدين ضعف الجيوش العربية فقدت الجيوش العربية كاملة ب (٥٥) الف وقدرت القوات الاسرائيلية بنحو (١٢٠) الفا اي اكثر من ضعف الجيوش العربية . وأهم من هذا وذاك ان الجيش الاسرائيلي كان مكونا من المدربين في الحرب العالمية الثانية ومن المرتزقة الاوروبيين والامريكان وفيهم القواد والضباط وقد ذكر كلوب ان القائد الذي داهم اللد والرملة كان اميركياً . وان بريطانيا سحبت جميع الضباط البريطانيين من الجيش العربي .

الهدنة والمراقبون

لم تكذ الجيوش العربية تشتبك مع اليهود وبعد اسبوعين دعاهم مجلس الامن للهدنة وارسل مراقبين رابطوا بين الفريقين الا ان اليهود اتخذوا من الهدنة³⁹ احبولة للصيد فكانوا يخرقونها ويبيعون ويستولون على بقعة واخرى وكان الصراخ والكشف متواصلا وقد قتل الكونت برنادوت الوسيط الدولي لانه انصف العرب واستمر عدوانهم على خطوط الهدنة يستولون على بقاع ومواقع ويتحرشون القرى في الخطوط الامامية ولم تنقطع المآسي امدا طويلا مع ان لجان الهدنة⁴⁰ تحقق وتدين اليهود فلا يبالون ولم يقو العرب على المقابلة بالمثل فكان موقفاً مخجلاً .

³⁹ حصلت الهدنة بعد (٢٥) يوما من دخول الجيوش فابتدأت في ١١ حزيران سنة ١٩٤٨ ومدتها ثلاثون يوما لم ينقطع اليهود منذ الساعة الاولى عن خرقها وبعد انتهائها عاد القتال ففرضها مجلس الامن فرضاً وقد ظهر انها كانت شرأ لموقف العرب الذي ظهر ضعفه .

⁴⁰ كان عددهم حين مجيء برنادوت ستون مراقبا ثم ضوعفوا الى ستة امثال العدد واستطردت زيادتهم .

وقد ظهر ان جيش اليهود كان جيشاً بالاسم ولكنه كان في الحقيقة مكوناً من المحاربين السابقين المدربين المساعدين من انصارهم.

وتلاهم الوسطاء والمراقبون فقد اظهروا تحيزاً مع اليهود يدعوا الى الغيظ والقلق فتمزقت قلوب العرب غيظاً دون طائل . ورغم قتل الكونت برنادوت فان هيئة الامم ومجلس الامن لم يققوا منهم موقفاً قانونياً وقد تأكد العرب ان تحرش اليهود كان معمولاً فلزموا التقية .

الفصل الرابع

احوال الجالين

دهاء اليهود وحمق العرب

يريد اليهود بلادا خالية كي يملوها بمهاجريهم فكروا في الطرق والاساليب الماهرة ليفوزوا على العرب ، وقد نجحت الخطط التي رسموها والاساليب التي عمدوا لتطبيقها مئة في المئة كأمثالها في السابق . لقد اوجدوا عن طريق الشيوخ والادنياء طابوراً خامساً بين عرب فلسطين.

اما العرب فانهم مثلوا الحماقة والطيش فقد افزعته حوادث الالغام الموقوتة ولم يقابلوها بالمثل الا بعد ان استولى الفرع عليهم واصبحوا لا يتجمعون في مكان واذا ما لمحو سياراة وقفت اطلقوا الوب الطلقات في الفضاء .

واعظم من هذا ان اليهود استطاعوا في اول⁴¹ اشتباكهم مع العرب ان يدخلوا قرية دير ياسين في لواء القدس بصورة احدثت فزعاً ورعباً. وظن الدكتور حسين الخالدي امين سر اللجنة العليا انها تثير ضجة عالمية على اليهود وتحمل الدول العربية على الاسراع بالعمل فنشر بياناً هول فيه فاستولى الرعب والفرع على جميع النساء والصبيان والشيوخ واصبحوا لا يكادون يسمعون بهجوم اليهود حتى يهبوا الى الخروج من بلدهم لا يلوون على شيء .

الحرب في الشمال والجلء عنه

كان اهل طبريا اقلية تساعدهم قرى القضاء فحدثت حرب شوارع شديدة دامت احد عشر يوماً تغلب اليهود في نهايتها على العرب فتداركهم الجيش العربي فنقلهم بسياراته الى مأمن . وكانت حيفا اول من اشتبك في قتال وقد مثلت فيها فواجع وقد قطع الانجليز على انفسهم عهداً بالمحافظة عليها حتى ١٥ أيار لانهم سينسحبون منها الا انهم لم يلبثوا ان باعوا انفسهم لليهود واطلقو يدهم بل وانقلبوا يساعدونهم وقد رابطوا على الطرق يمنعون عن العرب النجيدات وقام اليهود بهجوم عام فقاومهم العرب الى ان نفذت ذخيرتهم.⁴² فاضطرت اللجنة القومية الى طلب التسليم بواسطة القائد البريطاني فوقف اطلاق النار الساعة الحادية عشرة من يوم الخميس الموافق ٢٢ نيسان سنة ١٩٤٨ . فخرج اهالي حيفا

⁴¹ كان سببه ان ترك المجاهدون اماكنهم وذهبوا الى القدس لتشييع جنازة السيد عبد القادر الحسيني فحصلت المأساة التي اضر خيرها ضرراً بليغا

⁴² كان وفد منهم نزل الى مصر يستأذن لجمال مدينة حيفا مدينة مكشوفة فلم يوافقهم الملك فاروق والجامعة ووعدهم بارسال السلاح والعتاد وفعلا ارسلوا عن طريق عكا ولما وصل الى منتصف الطريق اعترضهم اليهود فاطلقوا النار فانفجر العتاد وقتل القائد العربي محمد بك الحمد ورجاله

الى الميناء فوقف الهاجناة اليهود يرجونهم من عدم الرحيل⁴³ فأبوا الا النزول بالزوارق الى عكا التي صمدت الى ما بعد دخول الجيوش العربية اي الى ١٧ من ايار فرحلت. وقد سبقتهم صفد اذ صمدوا في قتال مرير مع اليهود حتى التاسع من شهر ايار. وبعد ان يؤسوا من الحصول على العتاد (الذخيرة الحربية) خرجوا ليلا ومشيا على الاقدام بعد عقد هدنة مع اليهود مدة ساعتين وكانت ليلة مطرة فمشوا اربعين كيلومترا اذ وصلوا الى نقطة على الحدود فطلبوا سيارات من سوريا ولبنان لنقلهم.

الحرب في الجنوب والهجرة

انتت يافا بالعجائب في تضحياتها هي وما حولها من القرى⁴⁴ ولم يبالوا بحرب اليهود الا بعد ان امدهم الانكليز بمدافع المورتر ولم يكن عند العرب منها شيء وقد سافر رئيس بلديتهم السيد يوسف هيكل الى مصر للحصول على مدافع وجيش فلم يلتفت اليه . فاستولى الفزع على المدنيين فصاروا يخرجون رغم المنع ثم قام اليهود بهجوم بالدبابات فاكسحوا حي المنشية من جهة الشمال واستولوا على يازور في الجنوب واقفلوا الطريق واستمر اطلاق نيران ثلاثة ايام على الاحياء بيافا فهرعوا الى الميناء بدون وعي يهربون الى غزة ومصر . ثم عقدوا اتفاقية للتسليم فهرع الاهالي للهرب والخروج من طرق البيارات الشرقية غير بهين لاتفاقية التسليم وقد تم خروجهم قبل دخول الجيوش ببومين .

نزع اهالي يافا الى اللد والرملة وصمم المجاهدون على الصمود الا ان ثغرة كانت ما تزال مفتوحة في اللد باهمال او خيانة. فدخل اليهود واعطوا السكان ساعتين للرحيل على ان يرحل اهل الرملة في طريق رام الله واهل اللد عن طريق نابلس دون ان يأخذوا معهم شيئاً فخرجوا جميعاً لا يلوون على شيء اما بنر السبع فكان مصيرها كطبريا.

وقد خرجت القدس وما حولها ثم عادوا وكذلك الخليل وغزة وقراهما

خروجهم واستقبالهم

كان الفرق بين الذين خرجوا من الذعر والذين خرجوا بانذار فانهم كانوا يتركون بيوتهم وحوانيتهم فلم يتمكنوا من اخذ شيء معهم الا ما قل ونذر فكانوا بحاجة الى الغذاء والغطاء والمأوى .

ومثل هؤلاء كانوا بحاجة الى جمعيات تهيء لهم كل شيء ولكن البلاد كانت مشغولة بالقتال والعمل للمجاهدين وكانوا حانقين على من خرجوا فان الدعاية التي كان يبثها الطابور الخامس للفزع كان يبث ضدها للتقريع واللوم فكانوا يلاقون بفتور وعدم اهتمام وكان العدد كبيراً والتهئية لهم من الامور الشاقة .

⁴³ وكان بعض رجال اللجنة يقاومون الرحيل ايضاً فعاكسهم اخوانهم يحضون على الرحيل فرحلت حيفا الا شرذمة قليلة .

⁴⁴ وكانت ابسلها سلمه الملاصقة للاحياء اليهودية فقد اضطرت اليهود للجلاء عن الاحياء المجاورة واستمرت سلمه في موقفها الجيد الى ان تشردت يافا والقضاء ولم يتجاسر اليهود ان يدخلوا سلمة الا بعد جلانها ببومين ومثل سلمة طيرة حيفا في الشمال فانها صمدت والقرى المجاورة وهي اجزم ودير غزال وجبع الى ما بعد تسليم عكا وحيفا ثم خرجوا ليلا دون ان يصابوا او يظفر اليهود بهم .

ومع ذلك فقد شكلت جمعية للعناية باللاجئين من السادة : (سليمان طوقان ، عبد الحميد السايح ، ماجد عبدالهادي ، احمد طوقان ، جودت حبيب ، جميل قدومي ، نظام الشرايبي ، حكمت المصري .
ثم اشتركت مع المستقرين جمعية الصليب الاحمر ثم وكالة غوث اللاجئين التي تمدّها هيئة الامم .

عددهم ومساكنهم

بلغ عدد اللاجئين حسب الاحصاء الاول (٨١٧) الف نفس منهم (١٣٢) الف نفس لجأوا الى جبل نابلس و ١٩٠ الفا في رام الله واريحا وبلاد الاردن و ٢٦٠ الفا⁴⁵ في سوريا ولبنان و (٢٢٠) الفا في قطاع غزة و (١٥) الفا في مصر وقد اخرجوا بعد هذا العدد كثيرين فتجاوز العدد (٩٠٠) الف نفس .



(صوررتا اللاجئين في المغاور)



⁴⁵ اما الذين نقلوا الى العراق فبلغ عددهم عشرين الفاًنقلوا من لاجئي الاردن وسوريا ولبنان .

انتشروا في البراري وحول المدن والقرى يسكنون المغاور والاكواخ وظلوا في العراء الى ان وصلتهم المساعدات وأنشأت لهم الوكالة الدولية الاكواخ وبيوت الزنك واندس بعضهم في المدن والقرى يسكنون الخرائب والاماكن المهملة فتفشيت فيهم الامراض من البرد والرطوبة والتعرض للندا وحر الشمس وكانت حالتهم سيئة والذين خرجوا باموالهم استأجروا بيوتا بأجور فاحشة .

وقد اقامت لهم الوكالة التابعة لجمعية الامم⁴⁶ بيوتا مكونة من غرفتين ومنافع وخصصت لهم مؤن شهرية . وفي كل مخيم مدرستين للذكور والاناث ومسجد ودكان بقاله وخلافه ونقطة شرطة وخط سيارات وجلبت له المياه .



افتتاح جامع عسكر الجديد برئاسة الحاج معزوز المصري وعن يمينه يوسف رضا وعن يساره المؤلف فالسيد دهشت مختار المخيم

نفسيتهم وتصرفاتهم

ان هذه الحالة التي صار اليها نحو مليون من عرب فلسطين لم تكن بحسبانهم وانهم رغم نزول اكثرهم بين المستقرين لم يكونوا ليتحملوا او يصبروا على الكارثة وكانت حالتهم النفسية تزداد سوء كلما مضت الايام ولم يعودوا . وكانوا يجنون اذا نصحهم ناصح وقال لهم انظروا لشأنكم لان العودة تحتاج الى وقت . وكان فيهم من خرجوا ومعهم مبالغ لا يستهان بها وكان بإمكانهم ان يستغلوها في العمل الا ان املهم بالعودة ويأسهم حال دون ذلك فانفقوها عن آخرها واصبحوا صفر اليدين. وقد انطوا على انفسهم ونفروا من اخوانهم المستقرين وكانوا يدعون عليهم كأنهم هم الذين اخرجوهم من ديارهم . وكان المستقرون يسيئون اليهم كثيراً ولا سيما في الاقطار الاخرى . واني احكم بأن هذا من

⁴⁶ وصارت الوكالة تدفع لاصحاب الاراضي التي اقيمت عليها المخيمات ، دينار ونصف لكل دونم ثم عدل ل ٢ ونصف دينار .

ضعف الايمان واضمحلال التربية الدينية الاسلامية ولو كانت هذه التربية راسخة لتأسوا بالرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه لا سيما اصحاب الصفة الذين كانوا يطون الايام والليالي جوعاً .

التسلل والمتسللون

كان بعض اللاجئين دفنوا اموالهم في بيوتهم فصاروا بعد الهدوء النسبي يتسللون من الحدود بالليل ويدخلون القرى والمدن لاسيما اللد وينبشون ويخرجون ما دفنوا واستطاع كثيرون ان يستخرجوا مبالغ وحلي نسائهم واستطاعوا ان ينتفعوا بها في مصالحهم واشغالهم . ومثلهم قرويون تركوا دوابهم وبقرهم واغنامهم فكانوا يتسللون لاسترجاعها وسوقها وزادوا بالعمل لاكثر فشعر بهم اليهود فصارت دورياتهم تراقبهم وتفتك بهم فنتجت عن ذلك حوادث وفواجع.

الفصل الخامس

المستقرون

في قطاع غزة

اقتطع التقسيم من الساحل الجنوبي مقاطعة من اسودد الى الحدود المصرية في سيناء تشمل غزة والمجدل وخان يونس ودير البلح ورفع طولها نحو ٢١ كيلومتر او عرضها ٨ كيلومترات ومساحتها جميعها ١٧٠ كيلو مترمربعاً احتشد فيها (٣٠٠) الف عربي قد منعوا من دخول⁴⁷ القطر المصري واجبروا على البقاء في هذه البقعة بدون عمل عرضة للأمراض والبطالة والفقر .

ان تلك البقعة سهلية ساحلية مكشوفة لا يمكن التحصن فيه وكانت ترتجف دائماً امام سلسلة من المستعمرات اليهودية في النقب وكان الواجب ترحيل اهلها الى مصر او السودان او الى داخلية سيناء اذ كان بعيدوا النظر يتوقعون تعب سكانها الحاشدين بكل سهولة لا سيما اذا شغلت عنهم مصر بحادث ولم يهدأوا بل خرجوا فدائيين يتسللون الى المستعمرات والى اسرائيل . فحققوا عليهم كثيراً ولما اضطر الجيش المصري الى الانسحاب حين هوجمت بور سعيد احتل اليهود قطاع غزة وحاسبوا العرب على ما فعلوا .

احوال العرب في القسم الباقي من فلسطين لا سيما نابلس

بلغ عدد سكان الضفة الغربية بعد نزول اللاجئين نحو (٦٣٠) الفا في بقعة جبلية مساحتها خمسة آلاف كيلو متراً مربعاً فكان حشداً كبيراً.

⁴⁷ كان من اجتهادات الجامعة العربية ان لا يوطنوا اللاجئين في البلاد العربية بل يبقوهم على حالهم ويصبروهم بانتظار الرجوع كي يخرجوا اليهود وهينة الامم ولا يطعموهم بالقسم الباقي من فلسطين واخراج اهله منه لان اليهود كانوا ولا يزالون يقولون البلاد العربية واسعة

فضاق الامر على السكان الاصليين اذ اصبح اللاجئين يشاركونهم في جميع الاعمال والاشغال فحصلت ازمة اقتصادية خانقة ولو لا خروج الشبان الى الكويت والسعودية والعراق وامارات الخليج وامداد ذويهم بالاموال لهلكوا. كان على هذه البلاد ان تساعد آلاف المتسولين ومن لا مسكن ولا اثاث لهم ، وكان عليهم القيام بحراسة الحدود وعليهم ان ينشئوا حكومة ويقوموا بنفقاتها لا سيما الامن الذي اصبح صعبا لكثرة المشردين الذين طمعوا ان يمثلوا دور الفوضى واعتداءات سنة ١٩٣٨ الا ان التسلح العام حال دون ذلك. وقد سمعت احد رؤساء هؤلاء الشذاذ يقول لهم : (اوعوا يا اولاد تقربوا على الدور ، اليوم الكل مسلح اليوم الازعر بموت) . على ان هنالك حوادث كانت تقع من السرقة وقطع الطرق فيعمل لاظهارها وتاديب القائمين بها كان يقوم بذلك الضابطان كامل طوقان ومحمد علي الاسطه بالاستعانة بالجيش العراقي والحرس البلدي الذي شكله سليمان بك طوقان رئيس البلدية الذي كان يمثل دور الحاكم اذ ذاك .



(صورة السيد محمد علي الاسطه)



صورة السيد كامل طوقان

ولكن ثمت ناحية كانت تشمل عملهما وتحملهما على الاستقالة وهي مداخلة بعض الوجهاء واخراجهم للصوص وقطاع الطرق الذين يقبض عليهم.

ولما طفح الكيل اصطحبني المرحوم كامل طوقان الى البلدية واجتمعنا بسليمان بك فقال له كامل انني اريد الاستقالة فقال له ولم فقال له (ان بعض الوجهاء يخرجون للصوص من السجن قسرا) فحينئذ ثار سليمان بك وقال له (اسمع يا كامل اذا جاء اي وجيه ليخرج لصاً فاحبسه معه ولا تبالي) فقال لي السيد كامل: (اشهد ياخال) ثم خرجنا. لقد كان هذان الضابطان يستعينان بالجيش العراقي دون مبالاة فأدبوا الشذاذ واللصوص جميعاً .

اثر وجود الجيش العراقي في جبل نابلس

اما الجيش العراقي فقد حل في جبل نابلس الذي كان يسمى المثلث الخطر وكان عدده ثلاثين ألفاً . وبالإضافة الى الامن الداخلي والخارجي فقد كان وجوده منعشاً للحالة الاقتصادية الا انه كان ثقيل الوطأة فصار يقع بينه وبين الاهالي⁴⁸ اصطدامات فقام سليمان بك طوقان باقامة حفلة تعارف بين ضباطه والوجهاء . الا ان مثل هذا التدبير لم يجد فذهب الى بغداد السادة سليمان طوقان وحكمت المصري مصطفى البشناق وقدرى طوقان وقابلوا نوري باشا السعيد طالبين سحب الجيش العراقي لئلا يحصل ما لا تحمد عقباه فأمر بسحب الجيش فجأة فانكشف جناح الجيش السوري ففقد فرقة كاملة .

التخوف والامن

بعد انسحاب الجيش العراقي استولى الفزع على الاهالي فصاروا يخرجون اموالهم الى الخارج الا ان قيام آل النمر وآل العالول وآل المصري بانشاء عمارات رغم التدهور أوجد اطمئنانا بقدر الامكان

الفصل السادس

انشاء الحكومة والحرس والحراسة والحدود وأمن المدن

انهارت معنويات العرب وقضي على غرورهم وباتوا يتصورون حدوث الشر كل حين وقد وقفوا على الحدود وراء خطوط الهدنة في خوف وحذر لان التصادم على القرى المارة الذكر قد ارعبهم فتناسست القرى الامامية كل عداة وتنافروا وتضافروا على السهر والخفارة. وكانوا يتناوبون السهر في الخنادق ويتعاونون على الحصول على السلاح والعتاد فصمدوا بقدر الامكان رغم ضياع الاراضي وقد خصصت الوكالة لهم نصف بطاقة . وبعد امد غير

⁴⁸ وصارت ترد اموال المشتغلين في ممالك البترول فصارت تتلطف الازمة .

قليل أصبحت تجمع المملكة لهم المساعدات وتقدمها لهم بعد زيارات وإذا حصل اعتداء قامو بزيارتهم والتقديم لهم حتى انت لزيارتهم وفود من جامعة الدول العربية ومن الاقطار العربية .

ولكي نصور المشقة في حراسة حدود المملكة الاردنية مع اسرائيل -فيكفي أن نبين الارقام وهي (٦٥٠) كيلو متر مربع .

وبعد الضم أصبحت حكومة المملكة الادنية تعنى بالخطوط الامامية والحرس الوطني وقد جمعت لها التبرعات الكبيرة واصبحت تتصل وتتعاون مع الجيش العربي الذي دافع عن الخطوط الامامية دفاعاً مجيداً لا سيما بعد خروج كلوب البريطاني واشترك جلالة الحسين بالذات في ردهم عن قفيلية . وهبت البلاد العربية تزودهم وتمدهم بالمساعدات الا انها لم تستمر .

وقد تسلح الجميع فلم يقدر الصعاليك على مهاجمة البيوت الا ما ندر وقد مر قول احدهم لاخوانه ، يا ولاد اليوم الكل مسلح لا تقربوش عاليبيوت الازعر بيموت .

اما القرى فكادت تعود بينهم المشاجرات القديمة لولا ضغط الجيش العراقي كما حصل في بورين فقد فتحوا بين بعضهم جبهة قتال لولا مرور الجيش العراقي والمدحش انه حينما فتش القرية لم يجد شيئاً من السلاح . وقام الوجهاء بمصالحات سريعة للاخطاء⁴⁹ التي تقع .

تشكيل حكومة مديرين عربية

في كانون الثاني سنة ١٩٤٨ م اجتمع المندوب البريطاني لفلسطين السر كاننغهام والمستر هنري غيرني السكرتير العام بالدكتور حسين الخالدي سكرتير الهيئة العليا لعرب فلسطين وباحمد حلمي باشا وكيل رئيس الهيئة المذكورة وأبلغها ان بريطانيا ستخلى عن الانتداب البريطاني في ١٥ ايار سنة ١٩٤٨ ونصحها بضرورة تشكيل جهاز حكومي عربي يدبر شؤون الشعب العربي في فلسطين الا انهما لم يصدقا ولم يكثرثا في بادىء الامر ولما تأكد جلاء الانكليز وبعد ضياع الوقت شاور الحاج امين رئيس اللجنة العليا فوافق على تشكيل حكومة محليه من كبار موظفي الدوائر العرب باسم مديرين فسميت حكومة المديرين . الا ان الدكتور حسين اختلف مع الحاج امين من اجل مديرية الامن⁵⁰ وخرج من البلاد . وحينئذ تدخل جلالة الملك عبد الله وأعلن حل الهيئة العليا وعين حكماً عسكريين على رأسهم عمر باشا مطر كحاكم عسكري عام فقام بتشكيل حكومة مديرين مؤقته من الموظفين السابقين كما يلي: جميل بك نسناس " للمالية ، والسيد يعقوب عطا الله للاراضي والمساحة وماجد بك عبد الهادي (للقضاء النظامي) والشيخ عبد الحميد السائح (للقضاء الشرعي ، ومحمد بك خلف (للاشغال العامة ، والدكتور محمود الدجاني (للصحة ، واحمد آغا طوقان للمعارف ونصوح بك الطاهر (للزراعة ، والسيد نطيف الخيري للتجارة والصناعة) . اما نابلس فكان طاهر الزبيدي حاكم عسكري للواء نابلس يعاون مجلس استشاري من السادة

⁴⁹ منها في نابلس ما قامت به اللجنة القومية وهي صلحة اولاد ابي شلبك مع الجبالية. ومنها صلحة اولاد عنتر واولاد الخليلي قمت بها انا والزعيم الحاج احمد الشكعة .

⁵⁰ عين الخالدي شوقي بك سعد للامن فعين الحاج امين فايز بنك الادريسي فعزله الملك عبد الله .

سليمان طوقان وهاشم الجبوسي وحمي العبوشي عن البلديات وحكمت المصري وعبد الرحيم التميمي وعبد الرحيم النابلسي وفايق العنبتاوى عن البلد واحمد طوقان عن المعارف وعبد الله كردوس عن الادارة .

عهد حكومة المديرين

كانت حكومة المديرين خالية من المال وقد خدم الموظفون ستة أشهر بدون رواتب وبعضهم ترك. ولكن لما حصل الضم كوفي الثابتون بالترقية.

وكانت هذه الحكومة تعمل مع مجلس استشاري مكون من رؤساء البلديات وبعض الوجهاء وهم احمد طوقان وفايق العنبتاوي وعبد الرحيم النابلسي وخليل طوقان وقد عالجا مشاكل الكاز والطحين وعنوا بمشاكل اللاجئين ورعاية الطفل والمستشفيات وكانوا ينفقون على المصالح الضرورية مما يتجمع في صناديق اللجان القومية من رسوم التصدير والاستيراد التي فرضوها على تنقل سيارات الشحن . وقد اقاموا في المدن والطرق حراساً من ابناء البلاد برواتب ضئيلة

خلاف شكلي

رأت الجامعة العربية وجوب تشكيل حكومة باسم حكومة فلسطين قامت بها اللجنة العليا اي المفتي الحسيني وجماعته باسم حكومة فلسطين برئاسة احمد حلمي باشا . وقد رأى الناس ان هذه الحكومة لن تصمد وان الجيش الاردني اذا انسحب منها فقدت ولهذا فقد الغيت حكومة فلسطين المذكورة وأدير القطاع من طرف مصر وبقي الجيش الاردني في القسم الجبلي من فلسطين ومساحته خمسة آلاف كيلومتر مربع وهو يشمل الوية الخليل والقدس و نابلس. وقد حل الملك عبدالله التشكيلات التي شكلها المفتي وطرد اشياعه من هذا القسم الذي عرف بالضفة الغربية وبقي الخلاف والنزاع بين المفتي وجماعته من جهة وبين حكومة الاردن من جهة اخرى امداً إلا ان وقع الخلاف بين الحكومة الاردنية ومصر فتفاهم المفتي وجماعته مع الحكومة الاردنية بعد ان طاردتهم الدول العربية وعاد جماعتهم يترامون على القصر أكثر من الدفاعيين .

الفصل السابع

الانضمام الى الاردن

باب واحد فقط

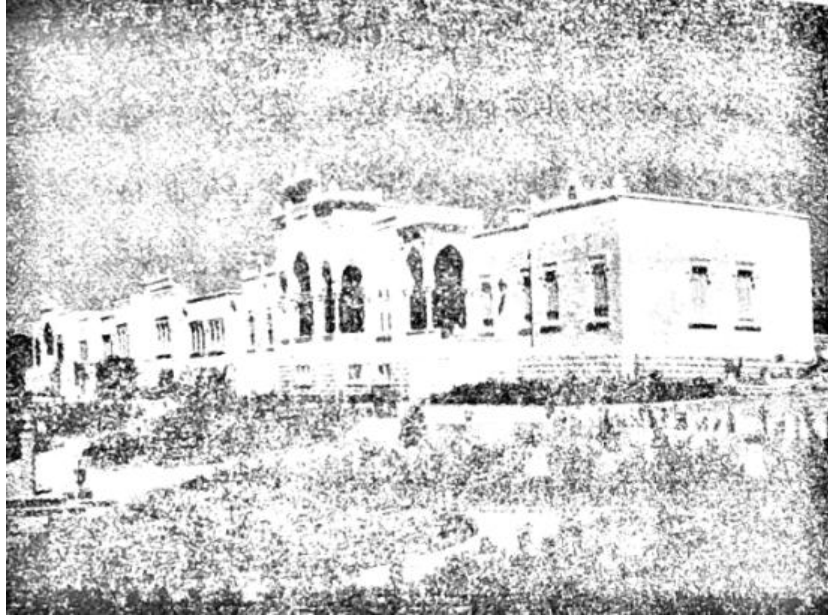
باستيلاء اسرائيل على اللد والرملة والنقب ووقوع قسم من الجيش المصري بالاسر انقطع رجاء المجلسيين (جماعة المفتي) من حكم مصر ومن حكومة غزة ولم يبق امام الضفة الغربية الا الانضمام المملكة شرق الاردن التي عرفت فيما بعد بالضفة الشرقية .

وانقسمت الاراء بين اهل الضفة الغربية هل يكون الضم اندماجاً ام اتحاداً فكان رأي بعدي النظر أن يكون بادىء الامر اتحاداً لمدة سنة تحت التجربة فاذا لم يمكن الاندماج بقي الاتحاد والا فالاندماج . وكان يرى هؤلاء بأنه منذ الاصل لم يكن الاندماج ممكناً منذ العهد العثماني واذ مضت مدة ربع قرن فقد تجسم الفارق اكثر .

اما حملة رأي الاندماج فكان الناحية الاقتصادية وانه ليس بالامكان ايجاد حكومة في الضفة الغربية ثم ادارة عليا للحكومتين بقطع النظر عما سيحدث من الخلاف والتنافر وما سيؤول اليه الحال كنتيجة لذلك .



منظر مدينة عمان _ وجامع الحسين



صورة قصر بسمان

مؤتمرات ومؤامرات

كان من شؤم عرب فلسطين انقسامهم بين فئتين اعمت المصلحة العائلية ابصارهم . فكان اذا حذب فريق شيئاً رفضه الفريق الثاني بدون تفكير مهما كانت منفعتة . وحيث ان الفريق المجلسي كان يكره الامير عبد الله وحاشيته بل حرصهم على الاستئثار بالكراسي فقد تبنا فكرة الاتحاد . فهب الدفاعيون يعارضونها ويعملون على الاندماج يساعدهم قواد الجيش العراقي والحكام العسكريون الاردنيون فعقدوا ثلاث مؤتمرات هي مؤامرات في الحقيقة اذ كانوا يعملون فيها على كم الافواه فلا يتكلم فيها الا المحبذون فعقدوا مؤتمراً في اريحا وآخر في رام الله وثالث في نابلس وقد⁵¹ حضرته وقد حرصوا ان لا تصل بطاقة دعوة لمن يمكن ان يخالف وكان فيمن وزعوا البطاقات شخص بود حضوري وهو الاستاذ وجيه البشتاوي فأخذ لي بطاقة فحضرت ولما قمت لا تكلم بدأ الهمس ونقل لي انهم لعنوا من سلمني بطاقة ثم لم يمكنوني من الكلام . ولم ارد ان اصبر لان المسألة تحتاج الى وقت كبير وتفاهم اكثر من جدل في مجتمع فجلست . ولكنني تأخرت بعد الجميع اتحدث انا وفضيلة القاضي الشرعي الشيخ محمد هاشم الخطيب فقط . وكنا نرى الخطأ في الاندماج فاذا بسليمان بك طوقان قد ظهر من اخر القاعة (مكتبة البلدية اليوم) وقال لي : لاحظت انك كنت تريد الكلام ، قلت له " نعم ثم لم تمكنوني ، فقال (لاننا رأينا انك ستعترض ونحن نرى انه من الحزم ان لا يعترض احد حتى يتم الضم بسرعة) . فقلت له اخطأتم فانا لا اعترض على الضم ولكن اريد ان يكون اتحاداً لا اندماجاً ما وقد فعلتم هذا فانك تتحمل المسؤولية فقال : (انني متحمل » . وكانت النتائج الخاصة والعامة ما عرفه الجميع من الفشل والتباغض . واعتقد انه لو كان اتحاد لكانت النتائج اخف

الانتخابات⁵² الاولى واعلان الضم والعمل للتساوي

بالرغم عن سيطرة الدفاعيين على الموقف فان الشعب ظل نافراً لانه يتسم بدعاية جماعة المفتي الذين كانوا ما يزالون يلوحون بحكومة فلسطينية يكونون هم قوامها . وعليه فان الانتخابات كانت معرضة للمقاطعة لولا طحين المصري ودنانيره ولولا تدخل رجال الحكومة والجيش بالفعل .

واخيراً تمت الانتخابات وفاز مرشحوا جماعة الدفاع في نابلس وغيرها وانعقد البرلمان وقرر ضم الضفتين في يوم مشهود هو يوم الاثنين الواقع بتاريخ ٧ رجب 1369 هـ الموافق لتاريخ ٢٤ نيسان سنة ١٩٥٠ م . ورغم الضجة التي قامت في الصحف المصرية والتي كان يثيرها جماعة المفتي ومن على شاكلتهم فان الضم قد استمر رغم ان الجامعة العربية اتخذت قراراً بفصل الاردن عن الجامعة العربية ووافقت على ذلك مصر وسوريا ولبنان والسعودية الا انه كان قراراً على الورق فلم يحدث أي صدى في الضفة الغربية فاضطروا الى تعديله بارجاع الاردن الى الجامعة مع وضع تحفظ (بأن الضفة الغربية ما زالت تابعة للتسوية النهائية) . واعلن الانكليز شمول المعاهدة للضفة الغربية أي وحمايتها ، وقد نسقت القوانين الأردنية والفلسطينية فالغيت قوانين كثيرة. وهكذا استمر

⁵¹ عقد في المنشية (مكتبة البلدية اليوم) في ٢٨ كانون أول سنة ١٩٤٨ بدعوة من سفيان بك رئيس اللجنة التحضيرية للاجتماع .
⁵² عاد ثقل الحركة الى نابلس وكانت الجبهة الوطنية اقوى جبهة انتخابية وكان اجتماع دارنا الكبير هو المرجح للكفة . ولم نشترك الا بشروط اشترطتها على النواب وهي فرض التجنيد الاجباري وتسريح الجنود المرتزقة والغاء المعاهدة أو تبديلها و اصلاح جهاز الحكومة وقد عمل النواب لذلك وداومت على المطالبات الاصلاحية حتى نهاية الحكم الاردني بسنتين فرأيت الرجوع الى عزلتي .

العمل من عامة الوجوه بحيث عين في دواوين الوزارات عدد من الفلسطينيين ، وشكلت الوزارة من اردنيين وفلسطينيين وهم : سعيد باشا المفتي (اردني) الشيخ عبدالله غوشه (فلسطيني) محمد باشا الشريقي (اردني) روي باشا عبد الهادي (فلسطيني) فوزي باشا الملقى (اردني) احمد بك طوقان (فلسطيني) سليمان باشا السكر ، اردني ، أنسطاس حنايا (فلسطيني) عبد الرحمن باشا خليفه و اردني ، هاشم بك الجبوسي (فلسطيني) احمد بك الطراونه



صورة الملك عبد الله

(اردني) . وهكذا سارت الوزارات التالية على هذا النحو⁵³المشترك وفيما بعد عين راغب باشا النشاشيبي رأس الدفاعيين وزير دولة وناظراً للحرم الشريف وحارساً سامياً للاماكن المقدسة . وبعد موته عين سليمان بك طوقان وزير بلاط . وهكذا عين مدير و وزارات وسفراء من الفلسطينيين للتعاقد بين الضفتين ولما كان رئيس الوزارة اردني فيكون رئيساً لمجلس النواب فلسطيني فانتخب السيد حكمت المصري.

ختم الحوادث

وبالانضمام الى الاردن اصبح تاريخ الضفة ضمنها وقد الفت كتب عن هذا فليرجع اليها من شاء .

⁵³ في ٣٠ ايار سنة ١٩٥٣ م .

القسم الثاني - الاحوال العامة

الباب الاول

دخول مدنية الغرب وانظمتها

الفصل الاول

مبادئ تطبيق النظم الحديثة

احراج الدولة العثمانية وتخرجها

كان اكتساح محمد علي باشا لسوريا والاناضول حاملا للسلطان محمود على عقد محالفة مع روسيا جعلت الدولة العثمانية تحت حمايتها . ثم تدخلت دول اوروبا الغربية وعقد مؤتمر لندن فكان من ضمن قراراته اعتبار الدولة العثمانية دولة اوروبية وقد تعهدت الدولة العثمانية لقاء هذا بفتح ابوابها للمدنية والنظم الاوروبية . فخلع السلطان ووزرائه العمامة ووضعوا بدلها الطربوش ولبسوا البذلة وبدأوا بتغيير الازياء والمظاهر وصاروا يقتبسون انظمة اوروبا وقوانينها واخذ الشعب يقتدي بهم بالتدرج مع الاشمنزاز . لقد شمل التغيير والتقليد اللباس والاثاث واخذ يدب الى العادات والتقاليد

فتح جبل نابلس للغرباء

اقفل جبل⁵⁴ نابلس بوجه الغرباء بعد نزول الأمامية ولم يعد ينزله غرباء لا حكماً ولا جنوداً وتبلورت العادات فأصبحت له تقاليده ونظمه يعرفها ويطبقها الصغير والكبير واصبح الشعب النابلسي قائماً بذاته في التقاليد والعادات والنظم . ولقد بينتها في ابواب وفصول الجزء الثاني.

وبالرغم عن الغاء نظام الاقطاع واعلان الانظمة الجديدة فانه ظل مغلقاً يقوم رجالته بالوظائف والالتزام ونحوه حسب النظام الجديد فالقائم مقام ورجال المحاكم والجمارك والجندرمه وغيرهم جميعهم من ابناؤه فاستمر اقفاله مدة خمسين سنة اخرى في عهد النظم الحديثة .

ولكن حالما شكلت المتصرفية فيه فتحت ابوابه للموظفين الغرباء من متصرفين ومحاسبين وضباط وجنود وقضاة وكتاب وكذلك ابناؤه فانهم اصبحوا يخرجون منه فيتصفون بصفات حديثة .

كان الموظفون الغرباء ياتون وقد تفر نجوا في لباسهم واحوالهم وكانوا يشترطون على الموظفين من ابناء البلاد بأن يقتدوا بهم ويقلدونهم . وهكذا كان ابناء جبل نابلس الذين يخرجون الى سائر ولايات الدولة العثمانية فانما كانوا يتغيرون في كل شيء . وثم شيء اخر طراً وهو الزواج من بنات الموظفين والتزوج بالغريبات في الغربة فحصل تبدل وتغير في الدم واللون والمزاج وكل شيء .

⁵⁴ وهذا الكلام نفسه كان ينطبق على ولاية الشام لاستقرار بيت العظم فيها وتوالي الولاة منهم كما بينته في مؤلف استقلال وامتياز ولاية الشام .

دخول المدنية الغربية

دخلت المدنية الغربية مبتدئة من لباس الرأس وهو الطربوش الذي كان يصنع في بلاد النمسا ثم البذلات الافرنجية التي كان قماشها يأتي من الخارج وصناعها اجانب . ثم بدأت الانارة بالكاز فاقتضى هذا شراء ادواتها من المصانع الأوروبية واتسع الامر حتى شمل جميع الادوات البيتية والاثاث واصبح هذا او ذاك يأتي جميعه من الخارج واصبح في الشعب ازياء مختلفة ونزعات متباينة ومظاهر مختلفة ولهجات وتكلم بالتركية وبالفرنسية الخ .

وقبل دخول أول سيارة بدهشة . ومن حسن حظي انا وبعض رفاقي من العائلة ان نرى مرور أول سيارة ولما قلنا اننا شاهدنا عربة تمشي بدون خيل ولا جر ولا دفع ظنوا انه قد حصل لعقولنا شيء . وقد رابط اصحاب العربات حبالا على الطريق فقطعتها السيارة واخير باعوا الخيل واشتروا سيارات.

وكذا كانت في نابلس امرأة تونسية وكم كان استغراب الناس حين حدثتهم عن التليفون اذ تقول نتكلم مع بعضنا ونحن في بيوتنا .

تطور في البناء

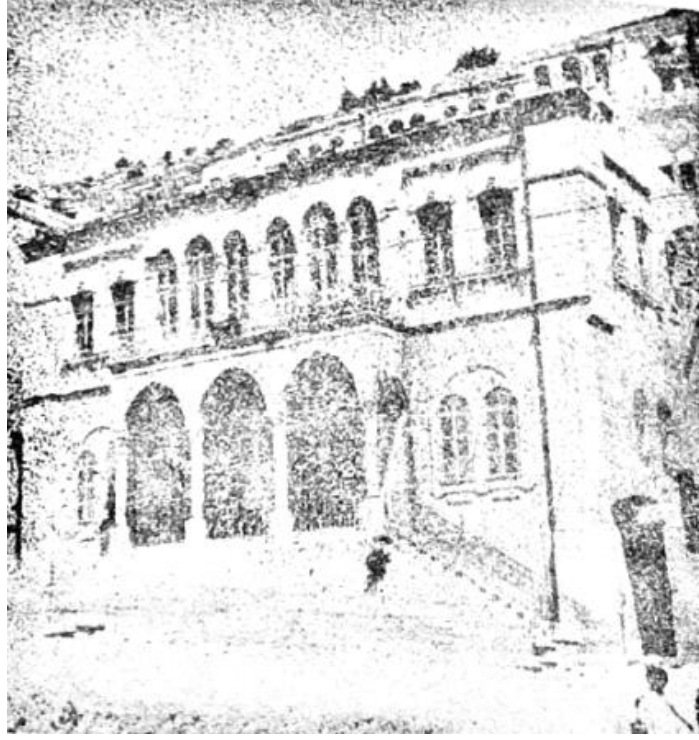
وقد تطور فن البناء بظهور الكرميد وسطحه المسنم وقد صحبتة في نابلس خريطة جديدة غرف من الجانبين بينهما صالون وخريطة اخرى للحاج توفيق حماد وهي صالونان متقاطعان وغرف في الزوايا الا انها لم تنتشر اذ ثبت ضعفها . وظلت الجدران عالية والغرف واسعة .

ثم ظهر الباطون وسطحه المستوى واخذ ينتشر بسرعة لقلّة تكاليفه وقصر مدة بناءه وقصر جدرانه وصغر غرفه . وفي هذا العهد بنيت المئذنة الاثني عشرية⁵⁵ لجامعي الساطون في نابلس وجامع فاطمه خاتون⁵⁶ في جينين . اما الاسطوانية فكانت موجودة منذ الفتح العثماني الجامع النصر والمئذنة المئذنة كذلك وهي التي لا تزال قائمة للجامع الكبير.

و بنيت دور كبيرة في نابلس والسلط كما يرى في الصور .

⁵⁵ بنى الماذن والدور المعلم الباش معمار القلفة الحاج سعيد الصروان .

⁵⁶ فاطمة خاتون هذه بنت السلطان قاتصوه الغوري .



(دار علاء الدين بك طوقان)

الفصل الثاني

محاسن النظم الحديثة ومساوئها

التجنيد الاجباري

كان اهم ما حدث في هذا العهد التجنيد الاجباري فانه اجبر شبان نابلس على الخروج من بلدهم. ، وقد كان التجنيد مدرسة في كل شيء لا سيما للقروي الحراث أو الراعي فانه كان يعود وقد تبدلت عقليته وتحسنت كثيراً ومنهم من كانوا يترقون في الجيش ويتقدمون كما مر في أول هذا الجزء الماضي . الا انه من ناحية اخرى حصد شبان البلاد فحصل توقف في النسل الى حد كبير . لانهم كانوا يقضون مددا طويلة في اقطار واقاليم بعيدة ولا تنتهي مدة الجندية الا في الاربعين من العمر

وكذلك كانوا بتغريبهم مدداً طويلة تتبدل احوالهم وعاداتهم حتى ولغتهم حتى ضرب المثل باستئراهم . وكان الفرق واضحاً بينهم وبين من ظلوا في بلدهم ناشئين بثقافتهم البلدية .

الخروج الى المدارس والوظائف

كان النابلسي مفرطاً في حب بلده وكان يصعب عليه مفارقتها وكان يخشى السفر شمالاً الى جينين⁵⁷ وبيسان لانتشار مرض الملاريا فيها وكذلك الى الشرق لمروره من الاغوار وعن الشريعة (الأردن) وكذا الى القدس لان ماكلها تطبخ بالسيرج . فكانوا يودعونه ويسلمون عليه اذا عاد سالماً من هذه البلاد المجاورة . وكان ما وراء هذه البلدان اعظم صعوبة وما تجاوز سوريا ومصر والحجاز كانت تسمى بلاد «جوه» فيودع الذاهب اليها وداع الفراق بالبكاء والنحيب . الا انهم اضطروا في هذا العهد للجندي ولبعادة الوظيفة الى ارسال ابنائهم الى الخارج (بلاد جوه ، . وكانوا يعينون بوظائف في اطراف الممالك العثمانية واصبح التغرب امراً مرغوباً بل فخراً فانتشر ابناء نابلس في جميع انحاء الممالك العثمانية فكانوا مثال التضامن والاتحاد والتمسك بعاداتهم وتقاليدهم وقد اظهروا من الكرم والشجاعة والتعاون ما حمل الجميع على احترامهم . على ان كثيرين منهم يغيرون لهجتهم النابلسية لا سيما لفظ القاف ظناً منهم ان لهجتهم ولفظهم القاف خطأ لما يرون من تبكيت الجهال عليها . واللوم يقع على العلماء الذين لم يفهموهم انها الامالة الكبرى واللفظ الصحيح للقاف وان من الفخر الثبات عليها . وكثيرون منهم تبدلوا كلياً وتوطنوا في الخارج ولم يعودوا لبلدهم وان عادوا كانوا بدلاء لا اصلاء

سلك الجاندرمة

كان هذا السلك حسناً جداً الا انهم صاروا يستتبيون العصاة واللصوص ويستخدمونهم فيسلكون طرق واساليب قاسية حتى اصبحت هذه الدائرة من اهم العوامل التي نفرت الشعب من الدولة العثمانية . اما في العهد البريطاني فقد كانت في بادئ امرها اخف الا انها عادت فانعكست فصارت تتسلط وتفرض الغرامات والعقوبات المتنوعة .

ملجأ العجزة

أسس في نابلس سنة ١٩٥٠ م للرجال والنساء وهو من اعمال الهلال الاحمر وقد اشرف عليه في اول التأسيس الدكتور احمد⁵⁸ سروري ولا يزال هذا الملجأ يعمل . وقد اسس ايضاً فرع للهلال الاحمر سنة ١٩٤٤ .

⁵⁷ لما ارادت الحكومة بناء دار حكومة في جينين رفض البناؤون الذهاب اليها فاقتربت عليهم الحكومة والذين أصابتهم القرعة اجبرتهم الحكومة فخرج اهلهم لوداعهم الى خارج المدينة بالبكاء ولما عادوا استقبلوا بمهرجان

⁵⁸ وقد كان يتولى رئاسة المستشفى الوطني بنابلس من سنة ١٩٣٤ م الى سنة ١٩٤٥ م وقد تولى رئاسة بلدية نابلس بالتحكيم فترة من الزمن.

تطبيق نظم الصحة وطرق الوقاية

وفي هذا العهد طبقت نظم الصحة الحديثة واصبح يضرب على ايدي المتطبيين والدجالين لا سيما الدايات اللواتي كن يلبسن رأس الطفل قبعاً ، قلنسوة ، فلا تزال الا يجلد رأسه وفقدان جذور الشعر فكان يكثر في نابلس القرع الا انه في هذا العهد خف الى حد كبير . وكانت المجاري باقنية على وجه الارض فكانت الطريق عبارة عن مصطبتين والمجرى في الوسط فكان كثيرون يسقطون وتكسر اعضاؤهم ففي هذا العهد



(صورة الدكتور احمد سروري)

غطيت الاقنية ورصفت الشوارع ، وكانت كل عائلة لها مزيلة تبقى فيها النفايات والاوساخ الايام والاسباع وبعد ظهور البلدية زال هذا وتحسنت الاحوال . وكانت الظروف تقضي باقتناء الخيول والحيوانات والغنم والدجاج والحمام وبهذا كانت توجد او خام وروائح كريهة وبزوال الحاجة لهذا جميعه على اثر ظهور السيارات والدراجات ذهبت تلك الروائح وحلت محلها روائح البنزين وشحوم السيارات والآلات وزيوها . اما من ناحية نظافة الاجسام والبيوت فقد تغيرت لان الموظفين وابناء المدارس صاروا لا يصلون الا يوم الجمعة او تركوا الصلاة فتركوا الوضوء الذي يضمن النظافة الدائمة واصبحت تشم له رائحة كريهة من النتن والبخر ومن الصابون والزيوت الافرنجية وفي هذا العهد اسس المستشفى الوطني، وعيادة مار يوسف والارسالية الانجليزية وقد مر ذكرها وتطورت الاحوال واصبحت الصحة حسنة ولا صحة لما ذكر في كتاب ولاية⁵⁹ بيروت من ادعاء وجود مرض سيلان في نابلس واليك رد الطبيب الفاضل المخلص الذي اجمع البلاد على حبه وتقديره وهو الدكتور صدقي ملحس خريج كلية الطب العثماني في استانبول ان لواء نابلس اكثر ريته الساحقة من المسلمين المتدينين المتمسكين بدينهم وتقاليدهم وعاداتهم القومية العربية الاسلامية وهو خال من الاجانب الذين دنسوا عواصم الشرق برذائلهم .

⁵⁹ كان طلاب كلية استانبول للادارة والسياسة حينما يتخرجون يلزمون في دواوير الولايات وكان من هؤلاء الخريجين السيد رفيق التميمي النابلسي وبهجت بك الحلبي . فالصفا هذه الوصمة بنابلس لظاهرة بسيطة وهي وجود بعض المصابين ببعض الامراض الشبيهة بهذه الامراض وبالتحقيق العميق ظهر لي ما يلي : كان سعيد البكر من قرية جمع عصبي المزاج وقد لقبوه بابي غضيب وكان قوي القلب يتجول في البراري فصادف احد الوحوش فصارعه وصرعه الا انه اصيب بحبة حمرة ظنوها وقلعاط ، اي جذام فاخرجه من جميع فسكن في خرائب جامع تنكز -

ولهذه الاسباب فان ما جاء في كتاب ولاية بيروت من أن مرض السيلان منتشر بين سكان نابلس لهذا العهد لا اساس ولا صحة له .

تبدل اساليب الرياضة

اشتهر جبل نابلس بضخامة الاجسام وقوتها وجمالها مع الهيبة فكان رجاله موضع اعجاب ودهشة رجال الدولة العثمانية السلاطين والوزراء والقواد والولاة فقد كانت جسامه موسى آغا النمر وقوته وصوته الحنون اهم عامل في نجاح مهمته عند السلطان محمود الثاني العثماني، وكان اسعد بك طوقان واعيانها موضع دهشة رجال ولاية دمشق ، وقد اختار السلاطين حرسهم من جنود نابلس ولما زار السلطان عبد العزيز العثماني عواصم اوربا كانوا معه فدهش من جسامتهم اهل باريس فسألوه فقال هم رجال عربستان وكلهم⁶⁰ مثلهم . فسألوه عن غذائهم فأمرهم بأن يعملوا الفتيت و ياكلوا كما ياكلون في بلادهم. وكم كانت دهشة اهل باريس حينما وزنوا «درماية» لقمة احدهم فكانت كيلو غرام فتصيحوا يقولون في حرس السلطان غيلان. ومن نوادرهم ان احد حراس السلطان عبد الحميد كان من جبل نابلس فخرج السلطان عليه ليلا فوجده قد نام فاخذ بارودته دون ان يصحوا ثم صلح به بالتركية (قاق أولان) اي قم يا هذا فلما رأى السلطان ولم يجد بارودته ركض الى المدفع فحمله وكان يحتاج الى اربعة من العاديين فضحك السلطان منه ورقاه . ومنهم من وجد جملا قد وقع في سقيفة ولم يقوى على الخروج فانتشله وحده. وكان سر هذا جميعه ولوعهم بالرياضة حتى الشيخوخة ، فقد سمعت ان السيد سليم ياسين المصري مات وهو يلعب فسختين ونطه) وكان رجلا كهلا وله اولاد وكنت ارى الشيوخ يلعبون العلام بالاحجار والرصاص وناهيك عن اللعب على الخيل وتجدير الاراضي والحواكير الذي لا يتورع عنه الامراء والشيوخ ولقد شاهدت عمي المرحوم حسين آغا حتى اخر حياته يبني جدران البستان والميدان ويأخذني معه فأساعده. وقد تبدل هذا وحلت محله الالعب الرياضية الحديثة التي اصبح لفرق نابلس بها شأن كبير.

تغير اساليب الرجولة بظهور السلاح الناري

وفي أول هذا العهد ظهر السلاح الناري فسقطت قيمة السلاح الابيض الى حد كبير فقال الرجال البارود أبطل المراحل ، . وصار شيخ القبيلة او العشيرة يجمع رجاله ويكسر سيفه ويقول هم . اشتروا بندق ما عاد للسيف اصل . . على أن هذا السلاح له اساليبه وتدريبه وله حمايته وكذا تغير كل شيء من اساليب الحياة في هذا العهد . وكفى ان النوايلة كسبوا به معركتين ضد الفرنسيين . وقد ادركت مقاصيرنا وهي مزدانة بالقرابينات والطبنجات والبواريد وقد اشتركوا في حروب الدولة العثمانية ضد الروس وضد الحلفاء في معركة انا فارتة المشهورة.

⁶⁰ الذي لقب بجامع المساكين وقد اطلق عليه هذا الاسم لانه كان ملجأ له ولا مثاله واصبحت عادة كل من يصاب بشيء من هذا القليل نقلوه الى هذه الخرائب فاجتمع فيه المصابون وهم : سعيد البكر المار الذكر وزينب السيلوية وام يوسف من طولوزة وعد الله وفاطمة من كفل حارث وآخرين. واذكر اننا كنا تجالسهم وتحادثهم ولم نصب بشيء مما اصابهم .

تسجيل الاراضي

لقد كان لتسجيل الاراضي فضل كبير في حفظ كثير من الاراضي وحقوق الوارثين . الا انهم ارتكبوا خطأ كبيراً في تسجيل مساحات كبيرة وقرى على اسم مالك واحد او لاسم شيخ القبيلة وهم قصدوا حفظ حق الدولة في الضرائب ولكنهم اضاعوا حقوق الزارع وقد ظهرت مساوى هذا بعد الحركة الصهيونية لا سيما في اراضي مرج بن عامر و اراضي وادي الحوارث .

وقد رفض كثير من الشيوخ تسجيل الاراضي باسمهم خوفاً من الضرائب فقال عبد الفتاح آغا النمر (مين يطلقني مرتي) . ف سجلوا الاراضي القرى الاقطاعية على الفلاحين اما اراضي العائلة وبساتينها فقد سجلت وهم في التوقيف اما شيوخ السلط فرفضوا بالكلية قائلين (ما بعد الطاب الا الجراب) . ومثل هذا ما قاله صالح السليمان شيخ عشيرة الجرادات نحن نحمل ارضنا وعرضنا بسيوفنا ما نحتاج الى تطويها ما بعد الطاب الا الجراب " . وبهذا اضاع كثيرون اراضيهم. اذ صارت الدولة تسجل باسم اي شيخ يتعهد بدفع الضريبة فتسربت اراضي كثيرة الى الجمعية الصهيونية لسهولة نقلها في الطابو .

اخطاء نظام التوظيف

كانوا يأتون بموظفين غرباء من البلاد الخارجية برواتب محدودة وكانوا يدفعون مبالغ للتوظيف والأجور التنقل فيضطرهم هذا وذاك الى فتح الرشوة والى التآمر على مصالح الناس . وكان بعضهم شركس واثراك و اكراد الح . فعدم معرفة لغة البلاد يسبب لهم وللشعب متاعب وسوء تفاهم .

وبالرغم من كل هذا فانه افضل من العهد البريطاني فقد كان مبنياً على الحرمان والاحتقار للعرب اذ اصبح الانكليز في الدرجة الأولى واليهود في الدرجة الثانية والعرب في الدرجة الثالثة . وقد تعمدوا وضع العراقيل بوجه الطلاب العرب . ومن مكايدهم انه اذا تقدم طالب عربي يحمل شهادة ثانوية فانهم يكلفونه ترجمة قطعة من الجريدة الرسمية الامر الذي لا يستطيعه خريج الجامعة الاميركية لان لغة الجريدة الرسمية لغة رسميه ولغة الطالب لغة مدرسيه

الخطأ في نظام الاعشار

ان الخطأ الذي حصل هو في اعطاء التزام قرى عديدة أو ناحية باكملها لشخص واحد وهذا ادى الى استمرار الاقطاع وكان الواجب تحديد العدد واعطائه في نواحي متعددة وكانت مزايدات الاعشار تجرى من مجلس الاحالة المنبثق عن مجلس الادارة ويقدم الملتزم سند كفالة بثلاثة اقساط .

صورة سند احالة قرى عشرية

عن بدل أعشار القرايا المشروحة أدناه بمقاطعة نابلس سنة ٦٨ ثمانية وستين سيلون ، دوما ، مجدل بني فاضل ، تلفيت ، عزموط ، دير الحطب ، قريوت ، الساويه ، قصره ، يانون، الطيره ، جوريش ، عسكر وروجيب بيتا ثلث ، بلاطه ، أودلا ، كفر بيتا .

فقط ثمانية آلاف وأربعمائة وثلاثة وثمانون غرش لا غير الباعث لتحريره هو أنه بتاريخه ترتب عندي أنا الواضع اسمي وختمي فيه الى جناب السيد مصطفى حقي أفندي الافخم ملتزمات كمارك ورسومات الاوليه حالا والى مدرا الكمارك والرسومات المذكورة جناب فسبار أغا مبلغ قدره وبيانه من القروش الاسدية والمعاملة السلطانية الصاغية ثمانية آلاف وأربعمائة وثلاثة وثمانون غرش الذي نصفها حفظاً لاصلها أربعة آلاف ومايتين وواحد واربعون غرش ونصف عنما هو هذا المبلغ بدل أعشار سباهية القرايا المرقوم أعلاه قدرهم سبعة عشر قرية التابعين المقاطعة مشاريق نابلس وذلك بموجب التفويض والاصالة التي حصلت الآن في التزامي القرايا المذكورة من جناب الملتزمين المومى اليهم أعلاه وعن سنة كاملة ابتداءها غرة سنة ٦٨ ثمانية وستين ونهايتها شباط ختام السنة المذكورة وقد تعهدنا لحضراتهم بضبط واردات رسومات القرايا المرقومة بمناولتها بموجب التعامل القديم والاصول الجارية المحلية تطبيقاً للارادة السنية وتوفيقاً لمعاهدة الدولة العلية من دون أن يقع منا خلل بأخذ أو بمناولة شيء زيادة عن العادة والمغاير للرضى العالي منا الدعوى بالضرر والخسارة واذا حصل منا الادعا بالضرر أو بالاذيان أو بوجه من الوجوه لا تسمع منا ولا تعتبر بالاطلاق البالغ بدل التزام القرايا المرقومة بالسنة المسطورة مبلغ ثمانية آلاف وأربعمائة وثلاثة وثمانون غرش كما تعهدنا أن ندفع المبلغ المذكور في أواخر تشرين الثاني سنة ٦٨ الى صندوق كمرك نابلس بموجب سندان وعلى هذا الاوجه قبلنا برضانا واختيارنا السبعة عشر قرية المرقومات من دون دعوى ضرر وخسارة ولا مناولة شيء زيادة عن السلوك به بالتعامل القديم والاصول الجارية المحلية واشعارا بذلك اقتضى تحرير هذا السند تحريراً في غرة مارت سنة ٦٨ ثمانية وستين .

القايل بما فيه صحيح

عبد الفتاح النمر

على الوجه المشروحة بهذا السند الممضي والمختوم من جناب عبد الفتاح النمر بالتزامه السبعة عشر قرية سنجد نابلس البالغ قيمة بدل أعشار القرايا المذكورة على سنة ٢٦٨ ثمانية وستين ومايتين مبلغ ثمانية آلاف وأربعمائة وثلاثة وثمانون غرش صاغ الميري فنحن الواضعين اسمائنا واختامنا أدناه كافلين كفالة مالية وGRAMMA على جناب عبد الفتاح أغا الملتزم المومى اليه وبالوقت المعين المعلوم أعلاه نقوم بدفعة من دون تعلل بزمانه واوقاته من غير دعوى ضرر و اذيان واذا انعاق المبلغ المسطور ولا اندفع بوقته حله نقوم بدفعه علم وجب شروط هذا السند تحريراً غرة مارت سنة ٦٨ ثمانية وستين

القايل بما فيه صحيح

درويش مقبول

القايل بما فيه صحيح

اسعد ياسين

الغاء نظام الطبقات

خففت حقوق الاشراف اسماً في بادىء الامر ثم الغيت كلياً بعد اعلان الدستور العثماني اذ قال أنور باشا وزير الحربية العثمانية ان الاعفاء من الحرب معناه الاعفاء من الجهاد فرسول الله وأصحابه الكرام هم الذين قاموا بالجهاد فذرياتهم أولى الناس بالجهاد وبهذا رفض الاعفاء .

وبعد الغاء امتيازات الاشراف اهتمت جميع الانساب ولم يعد أحد⁶¹ يهتم بالانساب الا القليل.

الباب الثاني

القضاء والادارة

القضاء النظامي

انواعه ودرجاته

افضل ما في القضاء النظامي تنويجه اذ شكلت محكمة بداية الحقوق والاراضي تعقد برئاسة القاضي الشرعي الذي اعتبر رئيساً للعدلية ومحكمة للجزاء وكلاهما من قاضيين ورئيس ومحكمة صلح للمشاكل والقضايا البسيطة من قاض منفرد ومحكمة تجارة وحين الاضطراب والاخلال بالامن تشكل محاكم عسكرية

الا انه ارتكب باسم هذا القضاء أخطاء منها ما كانت أساسية ومنها ما كانت خروجاً على الدين الاسلامي كما حصل في العهد العثماني . ومنها ما كانت تدبيراً للنكايه والايقاع كما حصل في العهد البريطاني

(درجاته)

ويلي التنوع في الاهمية الدرجات فقد جعلت ثلاثة : الدرجة الاولى سميت البداية والثانية الاستئناف والثالثة التمييز فالبدايه هي للتسجيل وما لم يسجل لا ينظر اليه بعد . ويحق في الدرجة الثانية اعادة النظر في البيانات ، وفي الدرجة الثالثة أي التمييز يجري التحقيق القانوني بين قراري الدرجتين البدائية والاستئنافية فالذي يرى موافقاً يؤيد والا ينقض ولهذا أعطيت الدرجة الثالثة حق النقض والابرار وهكذا سميت في مصر . ففي العهد العثماني كانت محكمة التمييز في استانبول وفي العهد البريطاني كانت الدرجة الثالثة تسمى المحكمة العليا وتم درجة رابعة هي مجلس الملك الخاص وهو في لندن وكانت نفقاتها باهظة لا يقدر عليها الا النادر فكانت لا تحقق العدالة وكانت اسماً قلما

⁶¹ وقد ثبت أن اهتمامهم كان للامتيازات وقد زورت انساب كثيرة عن طريق التصوف لكي يكسبوا هذه الامتيازات . وكذا للمباهاة وهذا ما حملني على عدم التحقيق ولو حققت لزيغت كثيراً من الانساب راجع هامش الصحيفة (١٦٥) من الجزء الثاني .

يصلها احد وكانت تبقى القضية السنين الطوال فاتخذت سبيلا لتعقيد المشاكل والنكاية لا حصل في دعاوي البلديات الفلسطينية سنة ١٩٤٦م.

التعقيد والانحراف

كان القضاء الاسلامي في غاية البساطة فكان العدل فيه مضمونا اذ لا يوجد مجال للجدل والنكاية واضاعة الحقوق فكان الحكم يتم في يوم وبدون تطويل ثم يصدقه المفتي وقاضي المحكمة الكبرى فيكسب الصورة القطعية .

ولما وجد القضاء النظامي كان فيه تعقيدات يمكن عن طريقها النكاية واضاعة الحقوق كما ذكرت في العهدين العثماني والبريطاني . وقد مثلت باسمها مآسي يندى لها الجبين . اذ نتج عن التعقيد اطالة البت في الخصومات والتحدي على حساب ذلك واضاعة الحقوق فارتكبت جرائم ادت الى الدمار .

وقد اتخذ المتزعمون من القوانين وسائل الغصب الحقوق لا سيما مسألة التصرف ومرور الزمن فاعتصبوا حقوق أقاربهم⁶² وأملاكهم .

المحكمة الشرعية

اعتبر مجلس الشرع الشريف محكمة بدائية وجرى من صلاحياته ولم يبق له الامسائل الوقف والاحوال الشخصية (وضمنها عقود الأنكحة) ومسائل الارث وجعل على درجتين بداية وتدقيقات (الاستئناف اليوم) ولهذا كان ولا يزال ضعيفاً وقد كتبت مراراً بطلب درجة ثالثة ، فعُدل يضم قاضيين المحكمة الاستئناف فتكون كدرجة ثالثة وقلماً عقدت

(القوانين)

مجلة الاحكام العدلية

كان القضاة يجتهدون في أحكامهم حتى يجدوا الحكم الموافق للدعوى والبيئة التي تثبت لديهم ، وكانوا يلاقون صعوبات شديدة لا سيما قضاة المذهب الحنفي لان الفقه الحنفي لم يحصل فيه تنقيح كما حصل في الفقه الشافعي وكانت لا تزال مسائل كثيرة في المذهب الحنفي أشناتاً متشعبة . وقد رأى رجال النهضة العثمانية الحاجة⁶³ الى جمع القواعد الفقهية في المعاملات على رأى واحد والحصول على ارادة سلطانية للعمل بها في المحاكم الشرعية والحقوقية فشكّلوا جمعية علماء من كبار الفقهاء في الدولة العثمانية يعقدون اجتماعاتهم في ادارة مجلس

⁶² كان زعماء ورؤساء عهد الاقطاع يعملون لبناء أقاربهم وأتباعهم وذويهم لانهم يعولون عليهم . الا أنه بعد تشكيل الحكومة النظامية وقوتها فانهم أصبحوا ايسليون أقاربهم ويضعفونهم وينفقون جميع ما يصل لا يديهم هدايا وولائم للحكام فأفقروا أقاربهم وقطعوا علاقاتهم بالاقربين والبعداء حتى أصبحوا كعمود الانداعة لا تكأة لهم فمن يسقط يهوى إلى القرار وبهذا اضمحلت الزعامة الحقيقية وأصبحت وجهة عمودية لا سند لها وقد ظهر أن دعاة الزعامة أو هموا الناس وكان تمويلهم على الحكومة فبمجرد تحول الحكومة عنهم تضحّل قيمتهم . وقد ظهر هذا واضحا للميان حتى وقتنا الحاضر .

⁶³ هم مصطفى رشيد باشا وزير السلطان عبد المجيد الاكبر (١٢٥٥هـ - ١٢٧٧هـ) والسر عسكر رضا باشا و طاهر باشا الجنكلي والسر دار عمر باشا ومحمد باشا القيرصي وأحمد فتحي باشا والداماد محمد باشا وفؤاد باشا

التنظيمات⁶⁴ وحرروا كثيراً من المسائل . ثم اهتمت الى أن بعثها عالي⁶⁵ باشا وشكل لجنة كبار العلماء في الدولة فأكملوا ما بدأ في زمن سلفهم فأخرجوا كتاباً اسمه مجلة الاحكام العدلية تشمل (١٨٥) مادة) قدمت بتقرير قدم للوزير عالي باشا ومقدمة عن القواعد الفقهية في (٩٩) مادة والباقي قسم الى ستة عشر فما تشمل أحكام البيع والاجارة والوكالة والكفالة والحوالة والرهن والامانات والهبة والغصب والحجز (والشفعة والاكره) والشركات (ويشمل القسمة) والصلح (والابراء) والاقرار والدعوى والبيانات والقضاء . وقد دام العمل الاخير من سنة ١٣٨٦ هـ الى سنة ١٢٩٣ فطبعت بالتركية بأمر السلطان عبد الحميد ثم ترجمت الى العربية وأصبحت مرجعاً للمحاكم الشرعية والحقوقية . وقد شرحها⁶⁶ بعد أمد العلامة علي حيدر⁶⁷ التركي وباز اللبناني . وبهذا سهلت⁶⁸ امام القضاة والمحامين بناء الاحكام بصورة واضحة .

سن قانون اراضي وتسجيلها

في سنة ١٢٧٤ هجري وفق ١٨٥٨ مالي سن قانون الاراضي وشرع بتسجيل الاراضي على أشخاص معينين حسب القانون وقد ظل الأمر يتردد لان كثيرين تخوفوا من ذلك فسجلت الاراضي والاملاك جبرا سنة ١٨٨٥ مالي⁶⁹ أي سنة ١٢٨٦ هجري

قانون انتقال الاراضي

كان مما يعترض عليه الاوروبيون في التشريع الاسلامي اعطاء الذكر ضعف الانثى من الميراث فاحتال له المشترون العثمانيون بالتساوي بين الذكر والانثى في ميراث الاراضي الاميرية⁷⁰ على اعتبار أن الاراضي الاميرية والموقوفة⁷¹ وقف غير صحيح هي من حق السلطان يعطيها لمن يشاء وقد صدرت بذلك ارادة السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٤ هـ وفق سنة ١٨٥٨ م وقد شمل القانون تصحيحات أخرى منها اعطاء ربع الميراث للزوجة وتوريث الحفيد الذي مات والده قبل جده وقد شمل القانون مواد أخرى . وقد عدل بعد ذلك أي سنة ١٢٨٤ هـ ثم سنة ١٣٣١ هـ.

وصدر أيضا قانون يتعلق بالاراضي وتسجيلها وحق التصرف بها ونزع اليد عنها الى غير ذلك مما يرجع اليه في قضايا الاراضي .

⁶⁴ مجلس التنظيمات هو المكان الذي سنت فيه قوانين النهضة .

⁶⁵ هو الوزير الاعظم للسلطان عبد العزيز الجالس (١٢٧٧ هـ - ١٢٩٣ م) وهو أحد رجال الدولة العثمانية .

⁶⁶ وهم في شروحهم يستندون إلى قرارات مجلس التمييز والتدقيقات

⁶⁷ وقد ترجم شرح علي حيدر فيما بعد للعربية القانوني المحامي فهمي بك الحسيني الغزي .

⁶⁸ ظهرت الدولة العثمانية وقد بلغ الفقه الاسلامي حد النضوج وقد ظهر عند العثمانيين شيخ الاسلام الشيخ كمال العمادي المشهور بأبي السعود

⁶⁹ لما كلفت الدولة خبراء أوروبيين بتنظيم مالية الدولة اقترحوا جعل السنة المالية شمسية فوجد أن كل ثلاث سنين يتوفر راتب شهر وقد جعل المجموع للسنة

حسب الهجري الا ان الأشهر حسب الشمس ونظراً للفرق بين السنة القمرية والمالية صارت الفرق في كل جيل سنة ثم سنتين وحتى الآن أصبح ثلاث سنين

⁷⁰ الاراضي الاميرية هي التي تكون رقبته عائدة لبيت المال .

⁷¹ هي التي أوقفها السلاطين والملوك الفاتحون على جهة من الجهات وهي من أوقاف التخصصات

قانون الجزاء

هذا القانون فيه تحد صريح للشرعية الاسلامية لانه أبطل الحدود الشرعية وحل محلها وقد أخذ عن التشريع الافرنسي وقد وضع موضع التنفيذ في ٢٨ ذي الحجة سنة ١٢٧٤ هجرية أي في زمن السلطان عبد العزيز العثماني وعليه معول المحاكم الجزائية . من أقل اعتداء الى الاجرام بالقتل وعقوبة الاعدام . وأعطى السلطان حق العفو اذا شاء وفي أي مناسبة شاء وبناء على شفاعاة واسترحام وهو مخالف للحديث النبوي الشريف (من تشفع بجد من حدود الله فليتبوا مقعده من النار " . وكذلك في عقوبة السرقات وما يترتب عليها والعنوان على الاعراض والكرامات . وهو يبحث عن تقرير نوع الجرم ثم ما يترتب عليه والمأمول ان يعيد القانون المدني الذي شرع به ما فقد من التشريع الاسلامي من العقوبة .

وقد عين موظف يقال له المدعي العام أو محامي الحكومة يقوم بتقديم الشكوى والادعاء والبيانات عن المعتدي عليه في جميع أنواع الجرائم وهذه من اهم نواحي هذا القانون وفرض للجاني حق توكيل محام وان لم يكن مقتدرأ عين له محام على حساب الحكومة احقاقاً للعدالة .

نظام أصول المحاكمات

وهو ينص عن جريان القضايا من البداية الى النهاية كتقديم القضية وتبليغها للخصم وحضور الطرفين وغيابهما أو غياب احدهما وعن كيفية استئناف القضية وتبليغات الاستئناف والتميز والاعتراض على الغير والصلاحيات لكل محكمة لا سيما الشرعية والصلحية . وكذا الرسوم الواجب دفعها للقضايا وللإعلامات والتنفيذ والطوابع الى غير ذلك من الامور التي تسمى شكليات تسير عليها المحاكم النظامية. وقد أصدر وانظماً يقرب من ذلك المحاكم الشرعية وقد شهد كبار⁷² المحامين ممن درسوا أصول المحاكمات العثمانى والانكليزى بأن العثمانى أضمن للعدالة وقد جادلوا القضاة الانكليز بذلك.

قانون حقوق العائلة

أو الاحوال الشخصية

كانت أحكام الزواج والطلاق والنفقة مسائل متعددة وآراء مشتتة في كتب الفقه فجمعت في مواد قانونية وقد أيدت بأوامر سلطانية تقوية لها⁷³ وللعمل بها . وقد نص على ما يتعلق بالخطبة والمهر والعقد والفراق والنفقة . كما أنه تعرض لاحوال الزواج عند اليهود والنصارى باسم العيسويين والموسويين عند النص على الممنوع نكاحهم . وكذا النص على العقد وفساد النكاح وبطلانه وفي المفارقات وفي العده . ونص أيضاً عن عما يجب عمله عند امتناع

⁷² منهم الاستاذ هنري كتن - القدسي وقد دهش القضاة الانكليز من الاستاذ هنري كتن وقالوا له : (انت خريج جامعاتنا وتشهد للنظام العثماني) فقال لهم : ولا تدهشوا فانا درست النظامين فتسنى لي ان احكم) .

⁷³ من القواعد الاساسية في التشريع الاسلامي أنه اذا تعددت الآراء في مسألة من المسائل الشرعية أو كان رأياً ضعيفاً فأمر السلطان بالاخذ به قوى ووجب العمل به

الرؤساء والروحانيين من اجراء العقد الى غير ذلك من الامور الضرورية وأصبح هذا القانون مدار اجراء المحاكمات في المحاكم الشرعية والطائفية ولا يزال

قوانين وأنظمة أخرى

وقد أصدروا قوانين أخرى كقانون التجارة الذي ينص على المعاملات والمشاكل التجارية لا سيما الافلاس وتصفية طابق المفلس والحواله ونحوها.

وكذلك قانون للبلديات لانتخاب مجلسها ولادارتها وضرائبها. وكذا قانون للتنفيذ سمي قانون الاجراء وهو ينص عن طريق تنفيذ أحكام المحاكم على اختلافها وحق الاعتراض والسير والحجز على الاموال المنقولة والغير منقولة الى غير ذلك من الشؤون المتعلقة بالتنفيذ ، وسنت أنظمة أخرى لكل مصلحة وشأن ودائرة حتى أصبح كل شيء مقيد بقانون ونظام ، وقد حصلت أخطاء نتجت عنها أضرار من سوء تطبيق هذه القوانين بقصد او بغير قصد في العهدين العثماني والبريطاني كما سيتبين في الفصلين الآتيين .

الفصل الثالث

الاجطاء والمساوىء القضائية

في دورة الانتقال

بدأ تطبيق النظام القضائي الحديث صعباً حينما يقارن بالقضاء الشرعي والعرفي الذي افوه . فالاستئناف يرفع لمجلس الدعاوي في نابلس وللولاية وكان القضاء بأكمله ببساطة ونزاهه الا انهم وجدوه صعباً وكانوا يجتهدون في عرض المشاكل وحلها عن طريق المحاكم الشرعية والعرفية وبطرق المصالحة ولم يكن له تأثير

(بعد الاستقرار)

بات القضاء والتنفيذ وسائل للظلم والعدوان وتدبير المآسي الفظيعة . فقد كانت المحاكم تشكل من رئيس غريب وعضوين منتخبين من البلد ولكي يحوز الاعضاء على المساعدة صاروا ينتمون لاحدى الكتل فيضطروهم هذا الى السير في القضايا على اختلافها حسب رأى الكتلة التي أيدتهم ونظر) لقلة الرواتب فان الرئيس يفتح يده للرشوة وتصبح القضايا مزاد مع الرئيس بين العضوين . ثم يلى هذا دور الاستئناف لبيروت والتميز للعاصمة فتطول القضايا وتحدث على حسابها اعتداءات بين المتخاصمين .

ونظراً لتفشي الرشوة ورفع المستوى المعاشي بسبب التمدن الغربي وكثرة الحاجيات فقد كانوا يزورون القضايا والبيئات بالاتفاق مع رؤساء الكتل للكيد لخصومهم ولابتزاز الاموال . وكان الجاندرمه (البوليس او الشرطه) المنوط بهم التنفيذ والقبض من أسوأ الناس اخلاقاً وبهذا كانت اوضاع سيئة جعلت القضاء النظامي كله مصائب لم تكن في حسابان أحد مما نفر الشعب من الحكم العثماني وقد ضعف نفوذ بيوت الحكم وغيرهم وأصبحت المشاكل مدنية معقدة فلم يعد بالامكان الحل بالمصالحات الا نادرا .

بعد اعلان الدستور

اصحح الوضع القضائي قليلا بالغاء نظام انتخاب الاعضاء وبتحليف كافة الموظفين على عدم الارتشاء ثم تخرج عدد وافر من مدارس الحقوق على شيء من النزاهة وحلوا محل كثيرين من قضاة وموظفي العهد السابق. وقد أصلحوا سلك الجاندرمه والبوليس فتحسنت الاحوال الى حد كبير .

الفصل الرابع

الادارة

ادارة الاقضية

كانت إدارة الاقضية كادارة اللواء بل ان مركز اللواء هو مركز قضاء انما يزيد المتصرف ودائرة التحريرات وكان في الاقضية دوائر ومجالس ولجان ودواوين حسب المناسبة وتوسع الادارة . الا ان مجلس ادارة اللواء له الاشراف على ادارات الاقضية وهو الذي يعالج مشاكلها .

جمعية التفريق⁷⁴

هي التي ترشح اعضاء مجلس الادارة المنتخبين وهي تتكون من المتصرف ومدير التحريرات والقاضي الشرعي رئيس محكمة الحقوق والمفتي ورئيس محكمة الجزاء . فترشح ستة اشخاص وتعرض على مجالس بلديات الاقضية لانتخاب اربعة منهم ثم تقرر من يحوزون على الاكثريه ثم يرفع المتصرف تقريراً بها الى والي الولاية فيعطي قراراً بالتعيين . وبهذه الكيفية يجري انتخاب اعضاء المحاكم الاتي الكلام عليهم . وكانت قراراتها تسجل في سجل المجلس البلدي هذاما بينه الوجيه الكبير حيدر بك طوقان

⁷⁴ أي تفريق الاصوات الانتخابية .



صورة الوجيه الكبير والنائب العثماني المرحوم حيدر بك طوقان

صلاحيات واعمال مجلس الادارة

كان مجلس الادارة يقوم باعطاء أمر لتسجيل الاراضي ويقرر بعض الضرائب ويقوم بمزاد اعشار القرى ويعين موظفي الدرجة الثانية . ويحقق ويحل المشاكل التي تقع بين الاهلين والموظفين . وهو الذي ينسب



صورة خزانة الشعرات النبوية المطهرة التي تسبب حيدر بك طوقان بإهدانها لنابلس فوضعت في الجامع الحنبلي (الغربي) الذي تبرع السلطان العمارته

الترقية ومنح الاوسمة الآتية : (المجيدي واللياقة والحرب)، وهو الذي يهيء ما يطلب للجيش الذي في مقاطعته من المؤن والسلف . وفي نفس الوقت يعمل على حل المشاكل بين الاهالي لا سيما اذا كانت المشكلة . مع أحد أعضائه واليك الدعوى والقرار الاتي : حضر الى مجلس نابلس داود هندية و بدوي هندية ومحمد جاموس وبكر الحشوش وحمود الدورية أنه موجود تحت بيوتهم ببايكة قديمه وهي ملك جناب عبد الفتاح آغا النمر وعملها طاحونة ماء وان دورهم راكبة فوق البايكة المرقومة ومختشين من أنه لا سمح الله يحصل سقط على بيوتهم من ادارة الطاحونة التي ضمن البايكة والتمسوا التبصر بذلك فلدى المذاكرة بهذا الخصوص روي أنه بالمدة السابقة حين أوقات سليمان بك طوقان القائمقام السابق جمهوروا أهالي المحلات واتصلت الدعوى الى الشريعة المطهرة لدى النائب بذاك الوقت سليمان أفندي الخالدي ومنعوا من دعواهم وحكم عليهم النائب المذكور بأنه ليس لهم دعوى لانه المالك يتصرف في ملكه كيف يشاء وشهدت البينة بأنه لا يحصل ضرراً على الجار من ذلك بحضور وكيل جناب الآغا المومى اليه السيد سفيان أفندي البسطامي والزمهم بإزالة الفذر عن ظهر البايكة المذكورة وتشغلت الى يومنا هذا وما حصل من ادارتها ولا مضرة ثم والآن ايضاً بحسب استدعاهم واجابة لسوء لهم استحضر الشيخ مصطفى العامودي شيخ البناية وعثمان الاخير وعبد الله جاموس وصالح جاموس وارسلوا الكشف على محل العمار وان يلاحظوا لادارة الطاحونة والبايكة وهل حقيق يخشى من ادارتها على تسقيط المحلات التي فوق البايكة كما يقرروا أصحاب الدور المرقومة فغيب توجههم والكشف على ذلك حضروا للمجلس وقرروا انه لا اختشا من ذلك ولا حقوق لان العمار قديم ثابت وادارة الطاحونة لا توجب مضرة مطلقاً على تسقيط المحل فقد تفهموا المذكورين بأنهم ما لهم دعوى بذلك وحيث صار متقدم منهم هذه الشكاية مرتين ومقطوع دعواهم من جناب عبدالفتاح آغا فقد تعرف الآغا المومى اليه ان يبقى مباشر إدارة طاحونته كما هي من دون التفات الى دعوى زيد وعمر حيث انها واقعة بغير محلها وبحسب ذلك قد طلب المومى اليه تحرير مضبطة لکی تبقى بيده فالان قد تحررت هذه المضبطة من المجلس لکی تبقى بيد الآغا المذكور

سنداً لمحل الحاجة اليه تحريراً / ١٩ و ١ سنة ٢٦٨ .

اعضاء	اعضاء مجلس	مفتي نابلس	نائب نابلس سر	بوابين قائمقام
مجلس محمود التميمي	اسعد طاهر	حالا	عبد الواحد	نابلس وجنين
امين هاشم	احمد ابو	الخمماش	محمود عبد الهادي	
ملة روم	ملة سامر الهدى الخمماش			
عبد داود				

الفصل الخامس

المساواة المعمودة في العهد البريطاني

اطلاق يدهم بسن القوانين

كانت المادة (٤٩) من دستور فلسطين تخول قاضي القضاة البريطاني حق وضع مشاريع القوانين ثم يصدقها المندوب السامي الا ان قاضي القضاة حول هذه الصلاحية للنائب العام القضائي (بنتويتش⁷⁵) وقد جعل دأبه مسح القوانين العثمانية ووضع قوانين تساعد بناء الوطن القومي حسب نص المادة الثانية من صك الانتداب. وقد وضع مواد قوانين جائزة عقدت القضاء الى حد كبير وحتى أصبحت أقل القضايا تحتاج الى محام قدير وأقل خطأ في شكاياتها يقضي بردها وضياها . وقد اتخمت الحكومة بالقوانين الى حد لا يصدق العقل وقد وضع أحد المحامين فهرساً لما سن من القوانين الحكومة فلسطين حتى سنة ١٩٣٠ فبلغت (٢٠٧) صفح . وقد استمرت هذه القوانين سارية المفعول الى أن حصل الضم فنسقت مع قوانين الاردن وألغي ما لا لزوم له .

تحكم الظلم بالقانون

هذا أفضل تعبير اصطلاح عليه المحامون العرب في فلسطين لما بلغه القضاء البريطاني في عهد الانتداب . فقد كانت أوضاع شاذة الظلم فيها واضح ، فقد كانوا يشكلون المحاكم الاستئنافية من رئيس وعضو فقط فاذا اختلفا سقط الاستئناف وكانت درجة رابعة هي مجلس الملك الخاص في لندن ولا يسمح برفعها له الا اذا كانت قيمة القضية (٥٠٠) جنيه (دينار) فما فوق وكانت تهيئتها تحتاج الى محام بريطاني في لندن يطبع عن الاستئناف والقضية نحو (٦٥) نسخة بعدد أعضاء مجلس الملك يضاف الى هذا نقلها ورسومها .

وقد ضيقوا الشكايات⁷⁶ الى حد كبير كان أقل خطأ فيها يرتكبه الموظف يكفي لضياع القضية مهما كانت قيمتها وقد حصل من ذلك ان رئيس كتاب استئناف القدس وقع أوراق استئناف بدلا من المسجل الاعلى⁷⁷ فردت القضية وكان رسمها نحو (١٥٠٠) دينار فكان الذين لا تساعد أموالهم يتركون حقوقهم لخصومهم . ثم يأتي دور التنفيذ وقد جعلوا الاستئناف لا يوقف التنفيذ فبمجرد الحصول على قرار ابتدائي يجري التنفيذ ليجبروا الخصم على الخضوع . وقد تعرضوا للالواقف المختلف عليها بين ملك او ميري ووقف فأساءوا اساءات بالغة لجهلهم هذا الامر ولتخوفهم من النقرة على حسابه كما ظهر فيما بعد .

⁷⁵ وقد هاج الرأي العربي وحملت صحفه على بنتويتش فتحمس الشاب عبد الغني أبي طيخ من قباطيه -قضاء جنين وأطلق عليه رصاصة من مسدسه كما مر

⁷⁶ ولقد جن القضاة الانكليز عندما ابلغهم المحامي الأستاذ هنري كتن بأن اصول المحاكمات العثمانية ضمن للعدالة من القانون البريطاني وقد أصر على رأيه مع المقارنات مستنداً إلى عمله بالقانونين واقتصارهم على القانون البريطاني .

⁷⁷ هو رئيس ديوان قاضي القضاة .

أحوال القضاة والموظفين

أرسل الانكليز بادئ الامر بعض قضائهم النزيهين كالمستر كوري والمستروب . الا انهم عادوا فانكشفوا اذ أمدوا القضاء بقضاة من النوع المنحط فظهرت الرشوة والغطرسه⁷⁸ والتحيز وقد اقتدى بهم رؤساء الدواوين والكتاب ورجال النيابة العامة والبوليس . وقد وجد في هذا العهد بعض محامين من أخط الناس فكانوا هم وسطاء الرشوة واضاعة الحقوق وتبديل آلات القتل الى غير ذلك من الاساليب الخبيثة التي حملت المحامين النزيهين على اعتزال مهنتهم .

تغير صلاحية العفو

كان القانون العثماني يعطي السلطان حق العفو عن المحكوم بالاعدام اذا وافق الورثة والعصبية جميعاً مع تنسيب الوالي . الا ان القانون الفلسطيني والدستور لم يعطيا حق العفو في حكم الاعدام انما أعطي حق تبديل حكم الاعدام بالسجن المؤبد للمندوب السامي أي نائب الملك البريطاني .

قانون البيئات

في مجلة الاحكام العدلية لم تكن شهادة الاصول والفرد مقبولة ولا الزوجة الا ان الانكليز وسعوا قانون البيئات فقبلوا شهادة الزوج والزوجة لبعضها وكذلك الاولاد وحتى الشخص نفسه وبهذا أوجدوا مجالاً كبيراً الخلق القضايا والمشاكل .

تعقيد القضاء الشرعي والطائفي

بموجب المادة (٥٢) من دستور فلسطين منع التدخل في الشؤون الشرعية والطائفية فتركت وشأنها . وكان يطلب في آخر العهد العثماني اضافة بعض الاصلاحات لقانون حقوق العائلة فتوقف لان المجلس الاسلامي لم يثبت بشيء وقد شل لعدم سن قانون⁷⁹ لانتخاب الرئاسة ولاشتغاله بالمسائل الحزبية . وأصبح للقضاء الشرعي درجة ثانية هي محكمة الاستئناف بدلا من مجلس التدقيقات ومحكمة التمييز . وقد كانت قراراتها موجزة وجلساتها غير علنية الا قليلا .

وقد اهمل القضاء الطائفي عند النصارى على قاعدة عدم التدخل وقد أثبتوا أنهم دون⁸⁰ العثمانيين في هذه الناحية

⁷⁸ كانت لهم اساليب دقيقة في الرشوة فلما أثبتت وكان رؤسائهم يحتجون لهم بالغلاء في الحرب والمحافظة على كرامتهم في السلم . وثم اساليب بالهدايا والحفلات والترفيه مما جعل القضاء يتردى ويصبح لطفة في جبين البريطانيين .

⁷⁹ تقرر انتخاب الرئيس بموجب نظام ثم لم يسن وحدد للاعضاء أربع سنين وبعد انتهاء أربع سنين تجدد انتخاب الاعضاء ثم لم يجر انتخاب للرئيس بعد تسع سنين لانه لم يسن نظام لانتخابه و وقعت حوادث اضطرابات سنة ١٩٣٩ فاهمل الحكومة وتدفعها للمجلس . وقد تأخرت الاوقاف بسبب تنزيل اعشار القرى الوقفية التي كانت تجبها

⁸⁰ هب الروم الارثوذكس يريدون تعريب كنائسهم والغاء اليونانية ولكن الانكليز لم يظهروا أي ميل للعمل مراعاة لدولة اليونان فأخفقوا .

السجون

السجون عند الانكليز ذات نظام خاص لم يكن معروفاً في العهد السابق فهم يحرمون المحكوم عليه من لبس ملابسه فيلبسون جميع المحكومين لباساً عاماً متساوياً من قماش رخيص جداً ، وكذلك في الفراش فانهم ينومونهم على فراشة مجدولة من الشرايط تسمى البرش ويمنعون ادخال الطعام اليهم بل يقدمون لهم طعاماً رخيصاً ويمنعونهم من التدخين ويراقبونهم بشدة ثم يجبرونهم على حمل القدر الذي يبولون فيه . ويشغلونهم بالاشغال الشاقة خارج السجن الا من تكون له صناعة فيشغلونه بها داخل السجن .

ويستثنى من كانوا من أهل الرفاهية والمستوى العالي في معاشه فانهم يعاملونه معاملة خاصة فينزلون في غرفة خاصة ويسمحون له بفراش وطعام من الخارج الا التدخين فلا يسمح به . ويخصصون له مأكلاً أفضل من السجناء ولا يشغلونه بأشغال شاقة وينقل له القدر (الكر دل) بعض السجناء ويبقى في ملابسه

ومن تشاجر بالسجن او حكم بالاعدام أسكنوه في غرفة ضيقة بعرض نحو متر يسمونها (زنزانة) . ويسمحون للعموم بالكتب ويأتونهم بواعظ يصلي بهم يوم الجمعة ويعظهم ولقد كان لهذا النظام أثره في الردع .

الشنق سرّاً

كان الاعدام في العهد العثماني ينفذ بالسيف فيقف الجلاد الى جانب المحكوم ويأتي آخر من خلفه فيخزه في رقبته فيحركها فيقطع الجلاد رأسه .

ولكن الاوروبيين ابتكروا الشنق فقلدهم العثمانيون الا أنهم كانوا يشنقون علناً يعلقون الحبل من سقف قبة سوق السلطان (التجار) ثم من ثلاث أعمدة ينصب في الساحة العامة امام المنارة . الا ان الانكليز ابطلوا العادة العلنية وصاروا يشنقون سرّاً في السجن ثم يسلمونه لاهله بعد ساعة . وكان هذا خطأ اذ لا يرتدع به أحد فان الشنق العلني مفيد جداً للردع

الباب الثالث

تطبيق نظم التعليم الحديثة

الفصل الاول

درجات التعليم الحديثة

مدارس مدينة نابلس

في سنة ١٣٩٧ هـ أسست في نابلس مدرسة ابتدائية في الجهة الغربية من سوق السلطان (التجار) في ⁸¹ المكان الذي كان يسمى حوش التركمان اطلق عليه اسم (مكتب الخان) . وقد انشئت فيه عشرة غرف كل واحدة منها تسمى فرقة وهي : صف يسمى الاحتياط وهو الاطفال في اول دخولهم . ثم ثلاث صفوف ابتدائية في نهايتها يختم الطالب القرآن ويعطى شهادة ابتدائية . ثم تليها مدرسة أعلى منها تسمى مكتب الرشدية وقد اسست سنة ١٣١٥ هـ وهي عبارة عن ثلاثة صفوف اخرى وهي متممة للقسم الابتدائي وكانت دارها بجانب السراية القديمة (ساحة المنارة) ثم نقلت منها . وفي سنة ١٣٢٠ هـ تلتها مدرسة اخرى باسم مكتب الاعدادي وهو نصف ثانوي لان اتمام الثانوي كان في مركز الولاية باسم المكتب السلطاني . وقد اصلح هذا النظام في عهد الانتداب فجعل القسم



(صورة الشهادة الابتدائية)

⁸¹ وقد بيع وأصبح اليوم دار سكن وسوق الطاهر .

الابتدائي ستة صفوف في نهايتها الشهادة الابتدائية يليها قسم ثانوي من اربعة صفوف في نهايته تعطى شهادة تسمى الشهادة الثانوية وكان التلميذ في العهد العثماني يقضي النهار كله في المدرسة ويحمل غذاءه معه او يرسل اليه وفي عهد الانتداب أبطل هذا النظام وصار الطلاب يذهبون الى بيوتهم لتناول الغداء ثم يرجعون فيكملون الدراسة ومما هو جدير بالذكر انه في هذا الدور وجد اساتذة هذبوا اخلاق الطلاب في نابلس وقد تخرج على ايديهم مئات الطلاب وهم الاساتذة محمد ابي⁸² غزالة وعبد الفتاح ملحس⁸³ وعلاء الدين⁸⁴ حلاوة ولم يكن التعليم مجرد حشد مواد بل كانت تصحبه ثقافة فصرت اذا اجتمعت بتخريج الاعدادي تجده على جانب كبير من التهذيب العثماني الدمث ، أما في عهد الانتداب فصار التعليم مجرد من الثقافة وقد وضعت امام الطالب الصعوبات .

المدارس في القرى والاقضية

وقد اسست مدارس ابتدائية في مراكز الاقضية وانشئت في القرى مدارس صغيرة تقرب من الكتاتيب في كل قرية مدرسة يقوم بالتعليم فيها شيخ هو في نفس الوقت امام للقرية ومرجعها في شؤونها الدينية . ثم استمر العمل في القرى بمساعدة الاهالي انفسهم وفرضت ضريبة الجنيه فاستسعت مدارس القرى وعمت وارتفعت حتى بلغ⁸⁵ بعضها الى الثانوى الثالث وبعد هذا يحق لهم⁸⁶ الانتقال لنابلس . أما مراكز الاقضية وهي جنين وطولكرم فقد أصبح فيها ثانوي كامل . وقد قامت الى جانب مدارس الذكور (البنين) مدارس للبنات (البنات) في كل بلد .

بعثات التعليم العالي

في العهد العثماني كان طلاب الوظائف بعد ان يتموا المدارس البلدية يلزمون في الدوائر و في المحاكم والادارة يتمنون على الخط والكتابة الرسمية ثم يعينون كتابا برواتب ضئيلة تحت التمرين ثم يرتقون الى اعلى . ومنهم من يرسلون ابناهم الى مدرسة الولاية في بيروت المعروفة باسم السلطاني حيث يكملون الدراسة الثانوية ومن تساعده ظروفه يدخل كليات جامعة استانبول السلطانية التي عرفت بدار الفنون . وقد تنافست عائلات نابلس في ارسال أبنائها لهذه المدارس تنافساً تناسب مع ثرائها وكتلتها حتى بلغت أعلى نسبة بين ألوية الدولة العثمانية جميعها اذ بلغ طلاب نابلس في كليات استانبول ١٥٠ طالباً . وكانت العائلة الواحدة تتعاون على ارسال طالب أو طالبين او اكثر وكانت الدولة تساعد في تخفيض الاقساط او الاعفاء منها بالكلية لا سيما للطلاب الذين يتوسمون فيهم الذكاء والخير والنجاح.وقد زاد على هذا السلطان عبد الحميد بأن فتح مدرسة لابناء شيوخ العشائر سماها مدرسة العشائر وقد تخرج فيها عدد من أبناء الشيوخ واغتتم آل عبد الهادي هذه الفرصة فأدخلوا فيها عدداً من ابنائهم ،

⁸² تخرج من المكتب السلطاني في بيروت وكان ضليعاً بالفقه والرياضيات والعربية والفرنسية والتركية والفارسية تعين معلماً على الاعدادي في نابلس وكان مهياً قوياً الارادة وظل حديث طلابه للآن

⁸³ تخرج من السلطاني في بيروت وكان ضليعاً بالتركية والفارسية وعلم الاجتماع وقد كتباً مدرسية كانت تدرس في المدارس وفي اعدادي نابلس ثم انتقل الى دمشق فاستوطنها ومات ودفن فيها .

⁸⁴ تخرج من دار المعلمين في استانبول وعين معلماً في مدارس صنعاء اليمن ثم نقل مديراً لاعدادي نابلس واشترك بتأسيس مدرسة النجاح ثم مديراً للصلاحيه بنابلس في عهد الانتداب البريطاني الى ان أحيل على المعاش ومات في نابلس .

⁸⁵ مدارس القرى ذات الثالث الثانوي في جبل نابلس حتى سنة ١٩٥٨ هي يعبد وطوباس وسلفيت ، وعنبيا ، وبرقه ، وحجه ، وعرابه ، وعزون ، وبلم ، وعصيرة ، وقليلية .

⁸⁶ وقد بلغت المدارس في اللواء جميعه حتى سنة ١٩٥٨ (٢٤٨) مدرسة بين ابتدائي وثانوي منها (١٦٠) للذكور و (٨٨) للبنات وقد بلغ عدد طلابها في اللواء جميعه (٤٩ / ٧٣٦) منهم (٣٦,٥٦٩) ذكراً والباقي أي (١٣ / ١٦٧) انثاً .

ولم يقتصر الأمر على المدارس العثمانية بل تحولوا الى المدارس الاجنبية من علمانية واميركية وفرنسية وانكليزية وقد ارسلوا بعثات الى جامعات لندن وباريس . فكثرت عدد طلاب الجامعات الى حد كبير تفوقوا فيه على سائر الالوية العثمانية فبلغت شهرة متعلمي نابلس جميع الانحاء في الدولة العثمانية وخارجها .

مدارس اللاجئين

و بعد حرب سنة ١٩٤٨ فتحت وكالة الغوث مدارس للاجئين فبلغت (٤٢)⁸⁷ مدرسة تبلغ الثالث الاعدادى ثم ينتقل طلابها الى الاول الثانوي في مدارس الحكومة . وبلغ عدد طلاب مدارس اللاجئين في لواء نابلس جميعه (10276) (طالباً ذكوراً واثناً

الفصل الثاني

الادارة والتوجيه

المعلمون والمعلمات

عين معلموا المدارس بادىء الامر من المشايخ الذين ليس عندهم شيء من الاختصاص فسلخوا أساليب الكتاب من الضرب والتعزير مما نفر كثيرين فتركوا المدارس وداروا في البرارى . ثم صاروا يعينون من خريجي المدارس لا سيما الاعدادى . ثم تخرج بعدهم من دار المعلمين في بيروت . وفي العهد البريطاني أسست دار المعلمين (الكلية العربية) في القدس فصار يتخرج منها عدد من المعلمين في كل سنة . وقد فرضت فحوص (امتحانات) معلمين أدنى وأعلى نجح فيها عدد كبير من المعلمين فأصبحوا على جانب من الاختصاص فترقى التعليم . والصعوبة الكبرى هي ايجاد معلمات المدارس البنات فقد بدأت من معلمات تعلمن على شياخات بعض الكتابة والقراءة ومعلمات من الخارج من دمشق وبيروت وغيرها . والصعوبة الكبرى هي في اخراج بعثة من نابلس الى دار المعلمات ببيروت والقدس فرفضت نابلس ارسال البنات اليها ولما اسست مدرسة بنات في نابلس كان اكثر معلماتها مسيحيات فقامت ضجة في نابلس كادت تقضي على المشروع لولا اجتماع البلد في دار النمر الكبيرة الذي أخدم الضجة وهياً الجو لارسال بنات لدار المعلمات . وقد استطاع المفتش شريف أفندي اصبح في بادىء الامر اقناع بعض الاولياء المحتاجين سراً مع التكتم التام ثم اقتدت بهؤلاء أخريات وهكذا أصبح في مدارس البنات مختصات بالتعليم ثم نما العدد الى ما نرى اليوم اذ بلغ عددهم حتى ١٩٥٨ (١٤٢٥) معلم ومعلمة .

الدروس والفحوص والحفلات

كانت البداية بدروس الكتاب وأساليبه الا أنه ازداد في عدد الغرف فكان بالاستطاعة الشرح والتعليم مع الاختصاص في درس فكانت الدروس عبارة عن الخط وتعليم حروف الهجاء ثم خصص كتاب للهجاء الابجدي كلمات مثل أكل بدل . ودرس في الحساب ثم القرآن مع درس من علوم القرآن وهو التجويد⁸⁸ ودرس في الفقه لتعليم الصلاة والصوم ودرس في العقائد خلاصة في علم الكلام وتاريخ ديني هو قصص الرسل . عليهم السلام . ثم أضيف درس التاريخ

⁸⁷ منها (١٧) مدرسه في نابلس وقضاها و (١٣) مدرسة في مخيمات طولكرم وقضاها و (١٢) مدرسة المخيمات جنين وقضاها .

⁸⁸ كان بعض المعلمين ألفو كتباً بسيطة في هذه المواضيع .

العثماني باللغة التركية ودرس للجغرافيا العمومية . أما في الرشدي والاعدادي فأضيف درس في الطبيعة (فيزيكس) ودرس في اللغة الفارسية ودرس في اللغة الافرنسية ودروس في الجغرافيا والتاريخ والجبر والهندسة ودروس أشياء وعلم الحيوان وفي الزراعة والنبات . وكانوا يعملون على الصم (الحفظ) بادية الامر بدون فهم . وقد اعتنوا بالخط فبلغ درجة عالية كما يظهر من الكتاب المصور هنا وكانوا يجرون فحوصاً شفهية في آخر السنة يحضرها فاحصون من الموظفين والوجهاء من خارج المدارس وكانت هذه الفحوص محرجة للطلاب جداً اذ منهم من لا يكون عندهم جرأة أدبية فيخسرون ثم الغيت هذه الفحوص في العهد البريطاني وأصبحت الفحوص تحريرية وقد طبق نظام الفحوص الفصلية وفحوص نصف السنة والفحوص الشهرية والفحص المفاجيء .



كتاب سماحة مفتي السلط للاغوات بنابلس وهو افضل نموذج لترقي الخط

وكانت تقام حفلة ختم القرآن والشهادة الابتدائية في آخر السنة في المدارس الابتدائية . وكذا حفلة الشهادات في المدرسة الرشدية والاعدادية كانت توزع فيها المكافآت من الكتب وغيرها للمتفوقين وكانت البلدية تقوم بنفقات هذه الحفلات وأثمان المكافآت . وفي العهد البريطاني اضيفت حفلات رياضية سنوية والغيت المكافآت للناجحين الا انها صارت تنفق على الرياضة والحفلات من رسم سنوي مقداره ٢٥٠٠ ، مليا يدفعه كل طالب في أول السنة . وتقدم في الحفلات الرياضية فازات وكؤوس للبارزين من الطلاب الرياضيين وبهذا وجد الاهتمام بالرياضة في العهد البريطاني . نعم كان في العهد العثماني تدريب عسكري تقدم حتى بلغ التدريب على حمل البندقية واطلاقها وصار المتخرجون من الاعدادي يدخلون مدارس الضباط وينجحون بسهولة .

عوائق واخطاء

كان من اهم ما يعرقل ويؤخر التعليم في العهد العثماني الحصول على الكتب لا سيما كتب العلوم الحديثة لأنها تأتي من استانبول فينقضي وقت كبير من السنة الدراسية قبل وصولها وفي خلال ذلك يكتب الطلاب الدروس على الدفاتر اذ يملئها المعلم وهم يكتبون ثم لا ياتي العدد الكافي من الكتب ولا يستطيع الفقراء الحصول على الكتب فيستمرون في نقلها من من كتب اخوانهم .

وفي الحرب العالمية الأولى كان الجيش يحتل المدارس رداً من الزمن فتبقى المدرسة لاسيما الاعدادية الرشدية معطلة وبهذا تأخر التعليم كثيراً وكان المعلمون ضعفاء فاستمر التعويل على الصم (الحفظ).

ولما احتل الانكليز فلسطين كان الطلاب في منتهى الضعف ولم يبين المديرون والمفتشون هذا الأمر بصراحة لادارة المعارف فطبقت نظام التعليم المصري الابتدائي والثانوي فلاقينا صعوبات كبيرة لانه لا يوجد أساس حسن بل كان الاساس حسب النظام التركي وقد جاء بلاء جديد هو اللغة الانكليزية وبذلك ذهب كثيرون ضحية هذا الخطأ . وظلت المدارس في تأخر الى امد بعيد .

الاهتمام والاهمال

كان الاقبال في جبل نابلس على التعلم النظامي عظيماً اذ وقع التنافس النابلسي بكل قواه لغلبة عبادة الوظيفة . ونذر ان يتجهوا في العهد العثماني نحو الطب والصيدلة وطب الاسنان والتجارة وغيرها من التعليم المهني اذ كان جل اهتمامهم نحو الوظائف . ولما كانت الحرب العالمية وجد جيش من الضباط النابلسيين في الجيش العثماني وفي الوظائف الادارية في انحاء الممالك العثمانية وقد تخرج كثيرون من المدرسة الملكية والحقوق والمدارس العسكرية وفي العهد البريطاني حصل هبوط كبير لان السلبية الوطنية قضت على عبادة الوظيفة قضاء كبيراً وصار الموظف ينظر اليه نظرة خاصة وصاروا يرون نتائج موظفي العهد العثماني خاسرة فاقبلوا على المهن والصناعات فكثرت صناعات الخياطة والسواقة والنجارة والحدادة ووجد اهتمام كبير نحو التعليم المهني كالمحاماة والطب والهندسة والصيدلة . واذا لم يكن مجال المساعدة البعوث فقد تناقص عدد طلاب الجامعات جداً . الا ان العمل في الكويت والظهران والعراق جدد الروح فبعث الاقبال على التعليم الى حد كبير لا سيما تعلم الآلة الكاتبة ومسك الدفاتر التجارية وممارسة صناعة التصليح والسياقة وكل ما يتعلق بالالات الحديثة كالكهرباء واللحام الخ . اما التعليم للعلم وايجاد علماء فنذر كثير أولو انه ظهر انتاج ومنجون فانه قليل بنسبة المتعلمين وكاد يحصر الاهتمام بتأليف الكتب المدرسية. ولم يلق التقدير الكافي لان التعليم غير منتج وكثير من المتعلمين كان تعليمهم غير كامل فكانوا على جانب من الغرور وقد سلكوا مسالك شاذة نحو اوليائهم وأقاربهم فوصموا التعليم أيما وصمة .

الاشراف المحلي

اهتمت الدولة العثمانية بادارة المعارف والاشراف عليها فالى جانب تشكيل ادارة معارف شكلت في كل لواء لجنة مكونة من المتصرف رئيساً ومن رئيس البلدية ومأمور الاوقاف ومفتش المعارف اعضاء طبيعيين ومن عضوين منتخبين⁸⁹ وكانت تنظر في جباية ضريبة باسم المعارف وبرواتب المعلمين وتعيين المعلمين الابتدائيين. وكان للمدير سلطة مفتش وللجنة سلطة مدير معارف وكان مركز مدير المعارف في عاصمة الولاية .

⁸⁹ كان الاعضاء المنتخبين في اول الامر الشيخ موسى صوفان والشيخ حسن صلاح ثم الحاج حسن افندي حماد (وهو انشطهم) وعبد الرحمن افندي الحاج ابراهيم (رئيس بلدية طولكرم) .

وفي العهد البريطاني صارت تتكون من الحاكم الاداري ومن مفتش معارف اللواء ومن ثلاثة من أعضاء المجلس البلدي ، واستمرت هكذا بعد الضم .

وقد وسعت صلاحية اللجنة في أخريات العهد البريطاني حين تحرك العرب لطلب معارفهم وقد ورد في تواصي اللجنة الملكية اشارة لذلك ففرضت ضرائب و حصلت اللجنة على مساعدات من الحكومة فبنت مدارس جديدة في نابلس وطولكرم وجنين وساعدت في بناء مدارس بعض القرى واستأجرت بنايات كثيرة كي توجد مدارس تستوعب عدد الطلاب

الفصل الثالث

مدارس خارجة عن ادارة المعارف

مدرسة الجامع الكبير والمارستان

كان قانون التجنيد يعفي طلاب العلم الديني من الجندية فالتف حول حلقات الدروس في الجامع الكبير عدد كبير من الطلاب حتى بلغ عددهم نحو خمسمائة طالب⁹⁰ وكانت الدروس تلقى ايضا في بناية المارستان المجاور للجامع الكبير وكان اصحاب هذه الحلقات من العلماء وهم الشيخ عبد الله صوفان والشيخ بكر التميمي⁹¹ والشيخ موسى⁹² صوفان وفي الحرب العالمية الغي قانون الاعفاء وانتهت هذه المدرسة وكانت تلقى في هذه الحلقات دروس في علوم القرآن والحديث والنحو والصرف والفرائض

مدرسة العرفان

اسست من غلة الاوقاف⁹³ المدرسة لدرجة ابتدائي كامل في عهد المجلس الاسلامي وكان يشرف على ادارتها لجنة مكونة من رئيس البلدية ومدير الاوقاف ورئيس الغرفة التجارية ومفتش المعارف وقد بلغ عدد طلابها نحو مائة وخمسين طالباً⁹⁴ . وفي سنة ١٩٣٠ اخذت جينين وطولكرم حصتها من الاوقاف المدرسة فاوقفت هذه المدرسة واضيفت حصة نابلس من الاوقاف المدرسة لمدرسة النجاح الوطنية لقاء قبول (٢٠) طالباً مجاناً .

⁹⁰ وقد ساعدتها الحكومة بأمر السلطان عبد الحميد وقد ابتنى لهم المرحوم الشيخ محمود الطاهر ناظر الجامع الكبير على نفقته غراً على ظهر الكاس وقبر الغفاري وعلى ظهر المارستان وغرف أئمة الجامع الكبير فكان يسكنها الطلاب القرويون وقد هدمت في الزلزال .

⁹¹ وكان يعطي دروساً في النحو والصرف والفقه في حلقة في الجهة الشرقية من الجامع الكبير الصلاحي وفي بيته .

⁹² وقد توفي في نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٦ هـ. وقد ألف مؤلفاً في المذهب الحنبلي سماه الاجوبة الجلية في الاحكام الحنبلية

⁹³ كان ريع الاوقاف المدرسة يرسل الى مدرسة الصناعة في دمشق فاعترض المجلس البلدي على ذلك وفتح مدرسة صغيرة للايتام ولما لم يتمكن المجلس البلدي من تغطية العجز رد ذلك لمدرسة العرفان

⁹⁴ وأذكر من معلمها السادة محمد علي دروزة (مديراً) والشيخ محمد تفاعحة و سري البسطامي وناظم حماد وعادل تفاعحة ومحمد عوده .

مدرسة كلية النجاح الوطنية

وقد سبق الكلام عنها في الجزء السابق وقد وصلتني صورة الهيئة التعليمية للسنة الأولى وهي الآتية :



الهيئة التدريسية في مدرسة النجاح وهم : القاعدون من اليمين الشيخ فهمي هاشم فالاستاذ اديب مهيار والاستاذ داود طوقان والواقفون السادة : واصف هاشم وصفي عبد الهادي جميل كمال وعزة عبده (مؤسس) وقد اشتغلوا السنة الاولى بدون راتب وكانت المدرسة في عهدهم تقيم الصلاة للطلاب .

مدرسة الايتام النابلسية

اسمها المجلس البلدي بعد الاحتلال البريطاني وقد عطف عليها اثرياء وقد احتضنت عدداً حسناً من الايتام ثم اغلقت لعجز حصل في ميزانية المجلس البلدي ، ومعارضة الحاكم العسكري بحجة انها طائفية .

مدرسة البنات الوطنية

استها السيدتان آمنة عسقلان وآمنة النقيب من لبنان ولم يطل بقاء الاخيرة . وبقيت المدرسة حتى الان يدخلها الاطفال الذين هم دون السن القانونية والذين لا تؤويهم مدارس الحكومة او تخرجهم . وهي بدرجتين اطفال وابتدائي حتى الثالث .



طلاب ومعلمات مدرسة البنات الوطنية

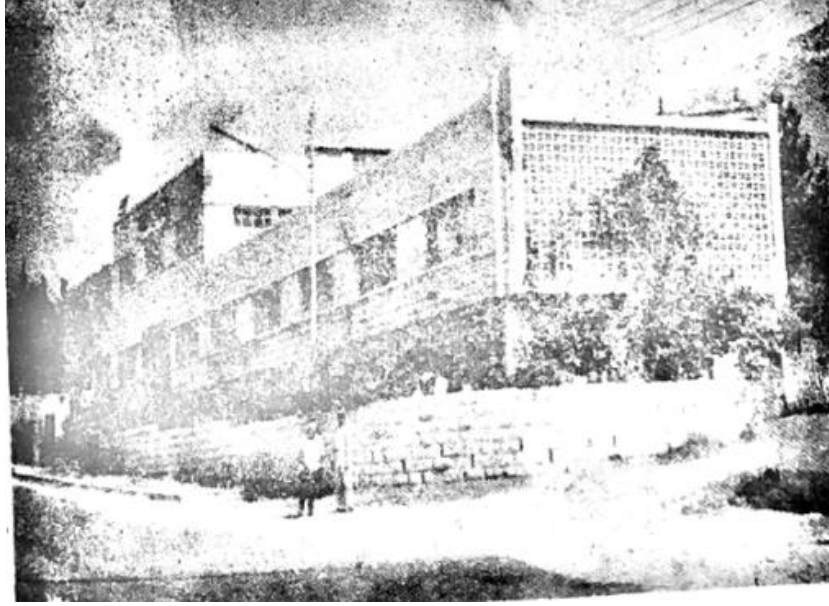
مدرسة النهضة الوطنية

على اثر اغلاق مدرسة العرفان اصبح عدد كبير من طلاب نابلس فى الشوارع فاتفق الاخوان الشيخ محمد البسطامى والسادة احسان النمر المؤلف وصبحي حجاب وسري البسطامي ثم انضم اليها السيد محمد عسقلان لفتح مدرسة ابتدائية باسم مدرسة النهضة الوطنية دامت ثلاث سنين قمنا بالتدريس فيها بدون رواتب ثم برواتب ضئيلة . الى ان اسست الحكومة مدرسة ابتدائية جديدة باسم المدرسة الغزالية فتضاءلت مدرسة النهضة ثم اغلقت .

كلية الروضة الوطنية بنابلس

بدأ الاستاذ مروان عبد الهادي بتأسيس مدرسة ابتدائية في الطابق الاول من دارهم في حي القريون سنة ١٣٦٨ هـ اي ١٩٤٩ م يسانده اخوانه فاستمروا يعملون الى ان اشترخوا قطعة ارض في شارع عمان وابتنوا داراً لكليتهم بمالهم الخاص دون جمع التبرعات من احد وقد استطاعوا ابلاغها درجة كلية تؤهل طلابها للتوجيهي المصري والتوجيهي الاردني . ثم في سنة ١٩٧٠ افتتحوا معهداً للمعلمين وهو فوق المستوى الثانوي وتم في سنة ١٩٧٣ فتح صف لتخريج مساعدي الصيادلة ومحللين مخبرين .

ومما هو جدير بالذكر ما سمعته من طلابها من الثناء على ادارتها ونجاح طلابها في نتائجهم والعجيب في امر هذه المدرسة هذا التقدم السريع في ربع قرن وفق الله القائمين بها .



كلية الزراعة بنابلس



(صورة الاستاذ مروان عبد الهادي مؤسس الروضة ومديرها)

كلية فلسطين الفتاة بطولكرم

قامت بتأسيسها الاستاذتان فائزة عبد المجيد وشقيقتها مفيدة عبد المجيد سنة ١٩٥٩م وادارتها الاخيرة ونخبة من الاساتذة كما يتبين من الصورة وتقدمت بسرعة بهمة الاستاذة فائزة . وفي سنة ١٩٦٧م انتقلت الى فرعها في عمان.



صورة الاستاذة فائزة عبد المجيد وشقيقتها الاستاذة مفيدة والهيئة التدريسية

المدارس الطائفية

ووجدت مدارس طائفية كمدرسة دير اللاتين ودير فنشر وراهبات مار يوسف ومدرسة السامريين وفي اديرة وكنائس رفيديا تستوعب عدداً من الطلاب والطالبات وتعلم تعليماً ابتدائياً طائفيّاً .

المعهد الديني الاسلامي

لقد اسست جمعية باسم جمعية التضامن الخيرية انبثق عنها مدرسة صغيرة في مكتبة جامع النابلسي تهيء طلاباً للزهر ثم اصبحت معهداً دينياً يتزيا طلابها بالزبي العلمي وعماد هذه المدرسة ومؤسسها الشيخ موسى احمد الجيتاوي احد المعلمين المتقاعدين وله فضل كبير في تثبيتها . وقد انتقلت إلى الطابق الأول تحت جامع الكفير



صورة طلاب المعهد الاسلامي بنابلس برئاسة الفاضل الشيخ موسى احمد

الفصل الرابع

الثقافة والتثقيف

الثقافة البلدية

اصطلحت على تسمية تراث العهد الماضي بالثقافة البلدية التي ادركتها وذكرتها في الجزء الثاني وهي التي تميز ابن البلد الاصلي عن ابن البلد المتغرب

الثقافة العثمانية

كان الاتراك العثمانيون وثنيين ولما اسلموا كانت البدع والفرق قد استقرت وفساد الشريك قد عمت وقد اظلت رايتهم عناصر كثيرة من الارمن والروم اليونان واليهود وجميع الفرق الاسلامية فلم يكن اسلامهم سلفياً صحيحاً ولم يتمكنوا من دمج المذاهب في السنة وقد صاهروا اما وشعوباً مختلفة وقد حلوا محل البيزنطيين فدخلت بيوتهم تقاليد وعادات الشعوب المحكومة والامم المجاورة لهم واقتدى الشعب بالبيت المالک والوزراء فسادت الممالك العثمانية ثقافة عثمانية مكونة من عناصر مختلفة . ولما فتح جبل نابلس بعد الاقطاع دخلته الثقافة العثمانية يحملها الموظفون العثمانيون واقتبسها ابناءؤه المغتربون في بلاد الدولة ولا سيما ابناءؤه النازلون في استانبول العاصمة للتوظيف او طلبه او للتعلم في جامعتها واصبح الفرق واضحاً بين من تأثروا بالثقافة العثمانية⁹⁵ ومن لزموا الثقافة

⁹⁵ وفي الحرب العالمية الأولى صاروا يبتون روحاً ضد الغربيين تحت عنوان المسألة الشرقية ونشروا الروح والتعاليم والتمارين العسكرية .

البلدية في المظاهر والشكليات وفي جميع نواحي الحياة . وقد بعد بعضهم عن الحالة السابقة واصبح كأنه من قلب العاصمة العثمانية واستترك بلغته ومظهره .

الثقافات الاجنبية

على اعتقاد ان التعليم في مدارس الدولة العثمانية متأخر ارسل كثيرون ابناءؤهم الى المدارس الاجنبية كالفريرات الافرنسية والمدارس التبشيرية التي فتحت في القدس ويافا وبيروت ثم الى الجامعات الاميركية والأوروبية . فنثقف ابناءؤهم بثقافات امم تلك المدارس .

وقد تغربوا وابتعدوا عن الحالة السابقة واصبحوا كأنهم غربيين في كل شيء . وكانوا يتباهون بهذا ولا يبالون . وفي مقارنتهم مع خريجي المدارس العثمانية أجد البون شاسعاً فبينما نجد خريجي الجامعة العثمانية على جانب من الرحمة والدمائة نجد خريجي الجامعات والكليات الاجنبية على عظيم من الصلف والكبرياء واحتقار قومهم حتى أقرب الناس اليهم وليسوا على شيء من الآداب العربية لاسيما خريجوا الجامعة الاميركية في بيروت و استانبول لانهما تبشيريّتان .

الثقافة القومية

قام الشريف (الملك) فيصل بن الحسين الهاشمي بعد الاستيلاء على الشام الى الثقافة القومية بتأسيس نوادي عربية في بلدان بر الشام . فكلف بهذه المهمة السيد أمين الحسيني لجنوب الشام فأرسل هذا البرنامج الى نابلس مع الاستاذ شريف اصبوح فقام بتأسيسه السادة : الشيخ فهمي هاشم ، وعزة ومحمد علي دروزة وجميل كمال وحافظ كنعان والسيد رشدي ملحس وتقاطر على الانتساب اليه شبان نابلس المتعلمين وقد انتخب لامانته السيد رشدي ملحس وبعد انتقال هذا الى السعودية سيطر على النادي الاخوين عزة ومحمد علي دروزة وابن عمهما أمين دروزة وراشد أبي غزالة ، واسعد ياسين المصري ، وفوزي الخياط وفوزي عرفات وغيرهم . وكان منهجه ايجاد ثقافة عربية ورفع الروح⁹⁶ القومية . فكانو يحفظون الاناشيد القومية للأعضاء ولطلاب المدارس الاهلية وحتى الحكومية في اول الامر). وقد دعوا نخبة من رجالات العالم العربي لالقاء المحاضرات القيمة مثل الزعيم عبد العزيز الثعالبي والاستاذ الشيخ سليمان الفاروقي واحمد زكي باشا شيخ العروبة والشاعر الاستاذ وخير الدين الزركلي وغيرهم .

انعاش الثقافة الاسلامية

كانت مذاهب⁹⁷ الفلاسفة الاوروبية متغلغلة في الجامعة العثمانية وكان منهم أساتذة جامعة دار الفنون في استانبول ومنها أساتذة السلطاني في بيروت والاعدادي في نابلس فنقلوا الاحاد و الجفاء الديني الاوروبي واصبح من التقاليد عدم الصلاة وعدم التظاهر بالدين وصاروا ينعوتون القائم بواجباته الدينية بالمعتصب . وقد ازداد الشر واستفحل

⁹⁶ الا أن سلوكهم كان خلاف ذلك اذ جعلوا دأبهم التحامل على الأثرياء لانهم لم يعطفوا على ناديبهم ولقد كان لحملتهم رد فعل شديد فتأخر النادي جدا حتى لم يعد اعضاؤه يدفعون الشهيرة فصاروا اذا ابتلوا بضيف نزلوا الى السوق يجمعون التبرعات للصرف على مأدبة ذلك الضيف فكان لهذا العمل أثره السيء في النفوس اذ أن هذا العمل لم يسبق في تاريخ نابلس .

⁹⁷ مذهب ديكارت في حرية الفكر ومذهب هوبز المادي ومذهب سبينوزا الحلولي ومذهب لينتز الاتصالي ومذهب لوك الطبيعي .

بعد الانقلاب العثماني الذي اسموه الحرية وظنوها الفوضى . وزاد الجفاء في الحرب العالمية وختم بخمود في الاحتلال البريطاني لما قال القائدان النبي البريطاني وغورو الافرنسي مقاتلتهما⁹⁸ . وقد ساد الالحاد والجفاء الى حد كبير وقد شمل المدارس بالدرجة الأولى والشبان في الوظائف الحكومية الخ .

و ثم تلت ذلك موجة من التبشير بالدين المسيحي عن طريق جمعيات الشبان المسيحية⁹⁹ والجمعيات التبشيرية فثار كبراء المسلمين في مصر والهند وغيرها وقاموا بتأسيس جمعيات الشبان المسلمين ففتح فرع¹⁰⁰ لها في نابلس وصار يزور هذا الفرع من وقت لآخر نخبة من الكبراء امثال عبد الحميد بك سعيد واحمد زكي باشا والزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي والشيخ سليمان الفاروق وغيرهم . ثم ضعفت هذه الجمعيات وتراخت فقامت جمعيات الهداية الاسلامية فقامت بتأسيس جمعية بهذا الاسم في نابلس ثم قامت جمعيات باسم الاخوان واسس لها فرع في نابلس ونوع آخر باسم حزب التحرير وجميعها تعمل لانعاش الثقافة الاسلامية وقد أنشأت مجلات وجرائد تدعو للاسلام وثقافته بصراحة كما أصدر الازهر مجلة باسم نور الاسلام وظهرت مجلة الفتح ومجلة لواء الاسلام وقد اشترك بهذه مشتركون في لواء نابلس وظهرت في فلسطين جريدة الجامعة الاسلامية لصاحبها الشيخ سليمان التاجي الفاروقي وجريدة اسبوعية باسم الصراط المستقيم لصاحبها الشيخ عبد الله القلقيلي وهي وغيرها تنشر المقالات الطوال عن الاسلام وثقافته وروحه فانتعشت الثقافة الاسلامية انتعاشاً حسناً وأصبح كثيرون يتأثرون بها

⁹⁸ قال النبي حين دخل القدس : الآن انتهت الحرب الصليبية، وقال غورو عند قبر صلاح الدين : (لقد عدنا يا صلاح الدين) .

⁹⁹ قد بناها الانكليز باسم محسن و افتتحها الجنرال النبي في حفل ديني كبير وهي في القسم اليهودي من القدس وقد مدت لها فروع في سائر العالم .

¹⁰⁰ قام هذا الفرع مقام النادي العربي الانف ذكره .

الباب الرابع

العلماء والادباء وانتاجهم في العهود الاخيرة

الفصل الاول

القاب العلماء ورتبهم

كان العلم قاصراً على قسم من العلوم الدينية وكان علماء نابلس يقعون في بلدهم وصار لقب عالم يطلق على موظفي المساجد من أئمة وخطباء ممن كان بعضهم شبه أمة . ولما فتحت البلاد وفتحت المدارس النظامية وتنوعت العلوم واتصلت بالمشيخة الاسلامية لم يعد بالامكان اخذ مركز قاضي الا بعد الحصول على شهادة من مدرسة نواب . ولا يعين من لا يحمل شهادة حتى اقسام شيخ الاسلام لاحدهم انه لن يعين قاض بدون شهادة ولو كان الامام الشافعي . ولم يكن القضاة بدرجة واحدة بل اصبحوا درجات حسب الكفاءة والمقدرة فيصلون الى الدرجة الخامسة وبعدها درجة الصدرين وهم الذين ينتخب منهم شيخ اسلام الدولة . وكذا الازهر الشريف فقد سن له نظام شهادات ايضاً . وكذا العلوم الاخرى فقد صاروا يتلقونها من الجامعات . ولهذه نظام ودرجات ايضاً تنتهي بالدكتوراه أي لقب عليم . وقد تخرج كثيرون من هذه الجامعات وقد اقتصر على أشهر علماء نابلس في هذا الدور وهم ممن نالوا شهرة تجاوزت اقليمهم مرتبين حسب تاريخ وفاتهم :

الشيخ يوسف البرقاوي

شيخ رواق الشوام في الازهر الشريف

هو الشيخ يوسف أبو جفال الصلاحي من قرية برقة قضاء نابلس تعلم في الأزهر الشريف ، وعلم فيه فترقى الى ان أصبح مدرساً للمذهب الحنبلي ثم عين شيخاً لرواق الشوام وأصبح يعتبر من كبار العلماء في مصر وظل كذلك الى ان توفي سنة ١٣١٤ هـ .

الشيخ عبد الغني اللبدي مدرس المسجد الحرام

هو الشيخ عبد الغني من كفر اللبد قضاء طولكرم تعلم في الازهر الشريف ثم نبغ وتفوق فرحل الى مكة فدرس في المسجد الحرام فظهر فضله فعين مدرساً رسمياً هناك فداوم الى أن توفي سنة ١٣١٧ هـ .

الشيخ عبد الله صوفان القدومي مدرس الحرم النبوي

هو الشيخ عبد الله بن الشيخ عوده بن عبد الله الملقب بصوفان القدومي . تخرج الشيخ عبد الله على علماء الحنابلة في دمشق . ولما عاد الى نابلس تولى التدريس في حلقة الجامع الكبير التي خصصها السلطان عبد الحميد للاعفاء من الجنديّة وقد انتسب اليها نحو خمسمائة طالب من جبل نابلس وما حوله . ثم خرج لتأدية فريضة الحج فصار يعطي دروساً في المذهب الحنبلي والحديث النبوي بأسلوبه الشيق فأحبه ورجوه البقاء فداوم على التدريس في الحرم النبوي وكان يذكر العنعة ثم يقول : عن نبيكم هذا ويشير الى الضريح الشريف فظهر فضله وذاع صيته واجتمع اليه علماء الحنابلة النجديين ثم حنَّ الى وطنه فعاد الى نابلس يعطي

الدروس في الجامع الكبير الصلاحي يأخذ عنه الطلاب الكثيرون حائزا اجلال واحترام البلاد الى ان توفي ساجدا في صلاة الجمعة في الجامع الكبير الصلاحي سنة ١٣٣١ هـ فرثاه تلميذه الشيخ منيب هاشم مفتي نابلس اذ ذاك بقصيدة مطلعها :

الله أكبر فالمصائب تناهى والدين ثلمته استطار عناها

يا طالما نفع الانام بفضلها وروت من الارشاد منه منها

فلتبكك الدروس فيا لها من روضة أرجت به أرجاها

ولتبكك نابلس على طود مضى قد كان مصدر نفعها ورجاها

شيخ اسلام الفلبين الشيخ وجيه زيد الكيلاني

هو وجيه بن منيب زيد الكيلاني ولد حوالي سنة ١٢٧٧ هـ وفق ١٨٦٧ م حصل علومه في نابلس ودرس في مدارسها ثم سافر الى استانبول حيث كان عمه الشيخ سيف الدين هناك يتمتع بمركز حسن وبمساعده عين الشيخ وجيه كاتباً في المشيخة الاسلامية فاستفاد من وجوده فيها فنال اعجاب شيخ الاسلام ولما طلب معلم خاص للاميرين نجم الدين وضياء الدين ولدي السلطان محمد رشاد لتعليمها اللغة العربية والدين الاسلامي رشحه شيخ الاسلام فعينه السلطان وبعد مدة حاز اعجاب السلطان فانعم عليه رتبة (بلاد خمس) في القضاء . ولما طلبت الولايات المتحدة الاميركية مرشداً للفلبين وقع اختيار جلالة السلطان وشيخ الاسلام على الشيخ وجيه فذهب اليها برغبته فأفاد وكانوا وثنين فأسلم على يده كثيرون وأحبه أهل البلاد وأكبروه . ولما اعلنت الحرب الكبرى أمره السلطان بأن يذهب الى الولايات المتحدة لبث الدعاية لدول الوسط . ثم عاد الى استانبول فلم يوافقوا على ارجاعه الى الفلبين فذهب على نفقته يكمل رسالته الا انه أصيب بمرض السكري فما زالت صحته تتدهور الى أن مات سنة ١٣٣٤ هـ الموافق ١٩١٦ م وهو شيخ المسلمين هناك فأكبروا موته وشيدوا على قبره مقاماً يزار هناك . وقد أصبح يذكر كلما ذكر اسلام الفلبين .

الشيخ منيب هاشم الجعفري

هو منيب بن السيد محمود بن السيد مصطفى بن السيد عبد الله بن محمد هاشم الجعفري ولد في نابلس سنة ١٢٧٢ هـ. تلقى دروسه في نابلس على اخيه الشيخ حسين وعلى الشيخ عبد الله صوفان. ثم ذهب الى الازهر الشريف فأدهش شيوخه بنبوه فحصل على شهادة قضائية قيمة سنة ١٢٩٠ هـ ثم عاد الى نابلس يدرس ويدرس ثم سافر الى استانبول بمهمة لاختيه الشيخ حسين مفتي نابلس اذ ذاك فوجد شيخ الاسلام وأعوانه (الصدور) يتذكرون معضلة وقد تبدلوا فلم يحلوها وكان الشيخ منيب في طرف المجلس فاستأذن بالكلام فأذن له فشرح لهم كيفية الحل فأدهشهم فطلبوا التعرف عليه وعلى مطلبه فعينه شيخ الاسلام قاضياً فنصبوه في طرابلس الشام ففأقره سي ثم لبني غازي (ليبيا) . وما زال يترقى حتى صار عضواً في مجلس التدقيقات في استانبول ثم محكمة التمييز وأنعم عليه برتبة بلاد خمس ثم رشح ليكون أحد الصديين الذين يختار منهم شيخ الاسلام .

الا انه لما حصلت الحرب البلقانية على الدولة ولمح بذكائه شبح الحرب العالمية فاستقال وعاد لنابلس حيث ولي الافتاء الى أن توفي سنة ١٣٤٣ هـ تاركا عددا من المؤلفات القيمة التي سيأتي الكلام عليها .

مع كان رحمه الله حكيما صائب الرأي يكره التحزب والتحامل فلما اتهموا السلطان عبد الحميد بالقاء الناس في ممررة قال : (ان العرب نصف المملكة فاين حصتهم في ممررة ان الذين يرميهم السلطان هم الخونة الضالعين الاعداء من الارمن والروم الخ . . فكان جوابا مسكتاً . ولما سئل عن رأيه في ادارة المجلس الاسلامي قال (اني أنصحكم بأن تتركوه تديره الحكومة لانكم ان أدركتموه شغلتم به عن قضيتكم فاما حق كامل والا فلا ، . وكان رحمه الله على جانب من الحكمة في تصريح الامور فمن ذلك أنني كنت في زيارته مرة لفتوى بخصوص الوقف فجاء رجل معتوه معمم بيده عريضة يطلب من سماحته توقيعها بطلب قضاء القدس - وهي من لعبات شبان نابلس على هذا المعتوه وكان في المجلس خالي المرحوم قاسم آغا النمر فأخذ الورقة من هذا المعتوه وصار ينصحه ويفهمه انها لعبة عليه ، فانتبه سماحته وكان مشغولا مع مساعده الشيخ رشيد هاشم لاجراء فتوى ، فأخذ الورقة وطواها ووضعها تحت ركبته وقال له (يا شيخ ان مقامك أكبر من هذه الورقة وأنت أعلى من ذلك فاخبرهم كي يسألوني وأنا أعلمهم بحقيقتك ، ففتح وخرج ، وبعد خروجه التفت الى خالي وقال له يا حضرة الآغا ان هذا بلغ حدا لا تتفع معه النصيحة فلا يصرف الا بهذا الاسلوب ، وكذا من تصرفاته أنه كان يتحرش بصبيان عائلته فلما سئل قال : أنهم ينطقون بالحكمة فنستفيد . . وكان ينتقد مجالس نابلس ويقول : انهم يضيعون الوقت بالبحث والجدل عن اعمار بعضهم الامر الذي لا طائل تحته .

المحامي الاستاذ شبلي القرة

هو من أسرة القرة من نابلس هاجر الى أميركا وتخرج من احدى جامعات الولايات المتحدة ونال درجة دكتوراة في الحقوق والفلسفة . ولما أصدر الرئيس منرو قراره بمنع الملونين من الهجرة الى الولايات المتحدة أدرج اسم العرب في القائمة يعتبرهم من الملونين فاقام الاستاذ شبلي الدعوى على الحكومة منددا بخطتها . وفي يوم الجلسة أتى بعدد كبير من أطفال العرب هناك وخلطهم مع أطفال أصدقائه ومعارفه الاميركان وطلب من المحلفين (المحكمة) أن يفرقوا بينهم فلم يستطيعوا فحكمت بأن العرب من الجنس الابيض فربح الدعوى وبذلك نال شهرة واسعة .

المحامي الاستاذ عبد اللطيف بك صلاح

هو ابن الشيخ مصلح صلاح . ولد في نابلس سنة ١٨٨٢ م تعلم في نابلس دروسه الابتدائية ثم سافر الى بيروت حيث درس الاعدادي ثم انتقل الى استانبول . تخرج من المدارس العثمانية فحصل على شهادة الحقوق من كلية استانبول وتمرن في مكاتب مجلس الشورى والاعيان فعين في بعض الوظائف ثم عين مديرا لكلية الحقوق في دمشق وبانتهاء العهد الفيصلي جاء الى نابلس واشتغل بالمحاماة وفي نفس الوقت انتخب عضوا للمجلس الاسلامي الاعلى ف قضى أربع سنوات في صدام مع الرئيس الحاج امين الحسيني. وقبل انتهاء الدورة أوجد كتلة باسم حزب



الاستاذ عبد اللطيف بك صلاح

الاهالي الديمقراطي وقامت ضدها كتلة باسم الحزب الوطني فحصلت الانتخابات واعتقد بعدم صحتها قطعن امام محكمة العدل العليا القدس وفسخت الانتخابات الا ان الحكومة أهملت القرار بالفسخ واعتبرت المرشحين متساوين ورجحت امين بك التميمي واستمر عبد اللطيف بك كاستاذ في مدرسة الحقوق الفلسطينية وفي المحاماة وظل يعمل ويتصل برجاله الى ان شكلت الاحزاب بعد انحلال اللجنة التنفيذية فقام بتأسيس حزب الكتلة الوطنية وانشأ له فروعاً في اغلب مدن فلسطين وقد اصبح عضواً في اللجنة العليا وانتخب في الاضراب رئيساً للجنة القومية في نابلس . ولما استؤنف العمل للقضية الفلسطينية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قام بتجديد حزبه .

ولما نودي للضم كان ممن وفد على جلالة الملك في عمان طالبا الضم وقد دعا جلالته لمأدبة في بيت صديقه عضو الكتلة الوطنية الحاج سعيد كمال في نابلس . فعينه عضوا في الدورة الأولى المجلس الاعيان ، ورشحه جلالة الملك للوزارة فرفضه الانكليز لصلابته وقد ذاع صيته في المحاماة واصبح يشار اليه بالبنان ، فلما توفي احمد الراشد بني عوده من طمون في البرازيل عن ثروة ضخمة وعارضت حكومة البرازيل بنقل التركة والارث لولده توكل عبد اللطيف بك عنه لقاء مبلغ ثمانية عشر الف دينار اردني وذهب مع ابن المتوفي الى البرازيل فأقام قضية على حكومة البرازيل فربحها فذاع صيته هناك . على أنه لم يعيش طويلا بعد هذه القضية فمات بالسكتة القلبية وهو يرافع في احدى القضايا في محكمة نابلس ١٣٧٢ هـ وفق ١٩٥٣ م .

كان رحمه الله متديناً وطنياً صلباً قوي المراس اشترك بالنضال الوطني بجميع ادواره وظل يتمتع بمنزلة ممتازة في نابلس وغيرها طيلة حياته وقد اشترك في انقاذ الاراضي وانشأ بيارة كبيرة على الاراضي التي انقذها .

المحامي الاستاذ عادل بك زعيتر



صورة الاستاذ عادل زعيتر

ولد في نابلس سنة ١٨٩٧ م وهو ابن الشيخ عمر زعيتر درس في نابلس ثم ذهب ليكمل دراسته في استانبول فحصلت الثورة العربية فهرب هو والسيد محمد الصمادي وعبرا البوادي وانضموا الى الشريف (الملك) فيصل ثم ذهب الى مصر ودخل دار العلوم ثم ذهب الى باريس فدخل جامعة السوربون وحصل على شهادة الحقوق ثم عاد الى نابلس واشتغل بالمحاماة وعين استاذاً في مدرسة الحقوق في القدس وكان مسلكه مثلاً أعلى في النزاهة ونظراً لقوته في اللغتين الانجليزية والعربية قام بترجمة نخبة من كتب الانجليزية الى العربية سيأتي ذكرها فيما بعد وظل دائماً على الترجمة الى ان توفاه الله في اليوم ٢٨ ربيع أن الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ الموافق تشرين الثاني سنة ١٩٥٨ م

الشيخ عبد الحميد السايح

هو ابن الشيخ عبد الحلیم السايح ولد سنة ١٩٠٧ م تعلم بنابلس ثم في الصلاحية وهو احد الذين¹⁰¹ وقع اختيار وجهاء نابلس عليهم للدراسة في الازهر سنة ١٩٢٣ م وبعد نياله الشهادة العالمية ساعده الحظ بالانتساب الى مدرسة القضاء فنال شهادتها بتفوق . ثم عاد لنابلس فاشتغل كاتبا في المحكمة الشرعية بنابلس وفي نفس الوقت كان يعطي دروس الدين واللغة في مدرسة النجاح الوطنية . ثم صار رئيس كتاب المحكمة الشرعية ثم صار قاضيا . ولما



كانت فترة الانتقال بعد خروج الانكليز وشكلت حكومة المديرين تولى مديرية الاوقاف ورئاسة الاستئناف وبعد الضم صار رئيسا لمحكمة الاستئناف الشرعية وداوم فيها. ولما عقد مؤتمر علماء الاسلام في القاهرة ندب اليه فأظهر قدرة فائقة . ولما احتلت اسرائيل اصطدم ولم يوافق على بعض المقترحات فاخرجته الى الاردن حيث استقبل استقبالا حسنا وعينه وزيراً للأوقاف الى ان استقالت الوزارة فاعتزل ثم اشترك مع لجنة وضع القانون المدني.

صورة الشيخ عبد الحميد السايح

¹⁰¹ في سنة ١٩٢٣ قام الشيخ أحمد البسطامي بدعوة نخبة من وجهاء نابلس لبيته فقرروا ارسال بعثة للأزهر الشريف وقد وقع اختيارهم على السادة المشايخ عبد الحميد السايح، ورامز مسما ، وشكيب الخماش ، وحسن الحبش ، ومحمود الحبش، وصبري كتانة ، وزكي الغفوري .

الفصل الثاني

التأليف والمؤلفون

كان التأليف موزعاً بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية وقد نبغ كثيرون فيها من جبل نابلس وقد انتجوا عدداً وافراً من المؤلفات والترجمات في مختلف العلوم والشؤون منها ما طبع ومنها ما لم يطبع. وقد اغنوا بمؤلفاتهم المدرسية عن كثير من الكتب الخارجية وسهلوا للطلاب تناولها. وقد ساعدتهم ظهور الطباعة وسهولة الاتصال بمصر وببيروت على طبع بعض الكتب الخطية للسابقين ثم وجدت مطابع في القدس ويافا وعمان سهلت طبع الكتب.

المؤلفات الدينية¹⁰²

لما ظهر قرن التبشير ألف الشيخ بكر التميمي كتاباً سماه السيف الصقيل وهو عبارة عن مناظرة دينية بينه وبين قسيس بروتستنتيني في مسألتين: النسخ والتحريف. وقد تعرض فيه المسائل الدينية كثيرة فأثار ضجة كبيرة في الممالك العثمانية فأصدر السلطان عبد الحميد أمراً بمنع انتشاره فصار يوزع سرا. وألف الشيخ محمد زعتر كتاباً في الفرائض- ثم فقد. وألف الشيخ عبد الله صوفان كتاباً¹⁰³ عديدة لم يطبع منها إلا الرحلة الحجازية وفيه يتطرق إلى أحاديث نبوية كثيرة وألف الشيخ عبد الفتاح الحجاوي كتاباً اسمه العقد النفيس في المذهب الشافعي وله كتاب في القراءة وألف الشيخ منيب أفندي هاشم رسالة منظومة عن العبادات والمعاملات في المذهب الحنفي وألف كتاباً في التقليد والتلفيق والاجتهاد ورسالة عن القدر والاختيار وسماها الكسب وهي تدل على نبوغه لأن فيها فصل وإيضاح. وألف الشيخ نسيب البيطار كتاباً في الفرائض سماه الفريدة وهو من أفضل ما كتب لقلة ما ألف في هذا العلم. وقد طلب من جميع أنحاء العالم الإسلامي فنفتت طبعته بسرعة ثم لم يطبع. ولهذا الشيخ أفكار عالية ومدونات قيمة حبذا لو أنها طبعت وقد سعيت فلم تثمر المساعي. وألف الشيخ راضي الحنبلي كتاباً مختصراً بهذا العلم فنفتد أيضاً. وألف الحاج نمر حماد كتاباً في الأحاديث مع الصلاة على النبي. وكلف والي بيروت السيد ربيع التميمي وبهجته بك الحلبي ألفاً كتاباً عن حاضر ولاية بيروت فأتيا فيه باخطاء أثارت على الكتاب ضجة فلم يقتنيه إلا القليل وألف الأستاذ عبد الرؤوف رزق المصري معجماً للقرآن وكتاباً آخر بعنوان ما لا يعلمه الناس وثالث عن تجويد القرآن وخامس عن الحج عند الأمم ونظم الشيخ حسن خير الدين فتيان قصيدة في الآداب الإسلامية وألف كتاباً في الخطب المنبرية. وألف الأستاذ محمد عزة دروزه كتاباً عن عصر النبي ﷺ وكتاباً سماه الدستور القرآني في شؤون الحياة وآخر عن القرآن والمرأة وآخر عن القرآن واليهود وآخر عن الضمان الاجتماعي وآخر كتب تفسير للقرآن فيه أخطاء استعمل فيها عقله. وألف الأستاذ على نصوح الطاهر كتاباً عن أوائل السور وآخر عن شجرة الزيتون وثالث شرح فيه عينية ابن سينا وقد ألف الأستاذ إحسان النمر (مؤلف هذا الكتاب) عدداً من المؤلفات منها: التوحيد والترقي، وشخصية المصطفى وثمار الإسلام، وعلم النفس في الإسلام، والعربي الخالد

¹⁰² من أهمها شرح منظومة الآداب للشيخ محمد السفاريني وقد طبعه الشيخ عبد الفتاح الحجاوي على نفقته فلاقي رواجاً في مصر بالدرجة الأولى.
¹⁰³ وهي المنهج الأحمد في درء المفاسد التي تنتمي لمذهب الإمام أحمد، وآخر للرد على النصارى وثالث سماه هداية الراغب وكفاية الطالب ورايع بغية النساك في الكلام على ماهية الصلاح والفساد وخامس اسمه الأجوبة الدرية في دفع الشبه الواردة على الملة الإسلامية وسادس في الأجوبة الراقية في علم التوحيد.

، وكتاب علمائنا وكتاب حكماؤنا ، وامراضنا ومشاكلنا ، والفتوة والفروسية ، وتاريخ الحمدانيين ، وتاريخ الجزائر ، والحب السامي ، واشواق البغضاء ، وزهور الحب وثماره ونظرات وتحقيقات في التاريخ العثماني، وعظماء الدولتين العباسية و الاموية ، والسياسة الرشيدة ، وروح العمل وصفاته ، وقضية العرب الفلسطينية ، وقصص ونوادر الاغاني ، وشرح رحلة النابلسي ، وفن السلوك .

الشروح القانونية

شرح الاستاذ عبد اللطيف صلاح قانون اصول المحاكمات الحقوقية وشرح الاستاذ ابراهيم هاشم¹⁰⁴ قانون الجزاء العثماني . وفسر الاستاذ نسيب البيطار قانون انتقال الاراضي وعلق الاستاذان على حسن عوده وعلي صبري على نخبة مختارة من مواد مجلة الاحكام سموه المختار وجمع المفتي الاستاذ الشيخ حامد مريش مواد الاحوال الشخصية والحقوق الزوجية وهو كتاب جامع .

المؤلفات العمومية

الكتب الجمهورية هي التي تُولف للجمهور جميعه لا لطبقة ولا لمهنة وتكون مصادر ومراجع وقد ألف كثيرون من مواطنينا في هذا المضمار وهم :

الف الشيخ منيب هاشم المار الذكر رسالة فلسفية في الكلام على وحدة الوجود وقد نقل فيها فصلا مقبولا وافتي بكفر القائل بالحلول . والف رسالة اخرى عن مبادئ علم البيان .



صورة الاستاذ قدي طوقان

والف الشيخ محمد زعتر كتاباً اخلاقياً سماه كفاية الانسان في حفظ اللسان و كتابا اخر شرح فيه بردة البوصيري، وثالث سماه السياط في قرع اهل اللواط . والف في التجويد والمولد النبوي بعضها طبع وهو الأول وبعضها لم يطبع .

والف الحاج نمر حماد كتاباً في كيفية النطق بالضاد والف الاستاذ قدي طوقان كتاباً في التراث العربي العلمي ترجم فيه عن علماء ونوابغ العرب وكتاباً سماه الكون العجبي وهو بحث في عجائب الفلك وكتاباً ثالثاً سماه بعد النكبة وهو يعالج احوال الامة العربية وكتاب سماه الخالدون العرب وهو تراجم لـ (٣٥ عالمياً عربياً واخر عنوانه مقام العقل عند العرب واخر سماه العلوم عند العرب ومحاضرات ابن الهيثم وجمال الدين الافغانى . وكتاب نواحي مجيدة من الثقافة الإسلامية .

¹⁰⁴ تخرج من مدرسة الحقوق العثمانية ثم صار مدرساً للقوانين الجزائية في معهد الحقوق بدمشق ثم ناظراً للعدلية في شرق الاردن ثم رئيساً لوزرائها مراراً وكان موضع ثقة البيت الهاشمي الى ان قتل في انقلاب العراق الاول .

والف الاستاذ عزة دروزه كتاباً عن مشاكل العالم العربي استحسن من الجامعة العربية وكتاب تاريخ سماه حول الحركة العربية والف كتابا عن الوحدة العربية وكيف تتحقق كوفى عليه من الجامعة العربية ولم تطبعه لخطورة ارائه . والف عن الحركة العربية وجميعها اجتهاد لانها تدور على نقطته او اكثر ما يسمونه بالثورة العربية وقبلها الجمعيات التي كانت تسير بايدي خارجية ولا سيما الفتا العربية التي يعتبر فيصل احد اعضاءها وان هدفها لفیصل وكتاب العرب والعروبة في عهد التغلب التركي .

والف الاستاذ رشدي ملحس¹⁰⁵ كتابا عن حياة الامير محمد عبد الكريم الريفی . وكتاب جغرافية عن المواقع التي ذكرها شعراء العرب الاوائل اسماء معجم البلدان العربية .

والف الاستاذ محمود العابدي كتابا سماه " من قصص العرب ، وهو يشمل قصصاً عربية مختارة وكتابا اخر البتراء ذلك الاثر العربي الخالد وثالث عن القصور الأموية .

والف الاستاذ عبد الرؤوف رزق المصري كتابا سماه البديع في لغة التشريع وكتابا اخر عن اغرب واعجب انواع الزواج في العالم . والف عن الحج عند الامم . والف الطبيب السيد واصف كنعان كتابا عن مرض السل وآخر عن التناسليات وثالثاً عن رعاية الامومة والفت الانسة فوى طوقان كتاباً عن اخيها المرحوم الاستاذ ابراهيم طوقان سمته (أخي ابراهيم)

والف الطبيب السيد وليد القمحاوي كتاباً عن تنظيم النسل وكتاباً اخر سماه النكبة والبناء في بضع مئات من الصحف من القطع الكبير عالج فيه المشاكل العربية على ضوء نكبة فلسطين

والف الاستاذ نصوح الطاهر كتابا عن شجرة الزيتون كان وحيدا في بابيه لاختصاص جبل نابلس بزراعة هذه الشجرة. والف كتابا روحانيا شرح فيه قصيدة ابن سينا وكتابا آخر عن حروف أوائل السور .

والف الاستاذ أكرم زعتر كتابا سماه مهمة في قارة ذكر فيه سياحته في اميركا الجنوبية والوسطى للدعاية للقضية الفلسطينية وما شاهد وقد ذكر الشيء الكثير عن الجوالي العربية هناك فكشف ناحية واجبة المعرفة .

والف الاستاذ احمد حمدي الطاهر كتابا سماه (الحجاز مهبط الوحي والالهام) ضمنه زيارته وحجه لتلك البلاد المقدسة مبينا مناسك الحج وأماكنه بأسلوب حديث

والف الاستاذ راضي تفاحة كتابا عن الاحنف بن قيس ضمنه مواقف حامه ونبل نفسه ونفعه لقومه وضمنه فوائد اخلاقية قيمة .

والف¹⁰⁶ الاستاذ احسان النمر مؤلف هذا الكتاب كتابا باسم امراضنا ومشاكلنا وهو أربعة أقسام بأسلوب حديث يشمل أمراض الامة العربية ومشاكلها مع معالجات لتلك الامراض والمشاكل مع اعتبار البعث العربي من العهد العثماني، والف رسالة عن تاريخ الامراء الحمدانيين في حلب والموصل فحفظت تراث هؤلاء المجاهدين الذين لم يحفظ من تاريخهم كل ما يجب.

ولما كانت قضية الجزائر تستعر الفت كتابا باسم بطولات الخزييين وهو تاريخ الجزائر منذ العهد العثماني وطبعته . وكذا شخصية المصطفى ونظرات وتحقيقات في التاريخ العثماني .

¹⁰⁵ لقد تخرج من المدارس العثمانية واشتغل مع القائمين بالحركة القومية وبعد الاحتلال البريطاني انتخب امين سر النادي العربي بنابلس ثم انتقل الى السعودية فتولى ادارة جريدة أم القرى ثم عين مساعداً لرئيس الشعبة السياسية فرئيساً للديوان الملكي السعودي الى ان توفي سنة ١٩٥٩ م .

¹⁰⁶ وقد الفت غيره بضعة كتب وثلاثون مؤلفا جميعها مبتكرة أعدت تنسيقها ولم أتمكن من طبعها وهي . علم النفس في الاسلام وعظماء الدولتين والسياسة الرشيدة وفن السلوك ورح العمل وصفاته وقضية فلسطين والفروسية والقوة والثقافة القومية واشواك البغضاء

الكتب المدرسية

الكتب المدرسية كطرز الازياء لا تكاد تروج فيظهر غيرها فيعفيها وقد ظهرت بمجرد ظهور التعليم النظامي فقد الف الشيخ¹⁰⁷ محمد زعتر كتابا مختصرا في علم الكلام سماه : (الاجوبة الزكية في العلوم الدينية) وكتابا آخر في الفقه الشافعي سماه مسائل القول النفيس في مذهب محمد بن ادريس وثالث في المذهب الحنفي والف الشيخ موسى صوفان كتابا في الفقه الحنبلي سماه الاجوبة الجلية في الاحكام الحنبلية ويعتبر هذا الكتاب أثرا حسنا لان كتب الفقه الحنبلي قليلة والف الشيخ حسن فتان كتابا في ومثله الشيخ طه الحنبلي .

والف الاستاذ عبد الفتاح ملحس¹⁰⁸ عددا من الكتب المدرسية وهي القراءة المفيدة والهندسة الابتدائية ومسك الدفاتر والاخلاق المدنية في ثلاثة أجزاء وكانت مقررة في مدارس سوريا ثم اهلنت.

والف الاستاذ صبري عبد الهادي كتابا مختصرا في جغرافة فلسطين و كتابا آخر في الزراعة . والف الاستاذ وصفي العنبتاوى كتابا في جغرافية فلسطين) بالاشتراك مع الاستاذ سعيد الصباغ و كتابا آخر سماه الدنيا القديمة واخر الدنيا الجديدة. والف الاستاذ رفيق التميمي كتابا عن الحروب الصليبية.

والف الاستاذ عزة دروزة كتابا في التاريخ العربي القديم واخر مختصر تاريخ الغرب والاسلام واخر دروس في التاريخ العربي واخر في التاريخ المتوسط والحديث والف الاستاذ أكرم زعتر بالاشتراك مع الأستاذ درويش المقدادي كتابا في القصص العربي سماه « تاريخنا ، والف الاستاذ عبد الرؤوف رزق كتابا في التوحيد واخر في الاملاء وثالث في الاشارات الكتابية سماه الترقيم والايفاع . وكتابا آخر في اوائل الاشياء سماه ما لا يعلم الناس يبسبب فيه كل شيء للعرب فعالي مغالاة غير محمودة . والف الاستاذ شوكت عبد الهادي سلسلة باسم سمير الطالب أخرج فيها كتابا عن القط واخر عن الكلب ثم توفي .

والف الاستاذ محمود العابدي كتابا في التاريخ القديم سماه معلومات مدنية. والف الاستاذ درويش المقدادي كتابا في التاريخ العربي سماه الامة العربية وهو أفضل ما كتب للمدارس وهو يدرس في مدارس العراق والكويت وفي كلية النجاح بنابلس .

وقد الف الاستاذ عبد الملك عرفات كتابا في الهندسة المستوية بخمسة أجزاء وكتابا آخر في الجبر الابتدائي وقد اغنيا عن الكتب المترجمة عن اللغة الانجليزية ودلا على نبوغ وقدرة .

¹⁰⁷ كان مديرا لمكتب الخان (المدرسة الابتدائية) وقد تخرج عليه عدد كبير من ابناء الجيل الماضي وأصبح للنابلسيين فيه اعتقاد الحادث وقع في عهده وهو أنه تلج أثقل الكر ميد فصرفت الطلاب ولم يكذبزل آخر هم من المدرسة حتى هبط الكرميد وقد عدوها كرامة له . وبعد احالته على المعاش نزل في دمشق الى ان توفي فيها وله ذرية هناك

¹⁰⁸ هو من اساتذة المدرسة الاعدادية وله فضل على عدد كبير ممن تخرجوا عنده وقد أتم حياته بدمشق ومثله الاستاذ الشيخ محمد زكي أبي غزالة ومثله مدير المدرسة الابتدائية الاستاذ أديب مهيار وقد اصبح من معلمي مدرسة النجاح الوطنية . ولهؤلاء فضل كبير على طلاب نابلس لعنايتهم الشديدة في اخلاق وسلوك الطلاب .

ترجمة الكتب

ترجم عزة دروزة كتابا في فن التربية عن الافرنسية للاستاذ كمبايره واخر بواعث الحرب العالمية الأولى عن التركية والافرنسية .

وترجم الاستاذ عادل زعيتر بضعة عشر كتابا من اللغة الافرنسية لكبار كتابهم منها واهمها بالنسبة الينا حضارة العرب الدكتور غوستاف لوبون ولهذا أيضا حضارات الهند وروح الجماعات وروح الثورات وتطور الامم والاراء والمعتقدات، وروح الاشتراكية وسبعة كتب عن اميل لودفج أهمها : النيل والبحر الابيض المتوسط وترجم حياة محمد لاميل در منجهام و ترجم تاريخ العرب للعلامة سديو . وترجم الحقوق الدستورية للعلامة أسمن. وقد ترجم السيد بهاء الدين طوقان كتاب قبائل شرق الاردن لبليك الانجليزي من الانجليزية الى العربية .

المكتبات

لقد حصل تنافس بين الوجهاء لاقتناء الكتب وبهذا وجدت كتب كثيرة عند الوجهاء في دواوينهم أهمها مكتبات الحج نمر النابلسي والحاج نمر حماد والشيخ نمر الداري وقاسم آغا النمر ومكتبة ال صوفان ومكتبة اسماعيل و منيب اغا النمر و مكتبة ال هاشم ومكتبة الشيخ عمرو عرفات ومكتبة الحاج ياسين محمد الجرار في برقين قضاء جنين وفي عهد الانتداب اتخذت عادة ايجاد مكتبة في كل مدرسة من مدارس الحكومة يدفع ثمنها من دخولية الطلاب السنوية وقد كانت هذه السنة سببا في تشجيع المؤلفين . وقد أوجدت مكتبات قيمة لا سيما في المدارس الثانوية . وحذت حذوهم كلية النجاح . ثم جرت البلديات على تأسيس مكتبات كبيرة فوجدت الان مكتبات لبلديات نابلس وطولكرم وجنين وحذت حذوها المجالس الصغيرة كنواة وكان من مخطط جامع الحاج نمر النابلسي ايجاد مكتبة وقد أوقف عليها المرحوم الحاج نمر النابلسي مكتبته واهدت اليها مكتبات الحاج نمر حماد والشيخ نمر الداري وبقيت مكتبة الشيخ راغب التميمي وغيرهم .

الفصل الثالث

الانتاج الادبي

حال اللغة لهذا العهد

كانت اللغة العربية لاسيما اللهجة النابلسية المدنية والقروية تعاني تعباً من ابنائها ومن الغرباء فالذين تعلموا اللغات الاجنبية صاروا يهجرونها ويتكلمون بتلك اللغات فكان مستتركون بمعنى الكلمة تعرفهم في الاداب والعادات واللباس كله يسمونه بالاسماء التركية وكذلك اسماء اولادهم وأشيائهم . عزت ، حكمت ، طلعت ، رأفت ، نشأت الخ. واذا تكلموا بلغتهم تخللتها الاصطلاحات التركية كقولهم افندم سليم ، وبيكى افندم وغير ذلك . اما الدوائر والمحاكم والمدارس فقد غلبت عليها اللغة التركية لا سيما بعد العهد الحميدي والذين تخرجوا من المدارس الافرنسية والانكليزية كانوا أكثر عقوقاً وأسوأ فقد كانوا يتباهون بالالفاظ والاسماء الافرنسية وصاروا يسمون أبناءهم جورج وفيليب الخ. ويحيون بعضهم بالافرنسية والانكليزية بنجور بونسوار جود مورننج الخ . وكذلك التسمية للاشياء

الهاي لايف والفاميليه الخ . أما الصناعة اللغوية فقد اضمحلت لولا عناية ضئيلة شخصية قام بها الحاج حسن أفندي حماد أحد أعضاء لجنة المعارف ثم انفرج الامر بعد الاحتلال البريطاني اذ خصص للنحو والصرف درسا رسميا وكذلك في الانشاء العربي وحفظ الشعر العربي وظهرت الصحف تنشر المقالات الطوال وظهر شبان النادي العربي يعنون باللغة الى جانب القومية وكذا مدرسة النجاح الوطنية وثم ظروف البلاد والجهاد الوطني الذي قضى بالكتابة والخطابة العربية فبدا الاهتمام بالصناعة اللغوية وبكل شيء عربي . والذين تعلموا في البلاد صار دأبهم التهكم على اللهجة النابلسية الامر الذي دل على جهلهم لان اللهجة النابلسية ما هي الا مالة صغرى واردة في لهجات فهي للتعجب ومعناها الفصيح النقص وقد العرب وأما بعض مفردات كقولهم (الله ما يتيرك ، فهي دعاء للشخص وردت في القرآن الكريم) ان يترك أعمالكم ، وقول الفزل بدلا من الفجل هي لهجة احدى القبائل العربية - وقد ذكرت في الجزء الثاني في باب الله ما فيه الكفاية .

الصحافة والصحفيون

كانت الصحف في اول ظهورها تصدر في استانبول والقاهرة¹⁰⁹ وببيروت وكذلك المجلات وكان الصحفيون من أبناء تلك البلاد الا أنها أصبحت تظهر بالاضافة الى ذلك في القدس وعمان وأصبح من أبناء البلاد عدد كبير من الصحفيين مما اضطر أقاربهم الى الاهتمام بالصحف وكان وجهاء جبل نابلس يهتمون بالمجلات ويشتركون بها فتداولها الايدي وأصبح في نابلس بعض من يكتبون في المجلات الكبرى كمجلة الهلال ومجلة الأزهر .

كان أول الصحفيين في جبل نابلس الشيخ محمد القلقيلي وقد أصدر جريدة في مصر . وأصدر ال عيسى جريدة فلسطين . وأصدر الشيخ عبد الله القلقيلي جريدة الصراط المستقيم في يافا . وأصدر الشيخ سليمان الفاروقي جريدة الجامعة الاسلامية . وانفصل الاستاذ ابراهيم الشنطى عن الجامعة الاسلامية فأصدر جريدة الدفاع في يافا ، وأصدر الاستاذ محمد علي الطاهر جريدة الشورى في مصر فانتشرت في العالم الاسلامي اذ كان يكتب فيها نخبة من كبراء العالم الإسلامى كالأمير شكيب ارسلان والزعيم عبد العزيز الثعالبي وأحمد زكي باشا واحسان بك الجابري وغيرهم، وكانت تقارع جميع الدول المستعمرة فكانت هذه تقاومها وتطارد صاحبها عن طريق وزارات مصر الإستعمارية .

وأصدر السيد هاشم السبع جريدة انتقادية اسمها الصريح . وظهر كتاب يكتبون في الصحف والمجلات¹¹⁰ المقالات الرنانة في التوجيه الوطني والقومي والديني والاجتماعي منهم السادة قدرى طوقان وأكرم زعيتر وعبد الرؤوف رزق المصري واحسان النمر (المؤلف) ومحمد علي دروزة ، فائزة عبد المجيد.

وأصدر الطبيب السيد واصف كنعان مجلة طبية لا بأس بها .

¹⁰⁹ كانت تصدر اسبوعيه وكانت لبعض الوجهاء وقد عرفت نابلس شركتي روتر وهافاس وكان في نابلس اثنان تتلقى الاخبار العالمية عنها وهما السيدان راغب شاهين الذي لقيه (روتر ، والثاني السيد صالح بعاره الذي لقيه (هافاس) فكانا يتحولان على مجالس نابلس لنشر الاخبار وكانوا يترقبون حضورها لتلقي الاخبار وقد ظل الحال هكذا الى ما بعد اضطرابات سنة ١٩٢٥م فصدرت بعض الصحف اليومية

¹¹⁰ منهم الاستاذ قدرى طوقان الذي صار يكتب في مجلة المقتطف في الرياضيات والفلك وهي أهم المجلات العلمانية وقد فسحت للمؤلف مجلة الأزهر المجال فكتب فيها عددا من المقالات الهامة في اوضاع البلاد عن كنوز البحر الميت والنقب ومنير الأقصى والعقبة الخ وهي اهم مجلات العالم الاسلامي وكذا مجلة الحج المكينة ومجلة التمدن وقبلها مجلة الفتح ومجلة المعرفة، ومجلة صوت الحق المغربية

الخطباء

اقتصت الحركة الوطنية وجود الخطباء لاثارة الجمهور ولما كانت نابلس في مقر الحركة الوطنية فقد ظهر نخبة من الخطباء منهم السادة اكرم زعيتر ، فايق العنبتاوي ، محمد العمدة ، نعيم طوقان ، احسان النمر (المؤلف) ، وجيه البشتاوي .

ومن خطباء المساجد . الشيخ محمد البسطامي ، الشيخ محمد ابو فرحة نعيم بك طوقان ، الشيخ راضي الطاهر ، الشيخ راضي الحنبلي .

الانتاج الروائي

كان الانتاج الروائي قليلا فمنه رواية (فتاة سوريا ، للسيد عبد الكريم شويكة عن معركة ميسلون ورواية للاستاذ انور عرفات اسمها ولكم في قصاص حياة » ورواية اخرى الدمعة المنحسبة ، ورواية «نظمية» في حالة الاراضي المقدسة . ولمؤلف هذا الكتاب رواية بعنوان العز في التضامن ، لم تطبع . ورواية للاستاذ رشدي ملحس عن الامير محمد عبد الكريم الريفى

الشعر

كان في هذا العهد شعراء بلديون يقولون شعراً غير مصنع عرفت منهم الشيخ صالح الخفش¹¹¹ من مردا ، والشيخ صالح الخريوش من " بيته " . ثم تقدم التعليم فظهر شعراء يراعون الصناعة اللغوية وينظمون للتاريخ منهم الشيخ نمر¹¹² الداري و محمود بك صلاح والشيخ محمود العبد الحليم ، عنبتا ، والشيخ احمد البسطامي والسيد محمد¹¹³ صالح الصمادى والشيخ عمرو عرفات والشيخ محمد تفاحة والشيخ رفعت تفاحة .

¹¹¹ هو من آل الخفش في مردا نزل في نابلس واختلط بأهلها وكان يلزم ديوان آل النمر فهو تحفة الديوان يقرأ لهم القصص المعهودة . وقد دأب على حفظ قصائد نمر العدوان فقال لي أنه دون منها مئتي قصيدة حفظ منها (١٢٠) قصيدة .

¹¹² هو النابغ النابه الظريف الفلكي العصري ، نشأ في نابلس وتعلم في كتابها ثم ذهب الى الازهر فعاد وقد بلغ الذروة في تحصيل العلم ومشى على خطه تختلف عن أقرانه من ذوي العمام فقد جذب اليه أذكىاء اللواء . فكان ديوانه يعج بالانكباء والادباء بطرفونه بنوادرهم . وكان ينفر من الثقلاء وللتخلص منهم . كان يؤخر اثاره الديوان ويجلس في مؤخرته فاذا جاء أحد الطرفاء تتحنح وأجلسه معه وان جاء من يستثقله صمت هو ومن معه فيرجع الشخص . وبعد أن يستكمل الديوان ينير الديوان ويوصد باب الدار فلا يفتح لاحد .

وما زالت احاديث الديوان وأعمال الشيخ حديث الجبل فمن ذلك أنهم لعبوا الصينية على مئة حبة برتقال وبعد أن غلب أحدهم قال الشيخ نمر تريدون قسمة الله أم قسمة عبيده قالوا بل قسمة الله . فأعطى خمسين حبة لو احد وأعطى آخر ثلاثين حبة وثالث عشرين والرابع لا شيء فنفروا من هذه القسمة وقالوا اهكذا قسمة الله فقال لهم ألا ترون حال الناس في أرزاقهم فطلبوا قسمة العباد فقسم بنسبة العدد وقال لهم هكذا العباد يرويون المساواة .

كان الشيخ نمر رياضيا فقد رتب توقيتاً سنوياً سماه الدهرية (لمدة ثلاثة قرون -

¹¹³ وهي صحيحة وقيمة .

وكان الشيخ نمر ضليعا في التشريع الاسلامى فقد كان عضوا في محكمة الحقوق . طالما خالف الرئيس . وقد تحققت محكمة الاستئناف صواب رايه فما كانوا ينظرون في الحكم الذى يوافق عليه الشيخ نمر وينقضون ما لم يوافق عليه وكانت الجمعية المارة الذكر (العباسية فالحمادية) تحسب حسابه فعارضوه بتولي الافتاء



(صورة الشيخ نمر الداري)

كان الشيخ نمر نافعاً لحيه (الياسمينه) فشكا رجال الحي امر ماء المسجد لانه يمر عن دار زيد فأشار على دار زيد اعطاء الجامع الماء من النبع فلم يكثرثوا فأشار على اهل الحي ان يستعدوا بجميع عمالهم وامرهم باحضار (كيزان الماء) وان يحفروا قناة للماء من النبع ومدوا الكيزان في الليل ولما اصبح الصباح صب الماء في جامع الساطون ولم يقو ال زيد على الاعتراض رغم اقصابهم .

وكان للشيخ نمر اراضي وبساتين في طلوزة والبادان وبالطبع كان عنده بقر و دواب فسرق بعضهم فدان البقر مال الشيخ - وكان الشيخ قاضي صلح فتوقع اهل البلد ان يأتي الشيخ ومعه جند وبوليس الا انه لم يفعل بل جاء بمفرده ونزل كعادته في المضافة واجتمع اهل طلوزة كعادتهم وتوقعوا ان يتكلم الشيخ فيسأل عن فدان البقر الا انه لم يتكلم في هذا الأمر أو غيره، فاستولى الصمت على المجلس فقام أحدهم وتكلم موبخاً مندداً بسرقة الفدان شارحاً خدمات الشيخ للبلد فطلبه الشيخ ليجلس بجانبه فهمس بأذنه قائلاً : (انت سارق الفدان ومعك ساعة من الزمن لتحضره والا انتقم منك ومن البلد، ولم تمض ساعة الا والفدان في حظيرته . ثم عين عضواً في محكمة الاستئناف الشرعية فحدثت حادثة وقف ذري فأفتى الحاج أمين الحسيني المعروف بقبول الشهادة على شرائط الوقف مع وجود الوقفية الا أن الحاج نمر عارضه وكتب يستفتي شيخ الازهر فكان الجواب بجانب الحاج نمر .

وكان الشيخ نمر مثال الوفاء وعلو النفس والنجدة فقد كان والذي من أعز اخوانه وهو من الانكباء الذين اختارهم . وكان والذي قد استلف منه ثلاثين ديناراً ذهباً وبعد موت والذي قام ابن اخيه أحمد يطالب أخي بالمبلغ فأخذ الشيخ نمر الكميالة ومزقها وقال له وان نجيب أغا النمر اهدانا ثرياً يوم عرسك يزيد ثمنها على الثلاثين ذهبه ، . ولما كان الانتساب للامركزية أرسلوا له كتاباً بذلك فلم يفتحه ولما حوكم تبرأ . وكاد اسماعيل أغا النمر أن يقع في الفخ في احدى جلساتهم فداس على رجله فامتنع ، توفي الشيخ نمر سنة ١٩٢٩ م وفق سنة ١٣٤٧ هـ .

(113) هو محمد صالح بن الشيخ عبد العال الصمادي الحسيني تعلم في نابلس ثم انتقل الى سلطاني بيروت فلكلية الحقوق في استانبول . وهناك اشترك في المنتدى الأدبي واصبح امين سره ثم دخل الجيش في الحرب العالمية الأولى وصار ضابطاً بدرجة ملازم ثاني وقد شهد معركة (انا فارتة) في الدردنيل وقد جرح ولما اعلنت الثورة العربية اصبح من دعائها ثم سار الى الحجاز بطريق البادية — هو والسيد عادل زعير فالتحق بالجيش العربي .

ولما دخل الامير (الملك) فيصل دمشق دخل عليه وتلى قصيدة اشار فيها الى الزحف حتى البحر والا زال ملكه اي انه دعى الى الاستيلاء على لبنان .. وقد عين مستشاراً للوزارة العدلية فأمين سر وزارة المعارف فاستاذ لكلية الحقوق في دمشق فرئيسا المحكمة بداية السلطنة ثم عضواً العضوية الاستئناف

في عمان ثم استقال واشتغل بالمحاماة فنقرغ لمهاجمة الانتداب الانكليزي فكادوا له فقتل سنة ١٣٥٢ هـ .

ثم ظهر فوج اخر من مقدمتهم السيد ابراهيم طوقان وشقيقته فدوى طوقان وصديقه السيد عبد الكريم الكرمى " (ابو سلمى) ، الرحمن عبد المجيد والشيخ محمد البسطامي والشيخ حلمى الادريسي ، والسيد عبد الهادى كامل والاستاذ على الصرطاوى والاستاذ محمد العمدة والسيد برهان العبوشي والاستاذ انور عرفات والاستاذ سيف الدين زيد والشيخ محمد رشيد زيد والسيد حسنى زيد والسيد عبد الرحيم المحمود والشيخ احمد الحنبلى والسيد حسن جرباوى والسيد واصف الصليبي واحسان النمر (المؤلف) .



(صورة فدوى طوقان)

هي فدوى بنت عبد الفتاح آغا طوقان ولدت في نابلس سنة ١٩١٨ م . ونظمت الشعر في الثانية عشرة من عمرها اي سنة ١٩٣١ م . وكان اول ما نشر لها قصيدة من الشعر المقفى مطلعها
لقد زاد في قلبي اشتياقي من البعد فهل عند ابراهيم مثل الذي عندي ثم درجت على نظم الشعر المحلول مما لا استسيغه انا ولا امثالي من المحافظين على الشعر المقفى وهو اصل الشعر العربي وميزته .

بعض نماذج من الشعر

من شعر الشيخ صالح الخفش

كان التشطير في عهده شائعاً فقال في تشطير بيت عمر بن الفارض : عني خذوا وبني اقتدوا ولي اسمعوا وتحذثوا بصبابتي بين الورى فقال في التشطير :

عني خذوا خبر الغرام معننا	وأصغوا لما نشد المشوق وأخبرا
وبني اقتدوا تجدوا هداي موضحا	سبل المحبة لا يزال لمن سرى
ولي اسمعوا تلتذ كل جوارح	لعب الهوى العذري بها حتى برى
واهدوا الملاح وقلدوا عن مذهبي	وتحدثوا بصبابتي بين الورى



(صورة الشيخ صالح الخفش)

وقال ينشيب :

بدت ولها خضاب في اليدين فتاة تزدرى بالنيرين
سبتني وجنتان لها أرتني رياض قد زهت في وجنتين
وجيد ما رآه الريم الا تمناه وعض على اليدين
وقال في مجلس الشريف عون الرفيق يشطر بيتا :
وقلوب أبناء اللنام اذا تنافر ودها شبه زجاجة كسرها لا يشعب
فاستحسنه الشريف وأجازه .
ومن شعر السيد محمد صالح الصمادي قال يحيي الجيش العربي الفيصلي :
يا أمة العرب ان المجد وقتكم فاسترجعوا المجدو أحيوا الاعصر الأولى
ان النفوس للاستقلال قد طمحت هيهات تقبل في افكارها جدلا
هيهات يغمد سيف العرب صقيله حتى يكون بثوب العز قد رفلا
وقال في سجن جمال باشا :
فلئن قتلت فكم نبي قد قضى قبلي ولما يدن من اوطار

ان يصلب الاعداء جسما فانيا فالروح تأوى مسكن الابرار
هيهات أن نرضى بحكم أعاجم فالعرب ليست أمة الهنكار
والعيش في حكم الاجانب ذلة والموت خير من حياة صغار
وقال الشيخ نمر الداري بعد اعلان الدستور .

لاحت بشائره فصاح طربا بالسنة فصاح
دستورنا السامي الذي نور العدالة منه لاح
ولأنت يا قلمي افق زمن الرقاد مضى وراح
وقال الشيخ محمد البسطامي يدعو النصارى والمسلمين لترك الشقاق سنة ١٣٤٨ :

يا قوم حتام الشقاق فانقذوا وطننا يكاد تروثه مرموسا
الأجل ان قلنا النبي وقتلتموا



صورة الشيخ محمد البسطامي

عيسى نضيع ذلك المتعوسا
أو ليس فينا وحدة وطنية
وان اختلفنا شرعة وطقوسا
لا نصر الا في نهوضكموا معا
وبذاك ترضون النبي وعيسى

مساجلات الحاج شافع عبد الهادي - مع الشيخ عبد الحميد الرافعي في منفاهما في قرق كليس في العهد العثماني .

قال له الرافعي

يا فارسا اعلاه مو لاه وأسعد طائره
أي الخيول اذا أغر ت بها تخلصها طائرة
فأجابه الحاج شافع

ان الخيول بأسرها من أي شكل زاهرة
ولكل جنس مدحة لا تنتهي للأخرة
فاذا اعتلاها فارس ادركن فيه مآثره
وان اعتلاها جاهل مزقن منه مرأثره
فالحمر منها كالعرو س اذا بدت متفاخرة
والزرق خصت للامير بها يروح خاطره
والدهم يخبئها الفوارس للليالي الجائرة
والشقر في يوم الوغا مثل الطيور الطائرة
فهي الاميرة في السبا ق على الخيول الغائرة



صورة الحاج شافع أفندي عبد الهادي

من شعر الاستاذ عبد الرحمن عبد المجيد¹¹⁴

ابيات لطيفة عن الوحشة :

يا وحشة جرت على

نفسي هموما لا تطاق

ابغير خل صادق الغير

او ذات حسن وأتلاق

تحلو الحياة وتشتهى

لا بل هي السم المذاق

لا كان وقت ليس

يقطع بالحديث وبالعناق



صورة الاستاذ عبد الرحمن عبد المجيد

وقال يمدح الانس :

قم ناج في الروض بين الورد والاسى تلك الطيور فما باللهو من باس

افنيت عمرك في نسك فخل لها باقي الحياة للذات واعراس

لو شئت لم تلف إلا غير ذى اسف على مصاب غدا في رأسك الراس

فاترك قراءة ما يضيئك معتمدا على الطبيعة في فهم واحساس

¹¹⁴ هو عبد الرحمن بن الحاج سعيد عبد المجيد . ولد سنة ١٩٠٠ في مدينة نابلس وتعلم فيها وقد قام بخطب في حفلة ختم القرآن فالجم واصيب باليكم وظل يفهم ويسمع قليلا وقد مارس الادب وصار يتصل بادباء البلد وكان مألوفاً بينهم الى ان توفي

شعر الشيخ حلمي الادريسي¹¹⁵

قال في العتاب

يا أخا الود والوفاء العجيب ورضيع العلوم والتهذيب

هل جنينا في جنب ودك ذنبا

رمتنا منك بالحدود العجيب

يا صديقي ملكت قلبي فاسمح

كل قلب رهن بكل حبيب

طالما قد فخرت فيك صديقاً

وأديبا مستأثراً بالقلوب

ان اكن عاتباً فما في فؤادي

لصديقي غير الوفا من نصيب

يا صديقي عليك من تنريب او اكن معتباً فما في عتابي



صورة الشيخ حلمي الادريسي

¹¹⁵ هو حلمي بن نامق آغا الادريسي ولد في نابلس سنة ١٩٠٠ وتعلم في مدارسها وبعد الثانوي دخل الازهر الشريف . ثم عاد الى بلده فتوظف معلماً ثم كاتباً في المحكمة الشرعية ثم ترقى الى رئيس كتاب ثم صار قاضياً فمفتشاً للحاكم الشرعية الى ان توفي سنة ١٩٥٧.

من شعر السيد عبد الهادي كامل¹¹⁶ يصف شقاء الفلاح ويشجعه

مسكين ما اشفاك يا فلاح تشقى وغيرك هاجع مرتاح

تطوي الحياة سهولها وخرنها في البؤس ما للبؤس عنك براح

واراك تكدح في العشية والضحي للرزق لا تونس ولا ترتاح

ومن الشقاء على جبينك مسحة ومن الكفاح براحتيك جراح

الأرض دار الرزق انت عمادها بل انت منها القفل والمفتاح

اقبض على المحراث واخرج خيرها للناس وافخر انك الفلاح

البازل المضيايف محمود القرى الاريجي الباسل المسماح

فلتلك عمر الله اشرف مهنة للناس فيها مرزق وفلاح



صورة عبد الهادي كامل

قصيدة من شعر ابراهيم¹¹⁷ طوقان في الشهيد :

عبس الخطب فابتسم وطغى الهول فاقتحم

رابط الجاش والنهي ثابت القلب والقدم

لم يبال الاذى ولم يثنه طاري الالم

نفسه طوع همة وجمت دونها الهمم

تلتقي في مزاجها بالاعاصير والحمم

تجمع الهائج الخضم الى الراسخ الاثم

وهي من عنصر الفداء ومن جوهر الكرم



صورة ابراهيم طوقان

¹¹⁶ هو عبد الهادي بن كامل عبد الهادي الحاجي من قرية سبسطية ولد سنة ١٩٠٩م تلقى دروسه في قريته ثم في المدرسة الصلاحية بنابلس وبعد تخرجه توظف في سلك البوليس ثم في الاذاعة . وقد سلك الادب واتصل بالادباء فظهر شعره وعرف
¹¹⁷ هو ابراهيم بن عبد الفتاح آغا بن داود آغا طوقان ولد في نابلس سنة ١٩٠٥ م تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة الرشادية الغربية وبعد الرشادية دخل المكتب الرشدي وفيه التقينا وفي عهد الانتداب دخل مدرسة المطران في القدس تمهيدا لدخول الجامعة وبعد اكمال مدرسة المطران التحق بالجامعة الامريكية في بيروت ومنها تخرج سنة ١٩٢٩ فاشتغل بالتدريس في النجاح الوطنية بنابلس . يدرس اللغة العربية ثم اشتغل كذلك مدرسا في الجامعة الامريكية ثم توظف مديرا الدائرة المياه

سار في منهج العلا يطرق الخلد منزلا

لا يبالي مكبلا ناله ام مجندلا

فهو رهن بما عزم

ربما غاله الردى وهو في السجن مرتهن

لم يشيع بدمعة من حبيب ولا سكن

ربما ادرج الترا ب سلباً من الكفن

لست تدري بطاحها غيبته ام القنن

لا تسئل اين جسمه واسمه في فم الزمن

انه كوكب الهدى لاح في غيبه المحسن

ارسل النور في العيو ن فما تعرف الوسن

ازكى النار في القلو ب فما تملك الضغن

اي وجه تهللا يرد الموت مقبلا

صعد الروح مرسلا لحنة ينشد الملا

أنا الله والوطن¹¹⁸

¹¹⁸ في نابلس . ثم الاذاعة . على اثر مشاحنات سافر الى العراق حيث عاد لسلك التعليم الا ان مرضه الذي لازمه اشتد عليه فعاد الى نابلس حيث قضى نحبه سنة ١٩٤١ - كثيرون ساروا سير الاستاذ ابراهيم وماتوا واختفى ذكرهم وكأنهم لم يكونوا الا أن ابراهيم ظل خالدا لما ترك من القصائد الخالدة ، سألني أحد الذين شغفوا بالكتابة عنه ترى من ابن عبقريه ابراهيم من جهة امه ام من جهة ابيه؟ قلت له من جهة جده داود الأغا الذي كان احد روايتي في تاريخنا المحلي وكان ميالا الادب وقد بدا ابراهيم الشعر في مدرسة المطران فيعرضه على أخيه الاستاذ أحمد الوزير فيها بعد وعلى استاذة نخلة زريق فلم يظهر اله استحسانا بل نصحاء ان يدرس أكثر ويتعمق

محمد العمدة في وصف حالة عرب فلسطين أيام محتلتهم :¹¹⁹



صورة السيد محمد العمدة

تفتن جند الغرب في الظلم فانبرى يبيع دماء الامنين ويهرق
فكم قتلوا من آمن وسالم وكم قتلوا من مرضع ليس ينطق
يريدون منا ان نزل لحكمهم وما حكمهم الا الفناء المحقق
على كل خد دمعة تترقرق وفي كل صدر زفرة تحرق
وفي كل بيت أنه أثر أنه يصعدها الله قلب ممزق
أحالت يد الاجرام بؤساً حياتنا فلا الصفو مرجو ولا العيش ريق

ولولا نفوس بالاماني تشبعت
لكدنا من الارهاق والحبس نخنق
تلقت في طول البلاد وعرضها
فكدت لهول الخطب بالدمع أشرق
فلا تبصر العينان الا مصائبها
وشعب يقاسي كل ظلم ويرهق

¹¹⁹ في اللغة العربية فأكب على دراسة القرآن مع الرجوع إلى تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري وهو الذي نبهني لقيمة هذا التفسير ، وفي الجامعة كشف نبوغه لان الأستاذ هناك استحسن شعره وشجعه وصار يقول وينشر في الصحف والمجلات .

وكثيرون يقولون الشعر (يقصدون وينشدون) وي طرح قولهم لسماحتهم اما شعر ابراهيم فانه لطيف مثله فقد كان يكره الثقالة والتقلد فكان بيننا اصطلاح فاذا بلينا بثقل في جلسة منشية نابلس قلنا و بداها كازوز ، وبعد تحية الهابط علينا نودعه ونسير في مشوارنا الممتع الى كروم زيتون رفيديا نتحدث في التاريخ المحلي والحزبية السابقة وآثارها الخبيثة التي اصطدم بها ابراهيم في الجامعة الاميريكية وفي النجاح وحتى في العراق . تلك الحزبية التي دمرت نابلس ولا تزال والتي طالما حدثنا عنها والده المرحوم أبو حمد منددا ومحذرا من الروح الهدامة التي ابتليت بها فئة عملت لتهديم بيوت الحكم السابقة فتهدمت هي وبقيت هذه البيوت محترمة لنيلها وخيرها للبلاد والعباد .

هذا الحديث كان يلذ للاستاذ ابراهيم فيحب ان يصادفني (وبين أنت يا خال ؟ وبين زمان ما شفناك ، فعواد الحديث ونندد بتلك التصرفات التي تبدو من بقايا اولئك القوم وانسأهم الى عهد قريب . ولقد كان يشكو من ابن عمه قدرتي أغا من الشكوى لانه لم يكن يحذر أولئك القوم بل كانوا يخدعونه ثم يلدغونه ثم يستغلونه و يلدغونه فيضيق ابراهيم ذراعا بهذه التصرفات ويقول لي : « اتعيني قدرتي وأتعب سليمان بك بهذا السلوك وهذا الاستسلام مع هؤلاء الناس الذين كانوا يؤلمون ابراهيم أكثر من المرض لا ضيقا منهم ولكنهم للحال التي وجد عليها بلده من الجو الفاسد - ولقد مات ابراهيم وظللت أصطلي بتلك الخبائث حتى اليوم لا سيما بعد ظهور تاريخ جبل نابلس والبلقاء الذي وضع العلل على قلوبهم فأين مثل ابراهيم ممن يسبرون في الحياة بوعي تام للعدو والصديق . نعم كان الاستاذ ابراهيم يكره الثقالة والتقلد وكم له من توريثات في هذا المعنى التي فطنها وهو في أشد حالات المرض حين اراد طبيببه أن يجدد دمه ويقوي فقال :

وطبيب رأى صحيفة وجهي شاحبا لونها وعودي نحيفا
قال لا بد من دم لك نعطة نقيا مليء العروق عفيفا
لك ما شئت يا طبيب أعطني من دم يكون خفيفا
هكذا كان ابراهيم وهذا ما عرفته عنه في لقاءاتنا التي كانت خلصات لطيفة قليلة رحمه الله رحمة واسعة .

الاستاذ الحاج حسني علي الجرباوي الجراري من بلدة جينين دخل مدرسة النجاح الوطنية بنابلس وتخرج منها وظهرت موهبته الشعرية فيها فصار يقول القصائد في المناسبات التي منها :

كفكف دموعك أيها المتفجع ما الدمع يجدي فينا او ينفع
كأس المنية شربها حتم على كل امرئ فعلا مبيكي المدمع
ما هذه الدنيا بدار ينبغي فيها المقام ولا يطيب المضجع
والدهر لا تحمده في انعامه كلا ولا تذمم اذا هو يمنعه
وعوده ليست اما نا ترتجى



صورة الاستاذ حسن جرباوي

كلا ولا تجعل فؤادك يهلع
واخلص لنفسك لا تنثق في غيرها
وارحل بها ان ضاق منك الموضع

ان الفتى من عاش حراً في الورى
والحر لا يشكو العنا أو يجزع
وبنو الكرام اذا تعاضم خطبهم
يوم الوغى صبروا ولم يتزعزعا

وهذه قصيدة الاستاذ عبد الرحيم المحمود :

عنوانها الشهيد

سأحمل روعي على راحتى وأمضي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق واما ممات يغيب العدى
وما العيش لا عشت ان لم أكن مخوف الجناب حرام الحمى
اذا قلت أصغى لي العالمون و دوى مقالي بين الورى
لعمرك انى أرى مصرعي ولكن أغذ اليه الخطى



صورة الاستاذ الشهيد عبد الرحيم المحمود

أرى مقتلي دون حقي السليب ودون بلادي هو المبتغى
يلذ لأذني سماع الصليل ويبهج نفسي مسيل الدما
وجسم تجندل فوق الهضاب تناوشه جارحات الفلا
فمنه نصيب لطير السما ومنه نصيب الأسد الثرى
كسادمه الارض بالارجوان وأثقل بالعطر ريح الصبا
وعفر منه بهي الجبين ولكن عفاراً يزيد البها
لعمرك هذا ممات الرجال ومن رام موتاً شريفاً فذا

ومن شعر مؤلف الكتاب معارضته لقصيدة سلو قلبي :

اسائل هل صحا قلبي وثابا فكم أنسى بسكرته الصوابا
وقد جربت إيقاظي وصحوي فهام القلب لا يرجو إيابا
فيسكرني أنين الصب شوقا واذهل ما شكا حبا وهابا
ويسكرني الجمال اذا تناهى وانفر ان أتى شيئاً معابا
جمال الروح يسكر كل صب جميل الروح يستهوي الصحابا
له فتن تزيد على المزايا فتسحرنا فلا نحرى جوابا
اذا ابتسموا كان الشمس ضاعت وان نطقوا جلوا عني مصابا
ولا تبخس لحسن الصوت حقاً اذا حن الجميل لها عتابا
على ألم تطوحه جراح فاحرقنا من الشكوى وذابا
وصيرنا بمجلسه سكارى ولم نشرب من الحان الشرابا

ومن يخبيل على طرب وشوق فقد وفى الى النفس الحساب

وقد ظنوا بسكر الخمر لهوا تجرع للفتى سما مذابا

ولو ذاقوا لشوق السكر طعما لصار الصاب في فمهم رضابا

محاضروا الاذاعة

لما تأسست محطة اذاعة القدس عين لادارتها الاستاذ ابراهيم طوقان. وقد اشترك في محاضراتها منذ التأسيس الى الان نخبة من المتعلمين منهم الأستاذ على الصرطاوي والاستاذ عبد الرؤوف المصري وعارف ابي مغلي ووجيه البشتاوي والشيخ محمد البسطامي واحسان النمر (المؤلف) .

الفصل الرابع

المقامات والمزارات في مدينة نابلس

لست معظما ولا قبورياً وانما اذكر هذا على سبيل اظهار الحقيقة كاماكن اثرية اتخذت للتقديس فى الجاهلية الثانية لهذه البلاد تربط عليها الشراريط كبطاقة لزيارة وتشعل عليها السرج والشموع وتقصّر شعور الصبيان وتقدم النذور الى غير ذلك من الامور الشركية التى يحرمها الإسلام ويحذر منها . وقد ضعفت هذه الامور اليوم لما طرأ على افكار الناس من التقدم نحو الطب وغيره وهي مع ذلك اثر غير حقيقي كثير منها مناظر مراقبة سيأتى الكلام عليها واهم المزارات والمقامات هي :

١- صخرة الست سليمانى فى الجبل الشمالى (عيبال) القائم على مدينة نابلس ومن المخجل حقاً أن عامة نابلس يعتقدون انها عابدة مصرية طار نعشها ودخلت في جوف هذه الصخرة وهم يستدلون بقطعة خشب خارجة من فتحة الصخرة وصاروا يشعلون لها السرج فكان الواويات (بنات آوى) بلعقون الزيت ويطفئون السرج وقد دامت الحكاية والنذور الى عهد



صورة صخرة السليمية

قريب. وقد شجعت الحمال عبد الكريم كلبونه فربط سلميّن ببعضهما وسحب قطعة الخشب فاذا هي موضوعة لحدتها وليس في جوف الشجرة شيء وان الشق الذي فيه الخشبة لا يتسع لشيء . وحقيقتها هي ما ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي وهو أنها أخان اسمها سليم وسلمى كانا يتعبدان في اسفل هذه الصخرة. ويظهر أن بعض أهل الخير من ملاكى كروم الصبر فى تلك المنطقة قد بنوا لهما جدارا يظلهما من الشمس وبعد موتها قامت فكرة عند بعض الصعاليك بأن تحت الجدار كنز فهدموا قسما منه وقد شاهدت بعضه مهدوما . ويظهر أنها ماتا فى وقت واحد فدفنا بالقرب من الصخرة تحت شجرة الخروب هناك . أما الخشبة فهى جزع سماقة . وكان يسكن في الجوف زوج من طير أبيض كبير يسميه اهل نابلس رخمة وهو من انواع النسور كنا نشاهدهما يدخلان ويخرجان حينما كنا نفرط ونلتقط الزيتون من المدورة وكرم العيد ملك عمي بدوي آغا النمر ثم لم نعد نراهما فهما ماتا او هجرا المكان وقد تكون الخشبة حملها هذا النسر أو أن احد الخبثاء وضعها .

٢ - عماد الدين بن سيف الدين الملقب بالمشطوب :

وفي كتف الجبل لجهة الغرب من الست سليمانية مقام شيخ العماد وهو عماد الدين بن سيف الدين الملقب بالمشطوب لقد جاء في وفيات الاعيان لابن خلكان عن عماد الدين وكان من امراء الدولة الصلاحية . فان والده لما توفي - وكانت نابلس اقطاعا له (ارصد له منها السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى الثلث لصالح بيت المقدس واقطع ولده عماد

الدين المذكور باقيها . وجده ابو الهيجاء كان صاحب العمادية وعدة قلاع من بلاد الهكارية) . والمعروف عندنا ان المدفون فى كتف الجبل هو عماد الدين الا ان سياق كلام ابن خلكان يدل ان المتوفى فى نابلس هو سيف الدين والد عماد الدين وان عماد الدين توفي معتقلا في قلعة حران حيث قبض عليه الملك الاشرف مظفر الدين بن الملك العادل وان ابنته نقلته من حران الى قلعة رأس العين ويقرر ابن خلكان انه رأى قبره هناك وكانت وفاته سنة ٦١٩ هـ



صورة مقام عماد الدين

وفيما يلي ترجمه والده سيف الدين المشطوب :

وقد تبين لي من كتاب كتحدا (امين سر) الوالي المنشور في الصفحة (٤٩٨) من الجزء الثاني من هذا الكتاب انه من صمادية الشام وتولى عليه فيما بعد الهكارية . ويظهر ان سيف الدين ابو الحسن علي بن احمد الهكاري اكبر قواد صلاح الدين الايوبي ولم يكن من امراء الدولة الصلاحية من يضاهيه شأنًا ورتبه وكان يلقب بالامير الكبير وقد مات في نابلس سنة ٥٨٨ هـ سنة ١١٩٢ م ودفن تحت القبة الشرقية فى المقبرة الشرقية وكان قبره بارزاً فى أول عهدنا تم درسه النقاشون

3 - مجير الدين

وفى سفح الجبل نفسه على الطريق الذاهب الى الغرب ضريح مجير الدين وهو قائد من قواد المماليك استشهد في قتال التتار سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) وقد قتل معه جماعته كما قرر صاحب وقد النجوم الزاهرة ومجير الدين لقبه واسمه ابراهيم بن أبى بكر بن أبى زكرى. وربما كان جد آل زكرى في نابلس . وقد تولى عليه ال خضر السركجي بنابلس ولديهم حجة على رق غزال

٤ - السرى وفى كتف جبل طور زيتا (جرزيم) لجهة الغرب مقام يقال له السرى وهو من رجال التصوف له قبر بسيط ويظهر أنه من ذريته السرى السقطي لان هذا مات ودفن في بغداد ، كما قرر في وفيات الاعيان في ترجمة خالة الجنيد وكانت زاويته يعمرها الصوفية وفيها تكية في الوقت الذي زار فيه نابلس السائح أولياء شلبي التركي سنة ١٦٧١م فقال عنها ، ومقام سرى السقطي يقع على جبل عيبال في غرب المدينة (يعني نابلس) وقد كان صاحبه قدس الله سره قطب الاقطاب في زمانه ودفن في بغداد . ومقامه هذا بناية كبيرة تستعمل تكية واعتاد شيخ الدراويش أن يحتفل بالذكر فيها وبدوق الطبول في كل يوم خميس .

هـ - مقام الانبياء في الجهة الشمالية الشرقية من نابلس القديمة ويقولون أنهم أبناء يعقوب وهو افتراء لأن بني اسرائيل حين خرجوا من مصر لم يخذوا معهم الا جثة يوسف المحنطة وقد دلت عليها عجوز كبيرة اشترطت على موسى شرطا فعرفته وخرج وأتو به و دفنوه عند اجداده اما هذا المقام فليس فيه أحد¹²⁰ منهم ولما اتخذوا الايوان مسجدا رأيت أن يزيلوا القبر ويبلطوه ويضموه للمسجد فلم يتجاسروا ، وكانت ولايته لآل فيضي البسطامي العباسي ثم حول الى مسجد وأبطل شعل السرج .



صورة جامع الانبياء عليهم السلام

¹²⁰ وكذا قبر روبيل في قضاء يافا غير حقيقي لان مقامه الاصلي في مصر كما قرر الجبرتي المؤرخ

٦ - مقام بشر الحافي : والى الغرب من مسجد الانبياء مقام واسع فيه قبر ضمن الجدار القبلي للشرق يقول عنه العامة بشر الحافي وهو افتراء أيضاً لأن بشر الحافي مات ودفن في بغداد¹²¹ سنة ٢٢٧ هـ وقد دفن الى جانب قبره الخطيب البغدادي . وربما كان احد اولاده واحفاده . وهو من الصوفيين المشهورين . وقد ظل السكان الى عهد قريب يشعلون عليه السرج وينذون له النذور التي منها غطاء للقبر من القماش الاخضر ويقولون انه تمزق وكان كل من يمر عنده بربط شريطة على حديد نافذته . ولما كنا صبيان فكلنا مررنا عنه نقطع خيطا من شرابة الطربوش وتربطها فكانت الشرابة تتلف في برهة وجيزة لانه في حدنا وفي بعض الاحيان كنا تقطع من بطانة القنباذ وتربط الى ان كبرنا وقد كان يستعمل- وهو بناء واسع- كتابا لتعليم الأولاد وقد داومت فيه برهة بسيطة وكان يعلم فيه الشيخ راغب أبى الذهب . وقد هدم في الزلزال فبنته الحاجة عزيزة عبد المجيد (الناعجي) ثم استولت عليه دائرة الاوقاف فقسمته قسمين شرقي وفيه الضريح وغربي أجرته دكانا للنجارة وسكرت النوافذ وأبطلت النذور.

٧- الشيخ مسلم والى الجنوب من مسجد الانبياء وفي الشارع الثاني الذي عرف بشارع آل عبده يوجد مقام الشيخ مسلم الصمادي والى الجنوب من غرفة الضريح يوجد مسجد كبير كان يستعمل كتابا وأمام بابه حوش يعرف بحوش الشيخ مسلم وبعضهم يقول (حوش البقر) وهو ساحة كبيرة تحيط بها غرف . وهو جدال الصمادي بنابلس ودمشق وهو من المجاهدين الاولين في العهد الصلاحي وقد اقطع أراضي في نابلس فكان هو يحرثها بنفسه تواضعا وظلت ذريته¹²² تستغلها الى ان خرجت نابلس خارج الاسوار فصاروا يبيعونها ويبنون بالاثمان بيوتا وترك لهم أيضا أراضي في غور الفارعة التي تروى من مياه الفارعة كان يستولي عليها الجيران مساعدت الشيخ محمد حسن الصمادي فنصبته عليها متوليا وساعدته والأمير صالح الضامن لاستردادها ثم اقتسموها وانشا و اعليها بيارات تدر عليهم مورد احسنا اما المقام فاهمل و استعمل باقيه للتجيد وقد باعوا الحاكرة وأما الحوش فما زالت تسكنه عيال فقيرة بالاجرة . وانقطع الشغل عن المقام والعتاء والنذور.

٨) وفي نهاية الشارع للجنوب وعلى رأس درج الشارع الثاني زاوية الخضر وهي غرفة ضمن غرفة كانت تشعل عليها السرج وتقام فيها نوبة الصوفية بخلافة الشيخ عادل الشخشير وهي آخرها .

٩ (الشيخ بدران والى الغرب وفي شارع السراية القديمة مقام الشيخ بدران وهو بدر الغفير كانت تشعل عليه السرج وتقدم اليه النذور وكانت وراء المقام للشرق ساحة وغرفة تستعمل مدرسة نزل فيها الشيخ عبد الغني النابلسي في سياحته القدسية سنة ١١٠١ هـ . ثم استعملت دارا للمحكمة الشرعية ثم حولتها دائرة الاوقاف الى دكان للاجارة . واما المقام فظل زاوية تودع فيها اعلام أصحاب الطرق الصوفية والطبول والكاسات وتضاء عليها المصابيح . ويظن العامة خطأ أنه والد شيخ العماد ومجير الدين . وقد ذكره صاحب شذرات الذهب والنجوم الزاهرة باسم العماد عبد الحافظ بن بدران بن شبل النابلسي صاحب المدرسة بنابلس . وقد طال عمره وعظم شأنه الى أن توفي في ذي الحجة سنة ٦٩٨ هـ. وقد

¹²¹ وفيات الاعيان لابن خلكان .
¹²² كانت أراضي نابلس المحيطة بالاسوار والبوابات تعرف في سجل الحكومة بقرية نابلس وكانت تستغلها الى عهد قريب بضعة عائلات وهم في الغرب سويسة وخضر (السركجي) والعفوري وفي الشرق الصمادي والنمر وقناديلوا وعاشور ثم ارتفعت اثمان الاراضي فبيعت بالاذرع والدونمات كما ورد في الحديث

قارب التسعين سنة ولكن المعروف عندنا أن الشيخ بدران ليس ابن بدران ويظهر أن المترجم هو ابنه لان الشيخ عبد الغني النابلسي قال انه قرأ الفاتحة للشيخ بدران الغفير ولم يقل ابن بدران .

(١٠) والى الشرق منه وتحت جامع النصر للغرب مقام الشيخ الرملي الفقيه جد آل المنير الحسيني .

(١١) وفي الشارع الجنوبي الى الغرب من هذا المقام وفي نهاية شارع بوابة البيك توجد زاوية القدم الرفاعية للشيخ الشعبي وقد استولى عليها آل عبد الهادي لدفن موتاهم .

(١٢) الشيخ مسعود وفي نهاية البلدة القديمة للجنوب يوجد مقام الشيخ مسعود وهو صاحب كتاب ايضا كانت تشعل له السرج حتى عهد قريب.

(١٣) الدرويشية والى الجنوب الشرقي من جامع التينة توجد زاوية الدرويشية كانت تستعمل كتابا ثم مدرسة قرأنا فيها وفيها أضرحة أهمها ضريح الدرويش مراد الرومي الذي زاره الشيخ عبدالغني النابلسي وقد أكبره حيث قال عن هذه الزاوية (وفيها ضريح شيخ الكمال والطريقة معدن السلوك والحقيقة الدرويش مراد الرومي رحمه الله تعالى. فلما وصلنا الى مكانه ودخلنا الى بيت فيه ذلك الضريح وعليه هيئة التقديس والتسبيح فقرأنا الفاتحة ودعونا الله هناك بالكناية والتصريح) .

ويقال لها التكية الدرويشية ويظهر أنها كانت لها أوقاف فدرست فتوقفت التكية وقد اتخذها سدنتها من آل البسطامي مساكن لهم .

(١٤) رجال العمود الغالب أنهم الاربعين الشهود وهم شهداء النصارى الاول الذين عذبهم الوثنيون وسمي العمود نسبة للشيخ محمد عمود¹²³ النور الذي دفن فيه وهو من اهل حضر موت جاء الى هذه البلاد مجاهدا ودفن فيه أولاده . وكان معهم رجل دمشقي جواد اسمه الشيخ علي الدمشقي بنى له غرفة في الجهة الشمالية من المقام وتحتها غرفة فيها قبر مفتوح يظهر أنه كان يطعم أن يدفن فيه وعلى بابها شاهدة تدل على انه اشترى الاراضي المحيطة بالمقام وأوقفها للدفن فيها فدفن فيها شهداء تلك الحروب فلما بنيت دور حي المنكوبين وجدوا قبورا دراسة فى الحى جميعه وكان قد استولى عليها الزراع من آل قناديلو وآل عاشور ولا تزال مقبرة في الجهة الشمالية منها يدفن فيها أهالى قرية بلاطة موتاهم على ان العامودي يدفنون موتاهم فى ساحة المقام الخارجية الى عهد قريب.

ولما أصبح الى الغرب من المقام حي يشمل مساكن منكوبي الزلزال سنة ١٩٢٧ فقد اتخذوه مصلى وجمعوا بعض التبرعات لذلك ثم أكملت عمارته انا (المؤلف) وابنة عمى الحاجة عزيزة سنة ١٩٦٦ واكملناها سنة ١٩٧٠ وقد

¹²³ وليس كما يقولون السامريون أن يوشع بن نون جمع اليهود وقطع لهم عهدا مع الله . وأقام لهم عمودا كتب عليه عهده وان هذا سبب التسمية .

وذلك لان يوشع لم يفتح السامرة ولم يصلها وأنه الى السامريين ليس لديهم تاريخ قديم وان توراتهم لا تشمل كتب الرسل انما تقتصر على الكتب

الخمسة أي ما كان نزل في عهد موسى فقط . وأسف أن استاذنا كالاستاذ مصطفى مراد الدباغ يأخذ بأقوالهم دون تدقيق

أشرفت عليه دائرة الاوقاف واصبحت تقام فيه الصلوات الخمس وعين له قيم ورفع منه بني العامودي ورفع الزيت والننور .

وامتاز مقام العامود على سائر مقامات نابلس بأن تكون صلاة الاستغاثة في رحابه كلما توقف المطر وقلما فشل الدعاء فيه الشيخ غانم على قمة الجبل فوق العمود فهو ليس من الاولياء انما هو من رجال المناظر ولم يدفن هنا بل انتقل الى القدس واصبح له ذرية قوية بنو احدى مآذن الاقصى وصار لهم حي يعرف بحي الغوانم . ومن نسلهم آل السروري في القدس وتداعى المقام فكتبت للوزارة الاردنية فاعادت بناءه بمساعدة وزير البلاط الاستاذ عبد القادر الصالح الشيخ محمد المجاهد وابنه هو في مقبرة آل النمر - كتبت على شهادته الشهادتان بعمامة ولكن المتواتر عندنا ان اسمه الشيخ محمد المجاهد وابنه مدفون الى خطوات من قبره ولم يدفن عليه أما قبر الشيخ محمد فقد جددته باسط صورة . واعدت شهادته وعليها الشهادتان .



صورة جامع العامود



مقر الشيخ غانم البوريني محافظ القلعة على ظهر الجبل القبلي بنابلس (جرزيم) .

مقامات ومزارات جبل نابلس

(1) مقام الشيخ يوسف في شمال قرية بلاطة فهو مقام شيخ يدعى يوسف لان النبي يوسف قد دفن في الحرم الابراهيمي وضريحه بارز لا شك فيه .

(٢) الشيخ بلال على قمة جبل فوق وادي الباذان وهو من رجال المناظر الآتي الكلام عنهم .

(٣) مقام الشيخ كامل والعجمي والى الشرق من بلال وفي قرية بيت دجن مقام الشيخ كامل والى الجنوب منها وفي خربة كفر بيتا مقام العجمي والى الجنوب وفي قرية جوريش يوجد مقام ٤ - الشيخ حاتم الذي يقدمه سكان مشاريق نابلس فيحلفون عليه ويصدقون أكثر من صدقهم بالله والقرآن وكانوا يقدمون اليه النذور ولا يتأخرون ولعمري انه كان عين الشرك فاين كان ذو العمائم الذين كان يطلق عليهم لقب ؟ والى الغرب من جوريش على حافة سهل عسكر المعروف بسهل البهاء وفي قرية عورتا يوجد

(5) مقام العزيز الذي يقده السامريون ويزورونه ويتمنون لو يسمح المسلمون لهم بوضع اليد عليه وهو قبر ضخم مسنم والى الشرق في القرية نفسها مقام يقال له العزيرات

(٦) العزيرات كان يزوره أهل القرية وغيرهم فيشعلون ويقدمون النذور.

(٧) ابن عوف وفي نهاية حدود جبل نابلس الى الجنوب وفي مرتفعات اللبن يوجد مقام يقال له ابن عوف وهم يظنونهم عبد الرحمن بن عوف مع انه من المؤكد وفاته في المدينة المنورة وقصته مع عثمان بن عفان حين احتضاره معروفة وهي انه انحرف عنه ولم يكلمه ولكن ربما كان هذا المقام لبعض ابنائه او احفاده ممن جاءوا الى هذه البلاد حين الفتح واستشهدوا فيها.

(٨) طاروجه وسعيد بن المسيب والى الغرب وعلى رؤوس الجبال القائمة فوق قرية اللبن الشرقية مقامان احدهما طاروجه وهي تسمية الخرافة أخرى أي طار وجاء . والمقام الثاني وهو الشمالي يقال انه لسعيد بن المسيب الصحابي المشهور. ولا اعلم عنه شيئاً وطار وجهه في الغالب منطرة اعلامية. ملاحظة - ومقام عمر و بن امية الضمري خطأ فقد مات في المدينة المنورة كما قرر ابن الأثير في تاريخه الكامل ، فالمقام الموجود جهة سنجل فليس له ويكون لاحد اقاربه

(٩) قبر ومقام الشيخ بشارة في حوارة وهو رجل مجذوب كان اول هذا القرن يتجول في شوارع نابلس ويجلس باب دكان أبي زينة في السوق ولما مات ادعى حاملوه وهم أولاده وأحفاده انه يريد أن يطير الى الشرق فصاروا يرجونه ان يهدأ ولهذا قدسوه الشرق. وبعد دفنه أقاموا عليه قبرا عاليا بعمامة خضراء كبيرة وبنوا عليه بيتا فأصبح مقاما بزار وتقدم له النذور وتضاء عليه السرج ويأتي المختلفون فحلفون عليه صادقين وهو مثل قريب عن حقيقة كافة المقامات المماثلة وبجواره غرفة يقال لها زاوية عكاشة وهذا مدفون في القدس.

(١٠) مقام الشيخ أبو اسماعيل يوجد بين حوارة وكفر قليل زاوية على مرتفع يقال لها مقام الشيخ ابو اسماعيل فيها قبر وهو يشرف على سهل عسكر (مرج البهاء) . ومقابل القبر خارجها ويقال ان ابا اسماعيل هو جد آل الحصان في بورين وهي ايضا تقرب اليها النذور .

(١١) الشيخ سلمان والى الغرب الجنوبي من هذه الزاوية وفوق قرية بورين يوجد مقام يقولون له الشيخ سلمان ويظنونه سلمان الفارسي والمعتقد انه من رجال المناظر اسمه سلمان لان سلمان الفارسي لم يمت هنا ولا في طور القدس انما هو مات في العراق ودفن في قرية أطلق عليها اسم (سلمان باك)

(١٢) علم الهدى وعلى الجبل المقابل للشيخ سلمان يوجد حصن فوق جماعين يسمى علم الهدى وهو لاشك من رجال المناظر .

(١٣) الشيخ محمد الزيتاوي مقامه في قرية جماعين نفسها .

(١٤) الشيخ محمد السنيري في قرية سنيريا .

(١٥) النبي نون عليه السلام في كفل حارث وعنده يضع اهالي القرية أماناتهم فلا يمسه احد .

(١٦) حزقيال وهو النبي ذو الكفل في كفل حارث ايضا . وهو قبر مسنم كبير و يقال أن اسمه حزقيال فكفل اولياء فقيل له ذو الكفل.

(١٧) مقام النبي يوشع في كفل حارث وهو غير صحيح أيضا لانه مدفون في جبال السلط وهذا أقرب لانه لم يدخل فلسطين لا سيما هذه البلاد.

(١٨) وفي مردا الشيخ جمعة وابو الوفا وفي الزاوية الشيخ ضرار والشيخ علي في المغارة والشيخ حامد في تل .

(١٩) وهناك في سيلة الظهر مقام النبي لاوى بن يعقوب من المقامات المشهورة وهو كاخوته لا يوجد ما يؤيد دفنه هنا ولم أجد كتابة عليه ولكنني وجدت في الجهة الشرقية صورة نمر بلا رأس وهو رمز الملك الظاهر بيبرس المشهور مما يدل على أنه هو الذي أمر بتجديد المقام

(٢٠) وكذا النبي طوبا في طوباس

(٢١) النبي الاربعين يقع على قمة الى الغرب من قرية تل . والباقي منه غرفة عامرة وحوله انقاض تدل على غرف وتحصينات كغيره

(٢٢) الشيخ جلال الدين على جبل المطوى الى الغرب من سلفيت وهو غرفتين داخل بعضها قد طمرت حولهما الاتربة وفوق المرتفع أنقاض تدل على قرية مخربة وهو موقع يبعد عن فرخة وسلفيت نحو ساعة ونصف مشيا على الاقدام .

(٢٣) الشيخ محمد المقيصب - يقع فوق مردا لم يبق منه الا انقاض غرفة ودليله شجرة بلوط

(٢٤) الشيخ حامد - على قمة جبل جنوبي قرية تل لم يبق منه الا حظيرة فيها محراب وشجرة وتوجد الى الغرب منها ركام من الاحجار وحول الجميع رسوم تدل على وجود أماكن وسور وهو يشرف على عصيرة القبلية وتجاه الشيخ سلمان وترى منه أماكن كثيرة .

(٢٥) الشيخ كامل شرقي بيت دجن .

(٢٦) وكذا مقامات في حارث وكفل حارث .

(٢٧) وفي قضاء جنين مقامات كثيرة منها النبي مثل في ميثلون .

(٢٨) النبي عرابيم في عرابة ولا أثر لقبره والنبي اسكندر في ام الفحم .

(٢٩) النبي ياروب في ياروب في الجهة المقابلة لجبع من الشمال .

(٣٠) النبي وزر في المزار .

(٣١) الشيخ مصلح الكيلاني في يعبد و ابنه زيد في النزله و هو جد آل زيد الكيلاني.

(٣٢) مقام للصحابي حذيفة الكلبى في دحار . والشيخ العازوري . في السيلة الحارثية والشيخ محمد ابو الرب جدال الرب في قباطية

ويظهر ان الصعبيات لا يوجد فيها مقامات سوى

(1) مقام الشيخ الدسوقي في الطيبه

(٢) النبي بنيامين في قلقيلية .

(٣) الولي علي بن عليم العمري .

المساجد والمعابد الاثرية

أقدم المساجد الأثرية في مدينة نابلس الجامع الغربي الذى عرف فيما بعد بجامع الحنابلة لولاية الحنابلة عليه ومدارستهم فيه . ولا يوجد كتابة قديمة تدل على أنه عمري انما توجد شاهدة على باب الغرفة القبلية يرجع تاريخها (المشوش) الى سنة ٩٣٣ وهذا يصادف عهد السلطان سلمان القانونى العثماني. وقد حصل تآكل شوه التاريخ وقد جدد بناءه ومنبره سنة ١٣٣٠هـ بمساعدة السلطان محمد رشاد العثماني

جامع البيك (العين سابقا)

اصل هذا الجامع كنيس شكا المصلون فيه للحاكم حسين باشا شغب الاولاد حين صلاتهم فاستبدلها منهم بدار هي كنيسة الروم الارثوذكس الكائنة في الحي الغربي لنابلس وقد بنو عليها الكنيسة الحالية سنة ١٨٨٢ م

وقد حوله الحاكم الى جامع وقد انشأ الى جانبه سبيلا¹²⁴ ينزل اليه بدرج سمى عين حسين وسمى الجامع العين . ويظهر انه تخرب فيا بعد ولما زار نابلس الشيخ عبد الغني النابلسي ونزل في مدرسة بدر الغفير لم يكن معداً للصلاة وقد صلى في جامعي النصر والسايطون ولو كان معداً للصلاة لكان الواجب ان يصلي فيه لانه على بعد خطوات من المدرسة المذكورة وفى سنة ١١٥٨ هـ جدد بناءه ابراهيم بك طوقان ما عدا القسم الغربي منه لان عليه داراً هى اليوم فى ملك

¹²⁴ وقد طمرت بها البلدية لاسباب صحية

ال البدوى . وقد ضم اليه حاكورة اشتراها من ال الحنبلي وبنى عليها الليوان وغرفة الامام وبعد ٣٢ سنة اى سنة ١١٩٠ هـ قام ولده الوزير مصطفى باشا ببناء القسم الشمالى والغرف وربما المئذنة ولهذا وذاك اصبح يسمى جامع البيك منذ ذلك التاريخ

جامع الخضرة

في حي الياسمينية يقال ان المكان حزن فيه يعقوب على ولده يوسف وقد عمره الملك المنصور قلاون ولهذا الجامع مئذنة مربعة تختلف عن مآذن البلاد وعلى محرابه نقوش بديعة جداً وقد تدعى المسجد فاصلح حالياً.

جامع النصر

كان كنيسة قد انتصر المسلمون في الحروب الصليبية عندها فحول الى جامع باسم النصر وفي العهد العثماني بنيت له مئذنة اسطوانية بناها مراد بك امير لواء نابلس سنة ٩٩٢ هـ بامر السلطان مراد الثالث العثماني وفي زلزال سنة ٩٢٧ مالت ولم تقع ثم نسفت بالديناميت فوجد احجارها قطع حديد مثبتة بالرصاص وقد طمرتها البلدية لاسباب صحية منذ عهد غير بعيد . وبعد مضي سنة أي سنة ١٩٣٠ م وفق سنة ١٣٥٤ هـ جددته المجلس الاسلامي بشكله الحاضر.

الجامع الكبير الصلاحي

هو كنيسة يوستننيانس وكان يتصل بدير حي العقبة يوصل اليه بسرداب. وكان للنصارى الشرقيين فاستولى عليه الصليبيون وبعد طردهم استولى عليها صلاح الدين وحوله الى جامع سمي باسمه جامع الكبير الصلاحي ، وفي سنة ١١٣٣ بنى امير الحاج سليمان باشا العظم لواوين وبركة ونقل عمر أغا النمر الكاس (السييل) عن بلاطه الى خارجه. أما المئذنة المثلثة فقد بناها امير الحج الامير مصطفى الغفاري سنة ١٠٥١ هـ وهو الذي بنى المارستان الذى وراءه والذى يؤجر مصبغة وفى جينين جامع يقال انه لفاطمة خاتون بنت قانصوه الغوري سلطان المماليك الاخير .

ويوجد جامع قديم فى قرية حارث بأعمدة قصيرة ورفيعة رخامية ثلاثة منها بتيجان مشجرة والرابع عادى . ويدعون أنه لا كتابة عليه لتظهر تاريخه .

ويوجد في طوباس مسجد صغير يقال انه عمري ولا تاريخ يثبت هذا انما التاريخ الموجود هو تاريخ تجديده سنة ١٣٣٩ هـ بمساعي الشيخ نافع مسمار مدير مدرسة طوباس اذ ذاك وقد بنيت مئذنته بعد ربع قرن من هذا التاريخ .

وفي ياصيد جامع أنشأه الشيخ سليمان المشاقي سنة ٨١٠ هـ قد هبط سقفه وبقيت جدرانه و محرابه وقاعدة مئذنته وهو مكون من تسعة عقود. وفي باقة الحطب جامع قديم فيه اعمدة قصيرة احدهما لولبي . وهي تشبه اعمدة جامع كفل حارث ويوجد جامع قائم في خربة جراعة المجاورة لقرية جماعين قد تخرب مع خرابها ويوجد مثل هذا المسجد في خربتي المطوى ورويسون في هذا القضاء ايضا . وتوجد في قرية مردا أنقاض اربعة مساجد

وفي عهد المماليك حول نائب السلطنة تنكز المستشفى الهيكل الى مسجد ثم لم يطل أمره فنقل منبره الى الجامع الكبير واعيد مستشفى المجذمين فأطلق عليه اسم جامع المساكين، وقد بنيت فيه المحكمة الشرعية.

كنيسة برقين

هي من أقدم الكنائس في بلادنا وهي نسبة الى البرقان أي البرص الذين شفاهم السيد المسيح باذن الله تعالى وكانوا سبعة قد سد عليهم المكان وصاروا يعطونهم الطعام من السقف بالدلو . وبعد شفائهم أمنوا واتخذوا مكانهم للعبادة ولما ماتوا دفنوا في الكنيسة . ولم يظهر قبرهم لئلا يحرقهم الوثنيون .

آثار رومانية في مدينة نابلس

من الآثار الرومانية في نابلس قلعة طورزيتا « جرزيم ، لم يبق الا اساسها وانقاضها .. ومن الآثار الرومانية في نابلس القناة الرومانية الممتدة من سفح الجبل وراء السجن (القشلة ، حتى البساتين وعليها آبار بين الواحد والآخر نحو مائتى متر ويختلف عمق هذه الآبار . وفي اسفل على القناة غرفة والقناة مغطاة بعقد انبوبي بارتفاع قامة الرجل المتوسط وكانوا يمشون فيها لتنظيفها حتى حاكورة الحبش " سينما العاصي ، فتصبح مكشوفة ولها قناة اخرى تسير من وراء القشلة لتظهر فى عين دفنة إلى يسار شارع القدس فتروى بستان ال عبده " حيث موترات الكهرباء اليوم..



طريق الطور السامري القديم

ومن الآثار الرومانية حى القيسارية باكملة وفيه الدير ديوان¹²⁵ ال الخياط ، الذي كان يتصل بسرداب بكنيسة يوتسنيانس الذي حوله صلاح الدين الايوبي الى جامع فأصبح يعرف بالجامع الكبير الصلاحي. والشارع الممتد من هذا الجامع حتى بلاطة فكانت المباني الرومانية قائمة على جانبيه وقد هدمت بالزلازل وكشفت انقاضها حينما جدد المباني فوقها . ولدى ال الادهم حجة تثبت على رق غزال بأملك في زقاق بلاطة.

¹²⁵ وقد استخدم الدير كمستشفى في الحروب الصليبية وبعدهم استعمله المسلمون كزاوية والى الجنوب منها دار خطيب الجامع الكبير وقد تملكها فرع من آل البشناوي باسم الخطيب لانهم ورثوا الخطباء آل مكية والزاوية عرفت باسم ابن الحارثية آخر من وجد بها وصارت لتعازي الحي ثم عمرها آل الخياط ولا تزال للتعازي

كما يوجد حتى الان حمامات رومانية فى احداها (هى الخليل) وفي الحي الغربي توجد دور ينزل اليها بدرج قد هجرت لانها غير صحية وتقوم عليها مباني ، ومن الاثار الرومانية قلعة الدير بين قريتي كفر الديك ودير بلوط ولا تزال فيها برك واحجار . وفي كفر ثلث وحولها خرائب اثرية تحتاج إلى تحقيق .



صورة اكبر تاج عمود

العناية والاهمال

لم اترك مكانا أثريا في نابلس وجبلها الا زرتة ودرسته الا ما ندر فوجدت اهمالا كبيرا وعدوانا يدل على الجهل والخبث مما يؤسف له اشد الاسف . فمن ذلك أن السيول سنة ١٩٣٥ م كشفت درج طور (زيتا) جرزيم الذي يصعد الى القلعة ولكنه ما كاد يظهر حتى أخذت حجارته لكسارة كانت هناك . وكان هذا الدرج من أقدم الآثار هنا .

ومن ذلك أيضا انه لما تداعى القسم الغربي من الجامع الكبير الصلاحي قام اثرياء نابلس لتجديده فكشفت اعمدة في الدعامات (البواكي) . فأعيدت على الاعمدة فصار منظر الجامع بديعا جدا فهب الاثرياء يتبرعون لاتمامه وفي مقدمتهم الحاج محمد عبده الذي تبرع باربعمئة دينار ذهب الا ان موظفي الجامع ثاروا بحجة أن الجامع تعطل وكان بالامكان الصلاة في القسم الغربي الا أن ضجتهم أرعبت الاثرياء فعدلوا فالواجب اكمال هذا العمل وكشف الاعمدة فيصبح منظر المسجد من اروع المناظر .

و ثمت مناظر في رؤوس الجبال كانت تستخدم للمراقبة سياى الكلام عنها هي الآن مهملة وهي واجبة العناية فهي امجد الآثار . وتليها بيوت وقلاع الحكام البلديين فى جبل نابلس والقدس منها قلعة صانور ودار النمر الكبيرة ودار طوقان ودار عبد الرحيم عبد الهادى وفى جبل القدس دور ال سمحان وال سحويل وال الخواجة فهي رمز استقلال البلاد في العهد العثماني بينما غيرها من العواصم الكبرى كانت تعج بالفساد والظلم والاستبداد من الحكام الغرباء . هذه البيوت والقلاع التي نشرت صورها في هذا الكتاب يجب ان تستملك لدائرة الآثار ولتحافظ عليها وترممها لان ساكنيها يعجزون

عن ذلك ويجب أن يقتدى بلبنان الذي حافظ على أثر امرائه فأصبحت من اهم الاماكن السياحية وكذا بمحافظة سوريا على قصور ال العظم في حماة ودمشق أصبحت من الاماكن السياحية البارزة .

أما العاديات والتحف فقد سرق ونهب منها الشيء الكثير وبيع الى الخارج فمن عهد قريب سرق حجر أثري من كفل حارث وهو من الرخام الاخضر النادر وكتبت عليه آية الكرسي وكذلك مصباح حجر أثري عربي كان فوق قبر اولاد يعقوب فقد سرق وبيع وهناك تحف كانت توجد في المغاور والانقاض كان يكسرها البنءون خشية أن توقف الحكومة عملهم على أنه لا يزال يوجد الشيء الكثير من المدفون في الأرض يجب تشديد المراقبة عليه وإيجاد متحف في نابلس تحفظ فيه . وكذلك توجد أماكن أثرية كثيرة يجب المحافظة عليها

آثار الدور الحجري

يوجد في بلادنا لا سما مدينة نابلس مغاور منحوتة باليد لبعضها ابواب وفيها مقاعد وفي بعضها نواويس كالتى ظهرت في ميدان الحصى مقابلة المطحنة هذه وتلك يجب المحافظة عليها وتهيئتها للمشاهد السياحية . وهناك حفريات في الفارعة لم تظهر تماما .

الفصل الثامن

آثار و مقامات البلقاء¹²⁶

المقامات : منها مقام يوشع في جبال السلط وقد يكون صحيحا لانه انما فتح اريحا ومنها مقام السيد جعفر الطيار في بلدة المزار وهي الى جنوب الكرك باثني عشرة كيلو مترا . ووراء المقام للجنوب قبور يقال انها قبور الذين استشهدوا معه وعلى بعد نحو مئة متر مقام زيد بن حارثة ومثل ذلك مقام عبد الله بن رواحه وجميعهم استشهدوا في معركة مؤتة وهي أول معارك فتوح الشام وآخر غزوات عهد الرسول .

ملاحظة : ومما يؤسف له انه بإشارة كلوب كسرت عن القبور اللواح الرخامية وطرحت في زاوية ساحة جامع المزار وهي بالخط الكوفى وقد ثبتت عوضها كتابة عادية على الاسمنت والحجر العادى .

وثمت مقامات في الغور الشمالى واهمها مقام ابي عبيدة الجراح امين الامة الاسلامية. أما المقامات الأخرى فيقال انها مقام شريحيل بن حسنة فهو خطأ لانه دفن في خربة فحل وهو لم يميت فى الطاعون . قال ابن الاثير ان عمر بن الخطاب عزله بعد قدومه بعد الطاعون ويقال مقام معاذ بن جبل وهذا خطأ ايضا لان دفنه فى عمواس كما ورد فى الكامل لابن الاثير . وكذا القول عن ضرار بن الازور فلم يدفن فى الغور بل قتل فى حرب اليمامة كما قرر بن سعد فى طبقاته وارجح ان الموجود مقام يزيد بن ابي سفيان رضى الله عنهم اجمعين

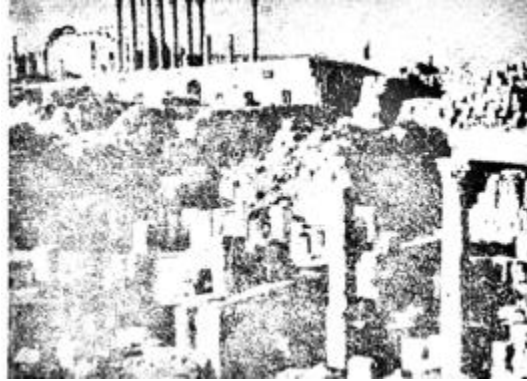
¹²⁶ كتبت هذا حسب التقسيم الأول باعتبار الكرك وعجلون مربوطة بالبقاء

القلع

واهمها قلعة الكرك وقد بناها الصليبيون وهي سبع طبقات وقد تهدم قسم منها وباقياها يتهدم . وقلعة السلط وهو كذلك انقاض . ثم قلعة الشوبك وقلعة عمان وقلعة الربض على قمة جبل عجلون



صورة قلعة الربض



صورة آثار جرش

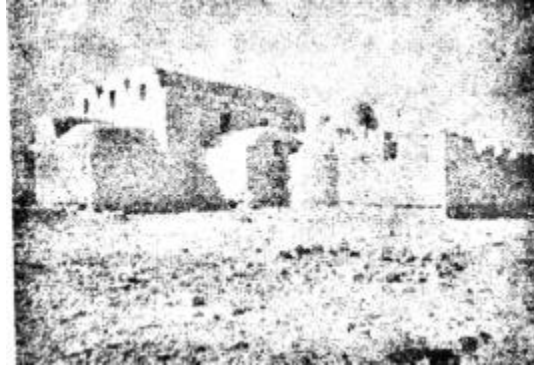
الديكابوليس : اى المدن اليونانية المتحالفة لمقاومة من حولها وهي عشرة منها : في البلقاء : عمان وجرش وام قيس وطبقة فحل والبقية في سورية¹²⁷ وفلسطين وجميعها على مخطط واحد اي مدرج ، وابراج وقلعة قوس نصر ومحكمة وكنيسة الخ .

قصور : وهي قصر الحلابات وحمام السرج وقصر المشتى وحمام السرح وقصير عمره . وهذه القصور من آثار الروم وقد جددتها الامويون

¹²⁷ وهي سبسطية ، وقنوات وبيسان والحصن ودمشق وتدمر



صورة قصر الخزانة



صورة قصير عمرة

آثار بلدة ابيمالك

تقع الى الشمال من قرية بلاطه في مدخل مدينة نابلس من جهة الشرق انقاض سور وبوابة وراءها أنقاض كنعانية ترجع الى نحو (٣٥٠٠ ق.م. قد نقتب عنها بعثة أثرية سنة ١٩١٣ برئاسة البروفسور سلين الالمانى ومعه مهندس اخر من جامعة فينا وقد توقف الحفر فى الحرب العالمية الأولى عادوا ونقبوا بعد تلك الحرب . وفى سنة ١٩٥٨ جاءت بعثة كبيرة أميركية برئاسة أونست رايت ثم جاء غيرها .

لقد كشفت أعمال الحفر سوراً وفيه بوابتان احدهما شرقية والاخرى غربية وهي والسور تعتبر من اهم الآثار الكنعانية في فلسطين . وأظهر بحثهم بلدة صغيرة ضمن الاسوار والبوابات وانها قد هدمت واحرقت مراراً وانها هي التي أحرقتها أبناء يعقوب بعد قتل ابيمالك وقومه لاعتدائه على اختهم . وقد كانت بعثة ١٩٥٨ موفقة لانها وجدت الموس الذي ختن به أولاد يعقوب أهلها . وجدت طبقات بعضها فوق بعض ووجدت آثاراً للحرائق وقد وجدت فيها قبور صغيرة ومذابح صغيرة للبخور ولوحان كنعانيان عليهما كتابة مسمارية ووجدت قطع فخارية أعادوها لوضعها فارسوها الى متحف القدس .

وقد اختلفوا بتسميتها ثم رجحوا انها بلد ابيمالك وانها التي استولى عليها أبناء يعقوب واصبحت فى ملك بني يوسف .

الخرائب

توجد خرائب في جميع انحاء جبل نابلس لا سيما في قضاء جماعين منها الجراعة ، وريسون وحول كفر ثلث وفي منطقة طوباس خرائب كثيرة لا يوجد منها الا الانقاض وهي اما انها تخربت من الحروب أو من الزلازل أو لفناء اهلها بالأوبئة وقد طالما وجدت بين انقاضها تحف ومعادن ومجوهرات بيعت فكانت سبباً لثراء فجائي لبعض الاشخاص . فبعض هذه الخرائب كشفت وبعضها لا يزال مطموراً . وبعضها بارز كخربة النجمة من جهة حوارة وكذا بيت الخربة اذ وجدت فيه احجار فسيفساء فهو بيزنطي وكذا خربة العجمي في كفر بيته وخربة عين عوليم وراء العرمة للغرب

اثار الدوثان

و مما كشف آثار دوثان وهي على عشرة كيلو مترات الى الشمال من جنين بناها الاشوريون نحو سنة ٧٠ ق . م . وقد هدمت و بنيت و نهبت عدة مرات وهي الان ظاهرة الانقاض تعنى بها دائرة الآثار . وهي على عمق ٢٥ قدماً .

اثار متنوعة

اظهرت الحفريات كثيراً من الانقاض في البلقاء منذ الدور الحجري مما يدل على ان هذه البلاد معمورة منذ اقدم الازمان .كهف الرقيم وقد كشف مؤخراً على بعد ١٢ كم من عمان في اراضي بين الرقيب وابن علنده وقد زرته ووجدت الوصف الوارد في القرآن تماماً وقد عني به مؤخراً ومنها انقاض جامع مؤتة الذي اقيم في مكان المعركة وقد عني به مؤخراً على اثر كتاباتي . عنه فقد لفت اليه الانظار .

ومن الآثار فسيفساء مادية واهمها خريطة القدس وتوجد في بيوت هذه البلدة فسيفساء متنوعة .



صورة فسيفساء القدس اهم فسيفساء

ومن الآثار عراق الامير وهو يقع الى الغرب من بلدة وادي السير وهو عبارة عن انقاض مباني ومغاور اهمها قصر العبد وهو غريب لا يشبه الآثار الاخرى ولهذا فقد اختلفوا في تحديد تاريخه .

ومنها منازل الحج حيث كان ينزل الحجاج في طريقهم الى اماكن الحج المقدسة وهي عبارة عن بركة ماء كبيرة وبرج وخان واهم اثارها الباقية زيزيا .

ومنها السبلان التي لم يبق منها الا القليل كسبيل سليمان آغا طوقلي تحت دار النمر القبلية وسبيل الطاهر في أول خط القفوس تحت دار بعاره . وسبيل الالفي وغيرها مما تعطي فكرة عن نقل الماء في الماضي وتيسره . وسبيل عاشور وسبيل النابلسي وسبيل الران الملاصق الجامع الساطون ، وسبيل عبده.



(صورة سبيل سليمان آغا طوقلي)

آثار سبسطية

أسس عمرى القائد الاسرائيلي بلدة باسم السامرة سنة ٨٨٠ ق . م . ثم سقطت بيد الاشوريين سنة ٧٢١ ق . م . ونفي اهلها الى العراق . وقد اسكن فيها عراقيين وقد عني بها الاسكندر وجعلها يونانية . ثم أهملت الى أن عني بها بركادس الروماني سنة ٣٢١ ق.م واعاد بناءها باسم سبسطية¹²⁸ وقد صارت مركز أسقف وبعد الحروب الصليبية حولت كنيسة الى الجامع الحالي الذي جده المتصرف حسين باشا . وقد قامت بالنش على أثارها بعثة أثرية من قبل جامعة هارفارد وقد اشتركت معها جمعية التنقيب في فلسطين والجامعة العبرية ومدرسة الاثار البريطانية في القدس والمجمع البريطاني العلمي وقد شرع بالعمل قبل الحرب العالمية الأولى ثم توقفت الى أن استؤنف سنة ١٩٣١ م .

وكان اهم ما كشفته أعمال البعثة هذه هو :

(١) قصر عمرى وآخاب (في القعدة) وهو مثال قصور آشور ولما وجد فيه من العاج فقد سمي (بيت العاج) .

¹²⁸ وهي من المدن الرومانية العشرة في سوريا .

(٢) هيكل رومي قديم كان مخصصاً للآلهة كورى معبود تلك المقاطعة. وقد وجد لها تمثال جميل يحمل مشعلا وسنابل ونقوشا وقد كتب عليه :

الله رب الجميع عظيمة هي كورى التي لم تغلب .



(صورة الكنيسة)

٣ (كنيسة يوحنا المعمدان حولها قبور المسيحيين في سبسطية وجدت فيها آثار فسيفساء

٤) السور الاسرائيلي القديم بشكل نصف دائرة مع ثلاثة ابراج .

٥ (شارع الاعمدة .

٦) المرسح (الفورم) الرومي

٧) هيكل اغسطس (في القعدة) وهو على أعلى قمة من البلدة وقد بناه ميردوس اكراما لوليه أو غسطس وقد وجد تمثال لاوغسطس امام هذا الهيكل .

٨) أقنية ماء رومية .

٩ (ميدان الخيل وهو محاط بأعمدة ذات تيجان كورنثية .

١٠) وفي أسفل التل قبور رومية .

والسياح الأجانب يتوافدون ويصلون الى هذه الآثار بكل سهولة لوصول السيارات اليها .



صورة برج سبسطية الرومي



صورة المدرج الرومي

الفصل السابع

اماكن الاعلام

تعريفها

كانوا في السابق يعطون الاشارة عن الزحوف لطلب النجدة بالنار ليلا وبال دخان نهارا . وهذا يقتضي ان يكون في اماكن مرتفعة تخصص لاشخاص ساهرين يقظين . واذا كان العريف بلقب شيخ واذا كان الشيخ يقيم مدى العمر فقد نسب اليه .

وفي جبل نابلس الكثير من بقايا هذه الاماكن التي كان ولا يزال يظن بانها مقامات متصوفين خطأ ولدى الكشف عليها : وجدت ان الاماكن الواقعة في القسم الشمالي من جبل نابلس هي تصميم مهندس جعلها غرفتين بجانب بعضهما للشيخ وتابعه والمؤونة . وان الاماكن الجنوبية هي تصميم مهندس اخر جعلها غرفتين فوق بعضهما فالعلوية لنوم الشيخ والسفلى لحاجياته. وكلا البنائين يصعد الى سطحه بدرج كما يحيط كل بناء سور ضمنه غرف للجنود والعلف والخيول .

ومن هذه الاماكن :

(1) العرمة بين قريني بيته وعقربه وهي قلعة لها طريق معبدة تعبيداً رومياً .

(٢) رأس صرطبة في غور نابلس وهي ايضاً قلعة رومانية .

(٣) الشيخ غانم البوريني فوق قمة جرزيم فيرى من نابلس وقرى سهل عسكر والى جانبه قلعة رومية . وهو غرفة فوق أخرى . والشيخ غانم من رجال صلاح الدين عهد اليه بالمحافظة على القلعة فسمي المركز باسمه. واصله من بورين وقد تولى هو وذريته الخانقاة (التكية الصلاحية) في القدس وقد عرفت ذريته بالغوانم ومنهم آل السروري ثم تولوها آل العامي بعد نزوحهم من المغرب .

(٤) الشيخ بلال : وهو على قمة تطل على وادي الباذان وسهل عسكر (مرج البها) ويرى من ياصيد وطلوزة وغيرها .

(٥) ابا يزيد وبعضهم يسميه القبيبات ويقال أن صلاح الدين كان يصيف فيها وهي تقع على قمة فوق برقة لجهة الشرق الجنوبي وهي غرفتان داخل بعضهما في احدهما محراب وبجانب الغربية غرفة صغيرة يدخل لها من نافذة ضيقة والى جانب المقام وفي ساحته خزان ماء .

(٦) الشيخ شعلة وهو يقع على قمة جبل بين اجنسنيا والناقورة والباقي منه غرفة فيها محراب وقوس وقد هبط سقفاً وامامها فى الساحة بعض قبور لجهة الشمال ربما كانت للسكان ويوجد الى الشرق من المقام أنقاض تحصينات لا تزال بعض عقودها باقية والاراضى حوله من املاك الحفاة (الكايد) في سبسطية .

(٧) الشيخ حريش وهو على قمة بين جبع وميتلون ، وهو عبارة عن غرفة فيها قبر والى جانبها غرفة اخرى لجهة الغرب لا تزال مبنية واخرى الى الشمال مهدومة وامام وبين الجميع ساحة صغيرة مسورة وخارجها جميعاً بئر

(٨) أبو الشعر : بين عنزة والزراوية لم يبق من البناء شيء وانما يستدل عليه بشجرة خروب فقط وقد زالت الانقاض جميعها

(٩) عبد الحميد ابو الزرد : بين اسكاكة وباسوف وهو غرفة فوقية والى جانبها ليوان وحول المقام أنقاض وتحصينات وينتسب اليه آل جاموس في نابلس .

(١٠) الشيخ¹²⁹ سلمان على قمة بين بورين وعوريف وهو غرفة فوق أخرى وفي العلوية محراب و امامها بئر وحوله انقاض غرف متعددة وحوله أشجار بلوط تساوى نحو ٣٧ شجرة .

(١١) علم الهدى يقع إلى الشمال من زيتة وجماعين وهو غرفة فوق أخرى وحولهما انقاض غرف وسور وأشجار حرجية بطم وبلوط وتحيط به وعور يمكن أن تُصلح وتصبح أراضي زراعية

(١٢) أبو الجود يقع شرق فرعته ولم يبق منه الا غرفة واحدة .

(١٣) طاروجه اي طار وجاء وهو انقاض قلعة للاعلام وهي فسيحة تزرع فيها الكروم وفيها زاوية فقط .

(١٤) وعلى القمة المقابلة مقام سعيد بن المسيب والى الشرق على قمة أخرى مقام ابن عوف .

(١٥) برج طوباس - يقع قرب مخيم الفارعة وهو يتهدم .

زيارات السياح

وكان يزور نابلس من وقت لآخر سياح اجانب ومسلمين سواء كان قصداً او في طريقهم الى القدس. وكانوا ينصبون الخيام لانه لم تكن فنادق . وكان الاهالي يساعدونهم فمن امثله ذلك انهم حينما نزلوا في ضاحية جينين وقع مطر شديد وزوابع هدمت خيامهم فهرعوا إلى المدينة وقد دلهم بعض الناس على ديوان حافظ افندي المحمد عبد الهادي، وبعد قضاء ايام تحسن الطقس ولما عزموا على الخروج وقفوا امام حافظ افندي للمحاسبة فقال لهم هذه ضيافة لا يمكن ان نأخذ عليها اجرة فطاروا فرحا لهذه المكرمة.

وفي عودتهم الى بيروت زاروا الوالي واخبروه فحصل الحافظ افندي على باشاويته واصبح يلقب¹³⁰ باشا منذ ذلك الحين .



صورة حافظ باشا المحمد عبد الهادي

¹²⁹ يقول أهل القرى المجاورة له سلمان الفارسي وهو خطأ و كذا سلمان الفارسي المدفون في طور القدس وله أوقاف أما المقام هنا فهو اسم للشيخ المتعهد بالحراسة. والمقام الحقيقي هو في العراق باسم سلمان باك ، جاء عنه في طبقات ابن سعد وقد كان نزل الكوفة وتوفي بالمدائن في خلافة عثمان بن عفان ، وبما ان المدائن قد درست فقد اصبح الموقع يسمى باسمه فغلب عليه)

¹³⁰ وكان واعيا قويا من ذوي النفوذ حتى كان جميع موظفي القضاء يطيعونه ولكنه كان حكيما في تصرفاته ومن ذلك ان وكيله بلغه بان فلانا الفلاح اعتدى على ارض له فقال للوكيل لا تعارضه وكان ديوانه ممثلاً فاستغرب ذلك العارفون بقوته ونفوذه فقال لهم اذا قيل ان حافظ باشا قد اعتدى على ارض صدقهم الناس أما ان يقال ان ضعيفاً اعتدى على ارض حافظ باشا فالناس جميعهم لا يصدقون.

الباب الخامس

المشاكل الاقتصادية

الفصل الاول

قتل الصناعات المحلية

الاقبال على الانتاج الاجنبي

اقتبس بعض¹³¹ الكبراء المتصلين بالحكومة اللباس الحكومي بادئين بالطربوش (اللباس الرسمي) فاقتدى بهم اخوتهم وابناؤهم وهكذا شاع بين الناس هذا اللباس ثم الاثاث بادئين بأدوات الانارة .

وما زالوا يتناولون أداة بعد أخرى الى ان عم استعمال أدوات الغرب وآلاته كما نرى . حتى اصبحت البلاد تستورد كل شيء من الخارج وزادوا على ذلك الكماليات التي لم يكن في البلاد من يعنى بها .

تعطيل صناعات البلاد ودمارها

باتت صناعات البلاد تتعطل بنسبة عكسية مع الصناعات الغربية فباستعمال المصباح البترولي تعطلت السرج والعوامات المحلية ، وباستعمال الصفيح تعطلت القرب فتعطلت مدابغها . وباستعمال الجلد الافرنجي أخذت تنتهقر صناعة الجلود البلدية الى ان لم يبق من سبع مدابغ بلدى سوى بقية المدبغة الحاضرة التي توقفت عن العمل وبقيت أنقاضها التي ردمت بمرور شارع فلسطين.

والضربة القاضية هي التي اصابت أنوال النسيج التي بلغت من الكثرة في المدينة والقرى حدا عظيما حتى ضرب المثل بازدهام سوق القطن فكان يقال (وين فطيمه بسوق القطن) . وما أصاب المنسوجات القطنية أصاب المنسوجات الصوفية الى ان قضى على صناعة البشوت في ازمة الصوف¹³² الاخيرة . وبالقضاء على صناعة النسيج قضى على المصايغ التي كانت تبلغ العشرين فتقلصت الى أجران بسيطة لم يبق منها الا مصبغة بسيطة لآل العبوة قرب الجامع الكبير . وكانوا يستعملون الملاعق الخشبية ومنها خشب البقش فلما وصلت المعدنية ابطلتها . وباستعمال قلاند الليرات العثمانية والحلي الافرنجي قضى على الصياغة الى ان انكمشت الى حد بسيط جدا بعد ان كانت نامية . وبإدخال وابور الطحين قضى على مطاحن الماء والهواء والحيوان . وكذلك معاصر الزيتون والسمن اذ أصبحت آلاتها جميعا تستورد

¹³¹ وقد ادرك الشعب لأول وهلة نتائج هذا فصاروا يقاومون ويعيرون من يلبس الزي الافرنجي فيقولون له محفض و أبو الحفايض . حق كان الموظفون والطلاب يقلعون لباسهم بمجرد رجوعهم من السراي أو المدرسة فكانه شيء نحجل وظلوا كذلك الى قبيل الحرب العالمية الأولى فكان للشخص زيا عربيا وآخر افرنجيا.

¹³² كثر الطلب على الصوف بعد الحرب العالمية الثانية حتى بلغ الكيلو دينارا

من الخارج وقد بلغ محصول الزيت بلواء نابلس اثني عشر الف طن تدرس بآلات حديدية وقد تعطلت المدود الحجرية وقد استعملوا الصودا¹³³ للصابون تتعطل انتاج القلى وقد ضعفت صناعات الحدادة والنجارة الى حد كبير . وباستعمال العقاقير الافرنجية تعطلت العقاقير البلدية والوصفات.

الفصل الثاني

اضمحلال التجارة

كثرة الوارد وقلة الصادر

أخذت صادرات جبل نابلس تتناقص واستيرادها يتزايد بنسبة معكوسة مع الاقبال على الانتاج الاجنبي واهمال الانتاج المحلي . ولم يقف الأمر عند حد الصناعة بل تعداه الى المواد الخام فقد تحسنت زراعة القطن في مصر فقضي على القطن النابلسي وطغى القطن المصري عليه فأبطلت زراعته.

ولانقطاع الصابون النابلسي في الحرب العالمية الأولى تعوض عنه زبائنه فانهضت تجارتها حتى اقتصر على مصر ونظرا الجمود التاجر النابلسي على اسلوبه البدائي والاقتصار على القالب المكعب فتحول المصريون الى الصابون الافرنجي ثم أنشأوا مصانع حديثة للصابون فاضمحلت تجارتها¹³⁴

خسارة الاسواق القريبة

حدث ما لم يكن بحسبان أحد فان مدّ الخط الحجازي بين دمشق وعمان وصل البلقاء بدمشق فصارت البلقاء تستورد بضائعها من دمشق بعد ان كانت تستوردها من نابلس¹³⁵ فخسرت نابلس اكبر واهم أسواقها ولم تقتصر الخسارة على التجار بل تعدتها إلى أصحاب القوافل وقد انضم الى هذا فقد الامن بين نابلس والمقاطعات المجاورة لا سيما جبل عجلون وهو آخر الاسواق لانتشار قطاع الطرق . ولانتهاء نفوذ امراء البلاد وانتهت الاحلاف التي كانت تؤمن الطرق كما اوضحت في الصحيفة (٢٨٤) من الجزء الثاني من هذا الكتاب .

¹³³ اصحاب المعامل والمصابين في الادوار الاخيرة هم : النابلسي ، عاشور ، شاهين ، منكو ، زيد ، عبد الهادي ، طوقان ، العالول ، المصري ، الصيفي ، الشكعة ، كنعان ، عرفات ، قمحية ، أبو الروس ، النيس ، الطاهر ، السخيتان.

¹³⁴ جاء الاستاذ نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل لنابلس مرارا وكنت أزور معه تجار الصابون فينصحهم بوجوب فتح أسواق في الشرق للصابون النابلسي مع الحصول على فتوى بطهارته من المجلس الاسلامي وان يوحدا الدعابة فلم يلتفتوا اليه

¹³⁵ كانت نابلس تستورد البضائع الافرنجية من بيروت بالجملة ومنها توزع الى المقاطعات المجاورة وكذلك البضائع الوطنية تستوردها من حماة وحمص وحلب ودمشق وتصدرها الى المقاطعات المجاورة لا سيما البلقاء . ثم انعكست الايه فصارت تستورد البضائع مهربة من عمان لانها كانت تستورد عن طريق بيروت برسم (الترانزيت) .

قصور أثرياء نابلس

لم يعمل أثرياء وتجار نابلس شيئاً لتداول الموقف تداركاً عالياً فلم يقدموا على القيام بأي مشروع صناعي يعوض البلاد ما فقدت بل بالعكس كانوا يرفضون كل اقتراح مفيد¹³⁶ يعرض عليهم ويعاكسون كل مشروع¹³⁷ يقوم به أحدهم وقد انهمكوا بالاسراف والتبذير وقد رفعوا على البلاد الدمار وعلى انفسهم الافلاس . المستوى المعاشي الى حد كبير وقد جاراهم الملاكون والموظفون فجروا على البلاد وعلى انفسهم الافلاس.

نكبات الاثرياء

اتصل بدوي أفندي عاشور واخوانه بتجار فرنسا يصدرون لهم السمسم فحصرهوا تجارته في ممالك البحر الابيض المتوسط الشرقية .

واحست وزارة المالية الافرنسية بذلك فكلفت وزارة الزراعة للعناية بهذا الصنف . ولم يكن لعاشور وكلاء مخلصين ففوجئوا بايقاف طلب السمسم وطال الامر على مخزونهم منه فقتل عليهم وكانوا قد دفعوا اثمانه فبلغت مائة وستة آلاف¹³⁸ ليرة الفرنسية ذهب دفعوا منها (٩٦) الفا من خزائنهم وباعوا بيرة بعشرة آلاف ليرة فلم يحتاجوا احدا وبقيت املاكهم في يافا ونابلس¹³⁹ على حالها .

والنكبة الثانية فهي نكبة القطن حينما رفض فقد أودت بثروات كثيرة وكانت سببا في ضياع وادي الحوارث¹⁴⁰ لان التيان كان اسلف سكانه على حساب زراعة القطن .

والنكبة الثالثة أصابت أثرياء الدرجات¹⁴¹ الاخرى وهي مزايدات الاعشار ومداينات الفلاحين . والنكبة الرابعة وهي نكبة الصابون فقد أودت بثروات تجاره وانتقلت تجارته وصناعته الى جهات اخرى .

¹³⁶ تخرج السيد فايق العبوشي من جامعة جنيف متخصصا بالكيمياء فجاء وعرض على اثرياء تيلس ايجاد مديعة على الاصول الحديثة في وادي البادان فرفضوا وعرض عليهم استخراج الجلسرين من زيت الزيتون فرفضوا وعرض عليهم امورا كثيرة كالاستفادة من النفايات فرفضوا فغادر البلاد وفتح معملا للتحليل الكيماوي في بيروت

¹³⁷ وقام الحاج عبد الرحيم النابلسي بايجاد شركة نسيج فخذلوه اصداقاه الاقربين . وأرادت الحكومة سنة ١٩٣٥ فتح مدرسة صناعية فدعى احمد افندي الشكعة وجهاء نابلس الاجتماع في بيته للمطالبة بفتحها في نابلس لانها صناعية فقارمه جماعة (١) المقفي لشخصه والحزبي ففتحت في الناصرة . وفتحت شركة دخان للحاج صدقي عبد المجيد ففتحت اخرى ضدها فضربتهم شركة قرمان وسلطي ، وتوجد الآن شركة كبريت تسير زحفا لقلعة المعاضدة والجمود

¹³⁸ قدر الخبراء ثروة أثرياء نابلس الثلاثة الكبار وهم أبناء الشيخ محمد عاشور وأبناء الحاج حسن النابلسي وأبناء الحاج ابراهيم عبده (الغزاوي) بنصف مليون ليرة الفرنسية ذهبوا وقدروا املاكهم بمثل ذلك فكان عند هؤلاء الاثرياء الثلاثة ثروة نقدية ومحمدة بمليون ليرة الفرنسية ذهبوا وقدروا ثروة باقي اثرياء وتجار نابلس بمثل ذلك. ولو انهم قاموا بمشاريع اقتصادية جذرية بهذه الثروة لانفذوا البلاد من الدمار الذي اصابها ولا عبرة لما يوجد الان من ثروة لانها بنظر الاقتصاد العام غير منتجة للبلاد

(١) مصطفى بك البشناق والسيد فايق العنبتاوي .

¹³⁹ كانت الليرة الافرنسية أساس التعامل في بلادنا لكثرة التعامل مع فرنسا ودامت كذلك حتى الحرب العالمية الأولى

¹⁴⁰ سجلت الحكومة وادي الحوارث باسم شيخ عرب الحوارث تسهيلا للحصول على الضرائب وقد استلف الشيخ مبالغ من التيان في الاسكندرية عجز عن تسديدها فحجز على الاراضي وأضيف الى المبلغ ارباحه القانونية ثم فتح له مزاد فلم يتقدم الاغنياء والاثرياء فاشتره اليهود .

¹⁴¹ كان يلي الاثرياء الثلاثة المذكورين وهم عاشور والنابلسي والغزاوي أثرياء الدرجة الثانية الذين يملكون من ١٤ - ٢٠ الف ليرة فرنسوية ذهبوا وهم : الحاج سعيد عبد المجيد واخوانه والسيد محمد حسن الشكعة والحاج محمد النابلسي والحاج محمود النابلسي وشركة الحاج سعيد كنمان واخوانه وآل أبي حجلة في ديرستية وباتي بعد هؤلاء أثرياء الدرجة الثالثة وهم الذين تقدر ثرواتهم من ٥ - ١٥ الف ليرة فرنسوية ذهبوا وهم السادة : محمود هاشم ، والحاج حسن شاهين واخوانه وعلاء الدين زيد وعبد الله قمحية ومحمد الداري وعبد السلام القمحاي واحمد القمحاي واحمد الخياط والحاج يوسف التميمي واسعد الطاهر ، والحاج عبد الغني العنبتاوي وابناء عبد الكريم منكو واحمد وحسين العمد ويلى هؤلاء نحو سبع درجات من خمسة آلاف فما دونها وهذا جميعه حتى الحرب العالمية الأولى واما الاثرياء الحاليين السادة العالول والمصري و ابو الروس وفريخت فقد تضخموا بعد الحرب الأولى وما بعدها .

والخامسة نكبة بيارات¹⁴² البرتقال وهي التي انتجتها الحرب العالمية الثانية . وثم نكبة على حساب الحكومة والتنافس على الزعامة¹⁴³ فقد اضاعت ثروات آل بكرى¹⁴⁴ وآل عبده وآل شاهين وغيرهم وفي الطريق غيرهم من اثرياء العهد الحاضر ومثل ذلك التبذير واطهار (الجخة) والابهة ورفع المستوى واغلاء المهور واقامة المهرجانات .

افلاسات

وفي هذا العهد ظهرت بادرة لم تكن معروفة وهي اعلان افلاس بعض التجار وتهريب أملاكهم لنسائهم أو أبنائهم إلى غير ذلك من الحيل فكانت سببا بسقوط كثيرين الا ان الاشراف منهم أثروا بيع دور سكنهم لتسديد الديون المطلوبة منهم . وثمت نكبة خاصة لآل شاهين في تعهدهم للجيش العراقي ونظرا لعدم التدقيق ومحدودية الرجال خسر السيد فوزي شاهين وأولاده ثروتهم .

الهجرة¹⁴⁵ من نابلس

النابلسيون معروفون بكثرة النسل فنسبة المواليد الى الوفيات كنسبة ٤ الى ١ . وهذا يستدعي ايجاد اعمال ومعامل وجودهم يستدعي استهلاك سلع بنسبهم . الا أن أثرياء نابلس وتجارها لم يدركوا هذا بل كانوا يزدون أرباح القروض والسلفات الى حد مخجل وبهذا تضايقت الطبقة العاملة وصاروا يخرجون افواجا الى حيفا ويافا وعمان والقدس ثم الى الاقطار حتى بلغوا الجاوة واليابان واميركا ولم تبق بقعة في العالم الا هاجروا اليها بصناعاتهم من الخياطة والنجارة والحداة وفي هذا العهد توالى الهجرة الى الكويت والسعودية والعراق وسوريا وهي التي ابقت عليهم وعلى عيالهم رغم ان اليد العاملة اصبحت تقل .

ولم يقتصر الأمر على ابناء المدينة بل جرف التيار ابناء القرى وقد أوقف الانكليز التجنيد فتجنّدوا بالاجرة في الجيش العربي وكثيرون خرجوا للعمل اليدوى وهكذا على أن أوضاعهم في الخارج تغيرت وتأثرت احوال عاصمتهم فلم يكونوا متساندين كما كانوا في اول هذا العهد

¹⁴² في سنة ١٣٠٧ أريد تسجيل (تطويب) اراضي مرج بن عامر وهي (١٢) قرية مساحتها (٤٠٠) الف دونم فأمر الوالي بعرضها على الثرياء نابلس بـ (١٣) الف ايرة عثمانية فدعا متصرف نابلس (٢٤) تاجرا وثريا من اثرياء نابلس وكلفهم لدفع (٥٠٠) ليرة عثمانية من كل واحد لتسجيلها بأسمائهم فرفضوا فاشتروا أثرياء سوريا ولبنان وهم سرسق والريس وغيرهم فباعها هؤلاء لليهود فحمل الناس على أثرياء نابلس فهربوا ينفذون الاراضي في سهول بني صعب وبيسان فأنفقوا كميات من الاراضي صيروها بيارات الى أن ضاعت في المناطق المحتلة .

¹⁴³ ظهر الاقطاع المالي في هذا العهد وكان اربابه كما قال عنهم بعض العقلاء كبيت القرع وفرع ويفور في الصيف ثم لا يلبث ان يبيس في الخريف وهكذا كان فقد توالى افواج الاثرياء عن طريق الاعشار والمدابنات والمصادقات كسباق الخيل واموال البنوك ثم لا يلبسون أن يفقدوا ثرواتهم برفع المستوى المعاشي والمجازفات بالديون اذ كان التاجر يصرف حسب ارقام دفاتره ثم يفلس المديون فيكون قد صرف رأسماله وهكذا يوجد غيرهم . ومن العبث مقارنة الاقطاع المالي باقطاع النسب لان هذا كان مستقرا دام طويلا .

¹⁴⁴ طلب أحد أمراء الجيش العثماني قرضا وقدم سيفه رهينة على عادة البلاد فأبى التجار والاثرياء اقراضه فتحمس الحاج عبد الرحمن بكرى وقدم له المبلغ وهو (١٥) الف ريال ثم لم يدفع له فافلس .

¹⁴⁵ على ان نكبة فلسطين ارجعتهم لبلدهم فبلغ عدد السكان ٢٥ الفا بعد أن نزل الى سبعة عشر الفا وقد انضم اليهم مثل عددهم لاجئين فازدحمت بالابنية والسكان واصبح جبل نابلس جميعه نحو ثلث مليون نفس

نابلس تفقد نضارتها السابقة وتعوض غيرها

ان جبلي نابلس يمتازان بما عليها من اشجار الصبر واللوز والزيتون والدوالي وقد مرت القرون وهما يتمتعان بهذه النضارة الى أن كانت الظروف الاخيرة فقد بدأت تخسرها بسبب اهمال رد الاغنام عنها فاكلت الصبر وتخربت الدوالي والاشجار .

وكذا النهر الاخضر اي وادي نابلس فقد تسلط الافندية على البساتين فشكوا الى الصحية فمنعت المياه عنها فذهبت نضارتها السابقة . الا ان انتشار المباني على السفوح عوضها نضارة ليلية بأنوار الشوارع والبيوت فكان الشيخ عبد الغني النابلسي كان ينظر بعين الغيب حين قال :

جبلاها جملاها فغدت شمسا
تعلو سيرا وتاما

الفصل الثالث

موقف الحكومات من التدهور الاقتصادي

موقف العثمانيين

ظلت ثروة البلاد واحوالها وكثير من صناعاتها وانتاجها بحالة حسنة حتى الحرب العالمية الأولى فلا لوم على العثمانيين ولم يكن بمقدورهم عمل شيء ولم يعاكسوا بشيء .

وقد أسسوا مصرفا زراعيا فتحوا له فرعا في نابلس لاسلاف الفلاح بفوائد ضئيلة ولم يشددوا في التحصيل حتى أنهم قدموا سلفات من الغلال في الحرب العالمية وهم في أشد الحاجة لتموين جيوشهم ثم لم يطالبوا بها في وقت الاستحقاق وقد رفعوا الالتزام وبدلوه بالتخمين (التقدير) وكانوا يعاملون الزراع بالرحمة ويقبلون اعتراضاتهم . وكان جل ما يجبونه من نابلس وقضاها ثلاثين الف ليرة عثمانية تدفع بالورق النقدي في حين أن ما صار يجبيه الانكليز من ضريبة الدخل من مدينة نابلس فقط في آخر عهدهم هو ثلاثون الف جنيه .

موقف الانكليز

منذ دخل الانكليز البلاد عملوا على اضعاف الفلاح لاجباره على بيع اراضيهم ليطبقوا المادة الثانية من صك الانتداب وهي (وضع البلاد في حالات سياسية واقتصادية تساعد على بناء الوطن القومي)

فكانت باكورة اعمالهم تحصيل ديون البنك الزراعي العثماني بدقة كانهم هم الذين اسلفوه . وقد طبقوا التخمين (التقدير) وحققوا في الضرائب مع ابقاء ضرائب الحرب السابقة كما هي حتى أصبح ما يجبي من الضرائب

والاعشار¹⁴⁶ والاغنام ونحوها من قرية واحدة يعادل ما كان يجبي من القضاء جميعه. وفوق هذا فانهم اوعزوا للوزارات المصرية الاستعمارية لفرض ضريبة على الصابون النابلسي لضربه ، وقد فرضوا ضريبة مدن وهي 9% من الاجارة التي تعتبر ٦٪ من الثمن واعتبروا محيط المدينة كله بنائي يقدر بهذا المقدار بقيمته البنائية ولو لم تنتج الارض شيئاً. وقد كان الويركو عبارة عن ٤ في الألف من الثمن الاصلي . فأصبح الملاكون يدفعون ضريبة كبيرة فتأخرت أحوالهم أيضا .

وقد فرضوا ضريبة دخل على الثروات فصاروا يجمعون ٣٠ الف دينار من نابلس فقط وجعلوا دائرتها دائرة استخبارات على التجار فأوجدوا موسما جديدا من الفساد .

وكانت الضرائب الجمركية في العهد العثماني عبارة عن ١١ فرعها الانكليز الى ٢٦ .

وكانوا يتعمدون ضرب مواسم البلاد فيصرحون بالاستيراد حين نضوج الموسم ثم يقلونه حين الحاجة الى الاستيراد وبهذا يحرم المنتج من موسمه . وقد فرضت ضريبة جمركية عالية على البضائع التي يوجد مثلها عند اليهود فصاروا يتصرفون بالاثمان كما يشاءون .

وقد ضربت معامل شيمين صابون وزيت البلاد باستيراد الزيت النباتي الرخيص .

أضف الى هذا الجزاءات التي كانوا يضعونها على الفلاحين باسم الفرق بالحيوان وعلى حساب اقتناء السلاح وهكذا فقد كانوا يخلقون كل يوم قانونا ونظاما للخسائر والتغريم .

موقف الحكومة الاردنية

كانت الاردن تستورد البضائع بالترانزيت فتستورد فلسطين بضائع عن طريقهم فتأخذ عليهم جمارك ولما ضمت الضفة للاردن حرمت هنا المورد الكبير فحصلت عقبة أزمة خائفة حتى الطبقات الفقيرة باعت صوفها ونحاسها . ولم يكن احد يعمل على التنبيه فكتبت ثلاث مقالات في صيف سنة ١٩٥٠م في جريدة الدفاع أنه الى الازمة والى وجوب التدارك وما على الاثرياء من واجبات ثم تولت الجريدة نفسها الكتابة في الموضوع ثم كشفت النقاب النشرة التجارية البريطانية فأبانت ان البلاد استوردت من الخارج باحد عشر مليون دينار وصدرت صوفا ونحاساً بمليون ونصف . فاستيقظت البلاد وحكومتها مذعورة واخذت الحكومات الوزارات « على عاتقها اصلاح الحالة فعنيت بتصدير الفوسفات والبوتاس وبتحصيد احتياطي من الغلال وباسلاف الزراعة لا سيما في الجنوب . ثم قامت بمشاريع تساهم بها ب ٣٠٪ فقامت بمشروع شركة بوتاس ساهمت فيها بعض الدول العربية وقامت بمشروع اسمنت في الضفة الشرقية وبمشروع الزيوت في نابلس وهكذا اصبحت تعمل جهدها لايجاد اعمال ومصانع و معامل حتى اصبح للبلاد صادرات بنحو خمسة ملايين .

¹⁴⁶ وقد ضيقوا على الفلاح حتى لم يبق فلاح لم يبيع ارضه . وقد باعوا دوابهم ومهور بناتهم كي يسددوا ديونهم وقد هاجر شبانهم وفقدت الايدي العاملة فأهملت أراضي كثيرة بلا زراعة .

و تم مشروع لتصفية بترول العراق في البلاد للتخلص من استيراده عن طريق بيروت و عنيت الحكومة¹⁴⁷ بالمشاتل الزراعية وانتشرت زراعة الاشجار من الموز والخوخ والتفاح في كثير من القرى .
وعنيت بالسياحة فأصبح لها مورد كبير الا ان نصيب نابلس من السياحة ما يزال محدوداً .

الفصل الرابع

تدارك بعض الانتاج

اقتباس بعض الصناعات الحديثة

نهض بعض معلمي الصناعات وتعلموا الصناعات الحديثة فمنها صناعة البذلات الافرنجية¹⁴⁸ واول من تعلمها السيدان ابراهيم¹⁴⁹ الخياط و عارف¹⁵⁰ الحجاوي ومنها تعلم جميع صناع هذه الصناعة وانتشروا في بلاد أخرى ولا يزالون .
وكذا صناعة الاحذية الافرنجية فقد تعلمها حنا¹⁵¹ رزق وسليم طنوس ومنها تعلم السادة : اسعد خريم ، مصلح شموط ، واسعد ملحيس ومنهم تعلم جميع الصناع وانتشروا في بلدان أخرى كذلك. اما النجارة الافرنجية فقد نزل في نابلس النجار نجيب يارد اللبناي فتعلم منه السادة : اسمر الحجاوي ، والحاج محمد الجوهري ، والحاج رفعت القاضي ، ومنهم تعلم السيد واصف هاشم الا انه تفوق في الحفر والاثاث على يد السيد حلمي الدباغ ونقلوا عن الكاتالوجات . اما الحدادة الافرنجية فقد أوجدها اولاد سابا ومنهم تعلم الصناع النابلسيين .

معامل وصناعات واعمال اخرى

وظهرت رغبة عند الطبقة العاملة والمتوسطة الحال فأصبحوا يقتبسون بعض الصناعات والممارسات الحديثة فتعلموا سوق السيارات حتى عمت وتعلموا تصليحها فوجدت الان اماكن لتصليح سيارات بمهارة .
ووجدت مصبات خليفة التي استطاعت صب موتورات العصر الزيت وضخ الماء فكانت مفخرة الاردن في معرض دمشق الدولي .
واشترى الحاج حيدر هاشم مطبعة فادخل الطباعة لنابلس وبعده اشترى ابناء الحجاوي وعبد و أبو صالح فاصبح في نابلس نحو خمس مطابع معها مقصات ومخارط الورق .
ويوجد الان ثلاثة مصانع للزجاج لابناء البشتاوى واولاد سمارو ولاولاد دشون الا انها اقتصرت على القطرميزات (اى مرتبانات) .

¹⁴⁷ وكان الانكليز قد طبقوا قانونا لتغريم القرية ما يقشر أو يقطع من الشجر ولا يعرف فاعله فانتهى قطع الشجر فرغب الناس في زراعته بعد أن توقفوا اجيالاً .

¹⁴⁸ هذه الكلمة اصبحت اصطلاحاً لجميع الصناعات الحديثة .

¹⁴⁹ تعلمها في بيروت عند نقولا ابو حديد سنة ١٨٩٥ .

¹⁵⁰ تعلمها في بيروت عند المعلم حنا أربيز سنة ١٨٩٨ .

¹⁵¹ وقد زاحمتهم الشركات الاجنبية كشركة باتا وغيرها فدخلت معهم بتأسيس جمعية ثم قامت باقي البلدان في فلسطين وشرق الاردن ثم عقدنا مؤتمراً في سنة ١٩٣٠ وطلبنا من الحكومة زيادة الرسوم الجمركية على الوارد فوضعت فاعتدل الحال الا أن بعضهم اتوا بمصانع الى البلاد فاضعفهم وما زالوا يعانون

ووجدت مصانع لصنع البلاط أوجد أولها ابناء القاصد ثم ابناء أصلان وشعبلو والعقاد والكوني وسامحنا وقادري
ويصنعون أيضا الطوب والمزاكو . ووجدت الان افران خبز ناجحة وأنشيء مصنع لأكياس ورق للشنار والجوهري
وآخر لشموط .

ووجدت مناجر لنشر الخشب في نابلس وطولكرم ووجد معملان للتليج للحاج سعيد كمال والصدر وللحاج محمد العنبتاوي
وانشأت شركة المصري معملا للكبريت ويوجد الان مصانع بدائية لاسرة النوم . وتقدم التنجيد تقدماً واسعاً .

ومن الناحية التجارية فقد نبغ عدد من ابناء نابلس قاموا بالاعمال المصرفية منهم السادة خليل طوقان ومصباح كنعان
و مدحت كمال و خليل كنعان و رفعت النمر وغيرهم ممن تولوا ادارة فروع العثماني والعربي والامة والقاهرة وغيرها
وقد أسست الحكومة مدرسة صناعية في سهل مرج البهاء ، عسكر سنة ١٩٦١ تعلم سبع حرف وهي : نجارة ، خراطة
، حدادة ، ادوات صحية ، بناء ، كهرباء ، ميكانيك سيارات ، ويكون الدخول فيها بعد اتمام دراسة الثالث اعدادي .

النقص الجوهري

ان جميع ما ذكر بسيط ما دامت مواد الخام تجلب من الخارج فنحن بحاجة لمصانع نسيج تغزل قماشاً للبدلات ومدابع
حديثة للجلود ومصبات للحديد وأحراش للخشب ومصنع للصودا ونحتاج لجميع المواد الخام التي تقوم عليها الصناعات
حتى نسترد مركزنا الاقتصادي قبل مائة وخمسين سنة حين كانت نابلس تكفي نفسها بنفسها من الصناعات وسائر
الحاجات.

الباب السادس

تطور المجتمع النابلسي

الفصل الاول

الاحوال المعاشية

المأكل والمشرب

لما اتى الموظفون الغرباء لا سيما المتصرفون كانوا ياتون بطباخين فقلدهم امراء البلاد فتتوحت الماكل ودخلت السفرة المدنية (القالدير¹⁵²) وبعض الماكل التركية كشورية البهريز والضولمة والامام وغيرها ثم بعض ماكل افرنجية كالمعكرونة وتنوعت¹⁵³ الخضار . وبدأ السمن النباتي بالاستعمال. وأصبحت الكنافة تباع على الصدور في الاسواق وعنوا بالبقلاوة والنواشف وقد كثر اشتغالها بالسكر . وعنوا بالشرابات وأدواتها وفوطها المقصبة .

وأصبحت القهوة التركية الحلوة - المعقودة تراحم القهوة¹⁵⁴ السادة لا سيما للموظفين الاتراك . ثم ظهر الشاي¹⁵⁵ وصار يزاحم القهوة (٣) الحلوة وها هو اخذ يعم عند القرويين بعد ان كان غير معروف قبل نصف قرن.

الملبس والمسكن

عم الطربوش المدن تدريجيا وكذلك الزى الافرنجي والاحذية وأصبح اللباس منوعا من افرنجي وعربي . ثم تركوا غطاء الرؤوس على عادة الغربيين. وكذلك الأثاث فانه تفرنج (تغرب) وكذلك المساكن فقد ادخلت عليها تعديلات غربية في الخريطة المغلقة والكرميد وتغير الطراز في النوم والاثاث واصبحت الاسرة تكتفي ببيت (غرفة) وبهذا توسعت أمور السكن وقد بدأت ازمة سكن¹⁵⁶ ثم استحكمت ولا تزال لما تحل .

¹⁵² وأصبحت السفر تنصب على خوانات (طاوالات) مع الشوكات والامواس والملاعق النحاسية بدلا من الخشبية وكثر استيراد الصحون القاشاني والبورسلين ¹⁵³ فقد زادت البندوره منذ دخول الجيش الافرنسي فقد ظهر نباتها من البذر يطرحه الجيش الافرنسي - وعرف البطيخ الاصفر الشمام ولم يكن معروفا ومن المضحك في هذا ان والدي احضر معه الى قرية المجدل شما متين فشوا احدهما في الطابون فسالته وأطفاته فلما بلغه رحمه الله طلب الثانية وحزها عليهم فضحكوا على أنفسهم

¹⁵⁴ وكان الوجهاء والحكام يبحثون عن نفخ القهوتين في سهرة عند أحد المتصرفين فأمر طبأخه أن يحضر (زبديتين) أي وعائين مملوئين سلطة وان يطبخ القهوتين فيسكب الحلوة في وعاء والمر (السادة) (في الوعاء الثاني . وبعد أربع وعشرين ساعة كشفوا عن الوعائين فوجدوا وعاء الحلوة كما هو ووعاء السادة قد نضج فثبت أن السادة مهضمة

¹⁵⁵ كان ظهوره في القرن الحالي استعمله الموظفون والضباط وقد اقتبسه عن هؤلاء عمي حسين آغا النمر وكانوا يدعونه الى التكنة (القشلة) فيفحص خيول ألاي السواري (الفرسان) . فأحضر ادوات الشاي وصار يسهرني فيغلي المساء ثم يضع الشاي ويلفه بالثياب ثم يصبه .

¹⁵⁶ ازدهم جبل نابلس بعد الكارثة أي سنة ١٩٤٨ بالسكان فرجع المهاجرون النابلسيون من حيفا ويافا والقدس وغيرها لنابلس فبلغ عدد السكان الاصليين (٢٢٨) الفا وعدد اللاجئين (١٣٢) الفا وبلغ الجميع (٣٦٠) الفا أي أكثر من ثلث مليون وقد استولى اليهود على نحو نصف مساحته التي كانت سبعة آلاف كيلو مترا مربعا اذ كان طوله من الشمال الى الجنوب ٨٦ كيلو مترا وعرضه من البحر الى الاردن (٧٢) كيلو مترا .

نظام العمل اليومي

كان نظام العمل الحكومي في العهد العثماني متفقا مع الجاري في البلد اذ ينزل الموظفون الى بيوتهم وقت الظهر للغذاء والصلاة وكان في السراية مسجد واذان لصلاة العصر . اذ يرجع الموظفون بعد الغذاء ويقضون ساعتين ويتناولون العشاء قبل الغروب بساعة .

ولما دخل الانكليز وحكموا غيروا هذا النظام ولم يتجاسر أحد على الاعتراض فقد جعلوا العمل متواصلا والنزول في الساعة الواحدة والنصف وقد اقتدى الناس بالحكومة فتغير نظام الوقعات اذ جعلوا الوجبة الزخمة في وسط النهار ووجبة العشاء خفيفة ومدار اهمال اذ يكونون خارج بيوتهم فتغير نظام العشاء الذي كانت وجبته هي الزخمة والرئيسية . وكان النابلسيون حتى عهد نشأتي الذي شاهده بنفسي كانوا في الربيع يخرجون الى سفوح الجبلين بين الصبر واللوز ومعهم الاطعمة الشهية (القدور والحليب والكنافة) ويقضون نهار الجمعة جميعه في لعب ومسرة الاثرياء واهل الصناعة على السواء . وفي الصيف ينصبون الخيام والعرائش على السفوح كذلك. اما في الشتاء فنزهتهم الحمام والسهرات الليلية حيث يديرونها نوبات يلعبون (الصينية) وفي آخر السهرة يلقبون صدور الكنافة .

وقد لا يصدق الجيل الحاضر اذا قررت أن آباءهم الذين يصمونهم بالجهل والبساطة كانوا يعرفون حقيقة الحياة بروحها فيتمتعون بمسراتها متعة حقيقية.

وكانوا يخلطون بالجلوس في المقاهي وكانوا يجلسون في دواوين هي نوادي شعبية وكذا المضافات . وهي في الحقيقة مفيدة اذ لم تكن فيها العاب تسلية وكانت مجالات للتهذيب والتشبيب بروح الرجولة .

الفصل الثاني

زراعة العادات والتقاليد

التبليد الثقافي

أصبحت الثقافة البلدية مدار هزء وأقبل أبناء البلاد على الثقافات الاجنبية فأصبح كل شخص يظهر بنوع من الثقافة غير الآخر واصبح التفاهم صعبا، اذ قد يوجد أخوة متعددي الثقافات في بيت واحد لا يتفاهمون ووجدت في البلاد أزمة ثقافية شديدة ولا تزال وقد وجدت نزعات أخرى شيوعية والحادية وقومية متطرفة دون أن توجد ثقافة قومية جذرية.

زرت مدرسة النجاح فوجدت الاستاذ أمير عبد العال قد أحاط به عدد من الطلاب يجادلونه في مبادئ وآراء متنوعة فقال لي انظر الى طلابنا كل واحد يتمسك بمبدأ ورأي خارجي فقلت له ولم لا فهذا شيء طبيعي لانهم لا يجدون أمامهم مبدأ عربيا مقررأ . وهذه جامعتنا العربية لا تفكر ولا تعمل لجوهر قوميتنا وانما تشغل بالبحران السياسي فقط .

المغالاة بالتشكيلات

جاء العثمانيون لحكم البلاد بشكلياتهم البيزنطية التي أصبحت بنظرهم كل شيء فكانوا ينعصون عيشهم في كل لحظة ، وقد اقتدى بهم أهل البلاد. وقد وزعوا رتباً وأصبح حرس السراي يحيى أصحابها فحصل التنافس على الرتب واشتروها بالمال . وأصبح للدخول والخروج والتوقيع اهتمام شديد حتى وجدت أن المجلس البلدي كتب لمأمور النفوس يطلب جدولاً بأعمار الاعضاء لتنظيم وترتيب توقيعهم تحت قراراته من اليسار الى اليمين الاكبر فالاصغر سناً وقدرأ ولخروجهم ودخولهم.

وكانت لبعضهم اساليب ممقوته في الدعوات والمادب فكانوا يحبون التأخر كي يقوم لهم الحضور جميعاً ولا يقومون هم لاحد فكان صاحب المادبة يرسل رسوله ثلاث مرات للشخص يعين الساعة الحادية عشرة غروبي لتناول العشاء وهي الوقعة الثقيلة، ومنذ العاشرة يرسل المراسيل للمدعوين ومن لم تصله المراسيل يمتنع عن الحضور ويحتج على الداعي. وكانوا يختلفون ويتعبون فيمن يتقدم أو يتأخر في الدخول وفي استقبالهم¹⁵⁷ حينما يقدمون على أحد الدواوين ويتحدثون في المجالس ملياً عن هذه المشاكل وكان ذووهم ينتقمون لهم بنفس الاوضاع¹⁵⁸ .

الجفاء للدين

كان بين معلمي المدارس الرشيدية والاعدادي بعض خريجي الجامعات والمدارس التبشيرية¹⁵⁹ والاجنية وكانوا على جانب من الالحاد والجفاء الديني فاقتدى بهم طلابهم ثم تخرج هؤلاء وأصبحوا معلمين للمدارس عامة فعم الجفاء للمدارس جميعها وأصبح المتمسك بدينه والداوم على الصلاة ينعت بالتعصب ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه الى الهزؤ بالدين ثم الى نوع من الهستريا والتفنن بشتى الدين حتى بلغوا الى التطاول على الخالق جل وعلا مما يدل على سقوط في العقيدة والآداب والسلوك فتجد الشخص لا يتجاسر على سب ابي الشخص كما يتطاول على سب دينه وخالفه ، واني اسجل هذا كمؤرخ مع الاسف الشديد .

تفشي السكر ثم التظاهر به

حمل الغرباء عادة السكر الى البلاد وصاروا يغرون زملاء هم به فمنهم من قاوم الى حد القتل كالسيد محمد نجيب تفاحه ومنهم من ساير وجامل وكان الامر بتستر ثم أصبح جهاراً في عهد الانتداب . وكان من القوانين العثمانية الترخيص بفتح أماكن لبيع المسكرات فكان لا يقوم بهذا الا غير المسلمين ثم أصبح بيوت من اجروها وكانوا مسيحيين فوجدتهم

¹⁵⁷ ومن طريف ما حصل في هذا العهد أنهم كانوا يلبسون الكلوش (الحذاء مع الخف) على ان يكون له في المشي صوت (زيق زيق) كي يسمع ويخرجون من الديوان لاستقبالهم لانه لا يليه الا الذرات (الوجهاء الكبار) أو يدفعون لذلك زيادة.

¹⁵⁸ فكانوا يوعزون لاحد اخوانهم أو أبناء أقاربهم أن يزاحم من زاحمهم في الدخول والخروج فيحدث شغب .

¹⁵⁹ أسس المبشرون البروتستانت مدارس في الشرق بغية التبشير، ورغم تحذير العقلاء من هذه المدارس حصل الاقبال عليها لا سيما في العهد البريطاني للحاجة للفتهم فاقبلوا على الجامعات الاميركية في بيروت و مصر و استانبول وهي من أخطر المدارس على الدين لانها انما أسست للتبشير . وكانت تنثر المشاكل الشكية في الدروس كرفع القرآن على الرماح ومسألة الغرائيق ومسألة القبلتين ومسألة الافك والاسراء والمعراج الى غير ذلك من البحوث التي تبحث بهزؤ وسخرية فيعود الطالب متشككاً في كل شيء وزاد الطين بلة تطبيق مناهجها في الكليات والمدارس الوطنية وتعيين معلمين من خريجها في هذه المدارس وفي مدارس الحكومة فكان لها أسوأ الاثر .

مدهوشين وقد قالت لى ام العريس (قبح الله من اوجدوا هذه العادة فأين العريس وأين الفرح وهل يجري هذا دون وجود العروسين ، وقد اجرؤا عادة (الشوفة) الرؤية الا انها بعد العقد والواجب الشرعي ان تكون قبل العقد ليتيسر التراجع.

ولما اجريت عرسي بحفلات حسب العادة السابقة استغربها الجيل الحاضر وهم اليوم يهاجمون حفلات ختم القرآن بحجة تقية ابناء الفقراء من الانكسار وهذه باطلة اذ يمكن اشراك ابناء الفقراء مع ابناء الموسرين ومساعدتهم وليست بهذه فقط ينكسر فيها خاطر ابناء الفقراء بل وفي الاعياد ، فالواجب هو الابقاء على هذه الحفلة لكي يبقى القرآن معظما في نفس الناشئين فيستفيد من هدايته وحكمته . وهناك عادة المآتم فقد اخذوا بالتقليل من شأنها وهو خطأ لأنها تكون سببا لجمع الاقارب و تبادلهم الواجبات وتعاونهم وهم يقصرون بمآتم المرأة فيجعلونه يوما ونصف وهذا يناقض مناداتهم بحقوق المرأة و اكرامها . من المستحسن الغاء حفلة «الدلائل» ونفقاتها لأنها حديثة ولا لزوم لها اما المآتم فينبغي ان تبقى وان يتساوى مآتم المرأة والرجل .

وقد ادخلت في هذا العهد الفنادق والمطاعم والمقاهي كنتيجة لاتساع البلدان والغيت الدواوين والمضافات كنتيجة للتصفية بين المدني والفلاح ولسهولة المواصلات وهذه عادات حسنة فقد اراحت الناس لا سيما النساء من متاعب الضيافات فقد كانت نساء ارباب الدواوين¹⁶⁰ المعتمدة للضيافة تشقى في اعداد الاطعمة والفرش وقد حدثتني بعضهن انهن لم يكن يبقى لهن في بعض الليالي شيئا من الطعام فيتعشين الخبز والجبن ، كن يتعين كثيرا إلى ما بعد العشاء وينهضن مبكرات هكذا بصورة متواصلة، ان هذا الذي حصل في هذا التمدن حسن وجميع ما عملوه حسن لولا الحرب والخراب والقتل .

وتفرجت التحيات من وضع اليد على الصدر الى وضعها على الراس ومن السلام ومرحبا واهلا وسهلا الى صباح الخير ومساء الخير وهذه الفاظ جاهلية كعم مساء وعم صباحا .

واصبحوا يتهاونون بعيد راس السنة وعيد المولد النبوي وادخلت اعياد رسمية حكومية كعيد الجلوس وعيد الاستقلال الخ وقد أهمل الاحتفال الرسمي بالعيد في العهد البريطاني واعد في العهد الاردني .

اللباس الافرنجي - وقد ارتدى الموظفون والطلاب اللباس الافرنجي تقليداً لرجال الدولة فكانوا في بادئ الامر يخلجون به ويجرون وراء الطلاب يقولون مظرطون وحفاض رغم انهم كانوا يلبسون الساقواي المعطف المتوسط الطول ، فكانوا لا يكادون يصلون بيوتهم حتى يقلعونه ويرتدون اللباس البلدي واستمر هذا امداً .

160 لما كانت الاتصالات بين المدني والفلاح وجد في نابلس ستون ديوانا وكانت أكثر البيوت ملقى للقرويين وكان يوجد في القرية مضافة او اكثر واكثر بيوت القرويين مضافات للتجار وموظفي الحكومة فكانت متاعب متواصلة وبالتصفية ذهب كل هذا واستراح الجميع .



صورة السيد شاكرا افندي حماد الجدي باللباس الافرنجي البدائي

الفصل الثالث

اضطرابات اعتبارية

اضطراب التقدير للقيم الشخصية

كانوا يقولون كبيرنا لا يصغر وصغيرنا لا يكبر وهذا يدل على استقرار القيم الا انه بعد الانظمة الحديثة وفي عهد عبادة الوظيفة أصبح الموظف هو المثل الأعلى وأصبح موضع التقدير والكل يتقرب¹⁶¹ اليه أما خوفاً منه واحتماء به ثم كان إعلان الدستور فخف هذا ثم عاد الأمر إلى العسكريين في الحرب العالمية .

وبعد الاحتلال البريطاني وإعلان الجهاد الوطني سقطت قيمة الوظيفة والموظف إلى حد كبير . وظهرت قيمة للمهن وأقبل الناس عليها . الا انه كان يقوم إلى جانب هذا التقدير للماليين ثم دام التطور إلى ان أصبح المال كل شيء لا سيما بعد تدفق اليهود وبيع الأراضي وراجت عقيدته قدر ما معك بتسوي ، وقد صرفوها إلى المادة بصرف النظر عن العلم والادب والكفاءة والمقدرة واننا لننتظر المثالية واستقرار القيم حسب الكفاءة الصحيحة كما قال ابن الوردي المأخوذ من قول الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

قيمة كل امرئ ما يحسنه اكثر الانسان منه أم أقل

¹⁶¹ وترتب على هذا النفاق للموظفين الغرباء فاعتزل الامراء ونزعوا ثقتهم. فأسرعت الفوضى فمن امثلة ذلك ما حصل يوم هدمت الغروز (الاساسات) في دار أمين افندي القاسم على ثلاثة من حارة الحبله فاتهموه بالقصور لانه اسم يذبح فتجمهروا حول داره لقتله فجاء المتصرف وعساكره فلم ينصرف الناس، إلى ان جاء عبد الكريم أغا النمر فوعدهم بدفع ديات القتلى فانصرفوا. فقال احد المناققين فليحيا الباشا لانه صرف الناس وكان المتصرف حي الضمير فقال له كذبت يا منافق فليحيا هذا الأغا لانه الذي رد الناس .

والاضطراب في التقدير نتج عنه الاضطراب في الاقتداء . فابطاً النشوء على الفضائل أو فقد . وقد ترتب على ذلك عدم المبالاة فذب الانحلال الى الاخلاق¹⁶² والضمائر . وسادت الخبائث حيث لا قيمة ولا قدرة واستعمل الذكاء النابلسي للكسب المادي المطلق وتعالى هؤلاء يحطمون عواطف الناس بالتباهي فأصبح المجتمع في شقاء وأي شقاء وقد منعت الزكاة وقطعت الارحام وظهرت القسوة وكثر المتسولون . ونزعت الثقة وسادت عادات منحطة بالتقلب في المبايعات التجارية على قاعدة : (الف قلبه ولا غلبه) .

و بعد تلك الشدة على النساء والحجاب خرجت بنات نابلس للوظائف والاعمال في الكويت والسعودية فسبقن اللبنايات

التردد بين الاطباء والمتطبين



صورة الدكتور نور الدين بك الكردي

اول اطباء المستشفى الوطني بنابلس والمدفون في الجهة الشرقية منه

ظهر اطباء¹⁶³ وصيادلة قانونيين الا ان الشيوخ ومن اقتدى بهم ظلوا يخافون الطب والعلاج الحديث بحجة خلطه بالمسكرات وظلوا يقبلون على المتطبين¹⁶⁴ والممارسين¹⁶⁵ الى امد قريب ، فكان الجيل المتعلم يعاني كثيرا من المتاعب من شيوخه الذين يراهم يملكون بعنادهم وما يزال بعضهم بين ظهرائنا حتى الآن

¹⁶² فتفشى الزور والتزوير والحلف الكاذب والقتل بالاجرة وتدبير الاهانات بتهمة اللواط ونبش القبور والمثلة واستئجار السفهاء للسفه على الكبراء لا سيما على الغرباء حتى المتصرف فما دون والتتويج بالغانط وتمزيق البنطلون لالصاق التهمة وقع هذا مع قضاة ومفتين ومديري مدارس ابتدائية ورشدية ومأمورين وقضاة. فكان اقذر دور عرفته نابلس على ان هذه الامور اخذت ثقل تدريجيا و ستزول.

¹⁶³ وجد في نابلس أطباء ماهرين مثل الدكتور سركيس وسليم تلحوق اللبنانيين مع الجيش في المستشفى الوطني والدكتور رايت في المستشفى الانكليزي ثم الدكتور نور الدين في المستشفى الوطني وقد دفن فيه والدكتور جرجي دعدس الناصري .

¹⁶⁴ وقد ظل آل أبي غزالة يمارسون مهنتهم لا سيما الاسطه أحمد حلمي الذي كان يتمتع بمكانة ممتازة وقد صار منهم صيادلة باجازه منهم السيدان عاهد و طاهر وقد ساروا على اثر أجدادهم وعلى هذا سار أبناؤهم برحمة وظهر

¹⁶⁵ وكان سكن نابلس الدكتور درويش الحكيم الموصلي من جيش ابراهيم باشا وكان له اختصاص حمية الامراض الزهرية وغيرها فتوارثها عدة بنوه وظلوا يمارسونها ولا يزالون . وقد تعلم الحاج داود شقير الجراحة في الجيش وهو جندي فمارسها والختان مع بعض الوصفات وقد تعلمها منه ولده رضا وربيبه عبد الهادي جعاره وعبد الله شقير وكان للثاني جراحة وخفة يد في الجراحة فنجح وأثرى . وكان آل الذهبي وآل ابي زنت يمارسون الجبار فينجحون اكثر من الاطباء بقوالهم الجبيين.

الاضطراب بين الرجوع الى الحكومة أو الاعتماد على قوة العصبية

بدأ النظام الحكومي ضعيفا سيئا وكان من أرباب النفوذ والمركز على جانب من القوة فكانوا يستعملون قوتهم العصبية وبهذا يتعبون الحكومة . وكثيرا ما يخرجونها بالجوء اليهم وكان رجال الحكومة لا سيما العثمانيون يراعون العوائد العرفية فيسلكون معهم مسالك¹⁶⁶ نبيلة وظل هذا مرعا طيلة حكمهم . اما في العهد البريطاني ولم تكن مراعاة فكانوا يلجأون الى الطرق السرية ولهذا ظل نظام الحكم مشلول الى عهد قريب .

الاضطراب بين الفنانين الحديث والقديم

كان الغناء الفروسي المعروف بالبغدادي (العراقي) رائجا لما فيه من معاني البطولة والفروسية ولا يحتاج الى آلات ولما ظهر المصري من التواشيح والمونولوج الخ غلب على الاغاني البلدية والموال الفروسي فقد قوبل من العلماء باستهجان حتى أنهم قالوا بتحريمه لا سيما الآلات . فكان الناس يفتتحون الافراح بالمولد النبوي¹⁶⁷ ثم تليه الاغاني والمواويل البلدية وتأتي الاغاني المصرية في آخر السهرة¹⁶⁸ ويطلقون عليها الناعم ، وكانت تصحبها نقرات الدبكة ثم ظهر العود¹⁶⁹ ثم الكمان ثم المنفخ فالفونوغراف الذي يقلدون اسطواناته

التصفية بين المدني والفلاح

لما أمدت الدولة البيكات طوقان بخمسة آلاف جندي لاختضاع جبل نابلس حسين تمرد على اوامر السلطان وسكن معظم هؤلاء الجنود الغرباء في نابلس استعان آل النمر بشبان القرى للصدام فصار موسى بك يستحصل على الاوامر لاجراج القرويين من نابلس، فبدأ النفور ثم نزل شيوخ القرى كال عبد الهادي وآل القاسم وآل الطاهر وآل العنبتاوى وآل القدومي وآل صلاح الباقاني فاشتد التنافس بين بيوت الامارة. وقد اشتغل بعضهم التجارة فانتقل التنافس بين التجار والقرويين والمدنيين. واشتغل بعضهم بالعلم كال صوفان القدومي وصلاح الباقاني والسفارييني والطبيي فوقع التنافس بين العلماء والادباء. وعلى أثر عهد الاغشار والتوسع في المداينات بالربا الفالحش والحجز على الغلال والاراضي تحول التنافس الى عداء مرير فكان لا يجتمع قرويون ومدنيون الا ويقع الكلام المنفر والمشاكرات الا أن هذا دخل في تصفيته في عهد الانتداب فان انتهاء نظام الاغشار حل المشكله ثم سنت الحكومة¹⁷⁰ قانونا للتقسيط ولم تعد تساعد أصحاب الديون

166 من ذلك وآخره على ما اعتقد ما وقع من فتحي بك سليمان المتصرف العثماني المشهور في عهد الدستور حينما طارد السيد محمد الشكعة وبلغه أنه مختف في دار النمر الكبيرة فباغت الديوان الكبير بزيارة على غير عادة المتصرفين وكان الوقت صيفا وهم جلوس على البركة والشادروان المقابل للبوابة وكان معهم السيد محمد الشكعة (والد السيد أحمد الشكعة واخوانه) فانسحب من وجه المتصرف الى الديوان وبعد استقرار المتصرف قال لهم يا أغوات هذا طلبتي محمد الشكعة وعلمت أنه عندكم ولكني لم ارد القبض عليه محافظة على كرامة بيتكم ولكن كفى فلينتقل وبعد خروج المتصرف انتقل الى جهة أخرى سراً .

167 كان في اوائل هذا العهد شيوخ من اصحاب الصوت الحسن يقرأون المولد النبوي وهم : الشيخ امين حنون والشيخ سعيد حنون والشيخ محمد الحجاوي والشيخ حسن خير الدين فتيان كان طالبا في الازهر فأعجب المصريون بصوته حتى الخديو ثم سقوه ما ائلف صوته - وقد قال لنا - وكنا طلابه - انهم سقوه خبز السمسم) . ومنهم الشيخ اسعد شرف والشيخ حسن عبده (الدمشقي الذي استوطن في نابلس) ولو سجلت اصوات هؤلاء لكنت من أحسن الاصوات .

168 وكان الاثرياء يستقدمون المغنين من يافا ومصر كما حصل في افراح آل النابلسي العرس ابناء الحاج محمود النابلسي فقد استقدموا الشيخ محمد سالم المصري - وكانت مثل هذه الافراح تمتد خمسة عشر يوما . وكان اصحاب الصوت الحسن في نابلس يقبسون من هؤلاء المغنين ومن الاسطوانات فظهر من ابناء نابلس مغنون قد آجادوا واتقنوا بعض المقامات الى حد كبير لا سيما (الصبا) الذي كان محببا اليهم و ممن نبع في هذا الفن السيد شكري الطاهر وكان يحبي السهرات مجانا الا ان عقده النفس كانت تفسد السهرة اذ كان يحرق ويزجر اذا قال له احد السامعين أه او يعاد فيصيح بوجهه و انا مش عبد ابوك ، . ثم لا يتكلم ولا يغني . ونبع ايضا السادة فهمي الذهبي وعبد العزيز عبد السلام النابلسي ومنبج جابر وفارس الزاغة. وكانت السهرات تدوم حتى اذان الصبح . وهناك سهرات خاصة يشهدها نخبة من شبان الطبقات الخاصة لا يحصل فيها صخب ولا عريجات وكان يزور نابلس من وقت لآخر محمد العاشق اليافي والشيخ احمد الطريفي ومعها تحت كامل من عود وقانون ونف الخ فكان ينزل على آل النمر ويحيي السهرات الشيقية

169 كان آل هاشم اول من اظهر العود ولعبة الشطرنج وقد تعلمها الرجال والنساء ومنهم تعلم معالي علي نصوح الطاهر لانه نشأ عندهم وهم احواله .
170 على أثر الازمة الخائفة سنة ١٩٢٨ .

على المدنيين كما كان الامر في السابق فانقطعت المعاملة بين المدني والفلاح. واصبح¹⁷¹ الفلاح يدبر نفسه بنفسه واصبح المدني يبيع ويتعامل¹⁷² بالنقد .

وقد حصلت التصفية بخيرها وشرها ورغم هذا فقد بقيت آثار من النفور حتى الآن¹⁷³ رغم استراحة الفريقين وقد استغلها النفعيون اسوأ استغلال.

التصفية الطائفية

ابنت في احوال عهد الاقطاع بأن الجميع كانوا يعيشون عيشاً موحداً فلم تكن فوارق بين المسلم والمسيحي والسامري ولا حزازات بل كانوا يتعاونون في كل شيء على اساس حزبي فيقال فلان شهوته (حزبيته) فوق دينه مغالاة للاخلاص في الصلات .

ولما تدخل الأوروبيون في شؤون الدولة العثمانية كان مما فعله العثمانيون فرض تشكيل مجالس الادارة والمحاكم والبلديات تشكيلاً طائفيًا ثم كانت الارساليات فتحتوا مدارس طائفية ثم ظهرت طائفة لاتين تم بروتستانت وحصلت اتصالات مع بعض المعاهد الفرنسية فظهرت الطائفية الا ان الأمر تغير بعد اعلان الدستور ثم الغيت الإمتيازات في الحرب العالمية الأولى ثم في عهد الإنتداب البريطاني كانت الحركة الوطنية فاندماج الجميع فيها وحصلت تصفية طائفية عامة .

التصفية العائلية¹⁷⁴

كانت الظروف الماضية تقضي بالتكنل العائلي والإعتماد على أحد الرجال ليكون رئيساً يرجع اليه وكان لهذه الناحية شأنها لا سيما في الثأر والديات ونحوها . وكان هذا يحتاج اليه في حالة ضعف الحكومات روح تعصب عائلية قاسية تؤدي بحقوق كثيرين وتتلاعب بالكفاءات الا أنها بعد ان قويت الحكومة ضعفت العائلية واخذت بالتلاشي وقد صفيت الاملاك¹⁷⁵ والمشاكل ولم تبق الا الأوقاف الذرية التي وقف بوجه حلها المشايخ¹⁷⁶ عبد الله غوشه وعبد الحميد السايح وغيرهما خوفاً على اوقاف القدس من الضياع ثم سن قانون تحريم البيع للغرباء في القدس ثم كان احتلال اسرائيل فتوقف العمل لحل الاوقاف الذرية ذات الضرر البالغ

171 الا انه لم يتخلص بالكلية بل انقلب الى التداين من أثرياء القرى انفسهم فعاد إلى المشاكل والسر أنهم لا يقدرّون الوفر ولا يصبرون عليه بل يصرفونه في المشاكل والزواج والحج الخ

172 وقد ارتاحت بيوت التجار من الضيافات ولو أنهم كانوا يجنون ربحاً مادياً فالواقع ان هذا الوضع افضل لا سيما ان الرباشر كبير وكان وضع تحسر .
173 ارجو أن لا يفهم ان التصفيات الماضية والآتية نهائية إذ لا تزال الآثار باقية الا انها غير شديدة فان بضعة أشخاص استغلوا الأوضاع ولكي ينالوا بعض الوظائف أوجدوا عداً مدمراً فاصبحت البلاد كان فيها دينين او مذهبيين او جنسين وقد ظهر الامر للعقلاء فأظهروه .

174 هذا اصطلاح فان اسم عائلة في المدينة وحاملة في القرى تحل محل القبيلة والعمارة والبطن والفخذ والعشيرة
175 وقد انفقت مئات والوف الجنيهات لهذا وقد ظهر في هذا العهد محامون كبار منهم السادة : علي المصري ، سعيد عميرة وصديق عبد الغني العبد المادي وعمر الجوهري وعبد اللطيف صلاح وعادل زعيتر وحسني اسكندر عبد الهادي الخ . وقد ساعدت الحكومات على هذه التصفية عن طريق محاكم التسوية .

176 بحجة الخوف من ان يشتريها دير الروم اذا حلت ولكن الواقع انه اخر بالابقاء على هذه الاوقاف وترك هذه العائلات تشقى مع بعضها و مع موظفي الاوقاف.

الفصل الرابع

التكتلات الاخيرة

التكتل والتحزب

تكتلت عائلات في نابلس برئاسة الشيخ اسعد الطاهر ثم برئاسة الشيخ عباس الخماش ثم الحاج توفيق حماد واتصلت بها عائلات أخرى في قضاء نابلس واللواء للتساند ورفع الضرر وكان هذا في بدايته ضرورة الا انه تحول وتطور كما ذكرت فسادته عصبية الجاهلية والحمافة والعمل على العمياء فلم يكن لهذا التكتل من مناهج ومبادئ واتجاهات معروفة سوى منازعات ومعاتبات واقتراءات . وظل التحزب كذلك الى ما بعد الحركة الوطنية والقومية فكان دهان وطني وقومي في جوفه هدم وتلطيخ بالاتهامات التي مزقت وحدة الأمة اذ انبثق عن انقسام مرير استعملت فيه جميع أساليب الهدم ولكنه هذه المرة يتسلح بالصحافة امضى اسلحة العصر وما يتصل بها من نشرات ومكاتيب غير موقعة في البريد تحمل جميعها الجهالات والافتراءات فثبت وظهر ان هذا التكتل لم يكن ارقى واعلى من التكتل السابق



من اليمين الى اليسار الامير عبد الله الضامن فامين بك التميمي فقاسم اغا النمر فالملك عبد الله والحاج امين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي المعروف بالفيلسوف رضا توفيق بك التركي فالشيخ محمد تفاحة مفتي نابلس ففريد افندي العنبتاوي ووراء مفتي القدس حاكم نابلس المستر بيرون

ثم انحلت اللجنة التنفيذية العربية واسست الأحزاب الفلسطينية والدفاع العربي والكتلة والشباب والإصلاح والإستقلال وقد سطرت مبادئ¹⁷⁷ ومناهج ولكنها على الورق . فلما دعيت الى العمل والإتحاد انفجرت على بعضها تهدم وتسفك فكانت مجازر سنة ١٩٣٨ ومشائق ورصاص سنة ١٩٣٩ فقضت تلك الاحزاب والهيئات تشيعها اللعنات لا من الشعب الفلسطيني فحسب بل من العالمين العربي والاسلامي والعالم اجمع . ثم كانت التكتلات الآتي الكلام عنها والتي يظهر ان نتائجها لم تكن اقل ممن سبقها .

¹⁷⁷ وهذا ما حملني ان اضع المادة الآتية في صلب منهج حزب التقدم العربي الفلسطيني . (رفع المبادئ والاخلاق فوق جميع النزعات الشخصية والعائلية والبلدية) . فكان لها تأثيرها البالغ وقد اخرج ظهور هذه المبادئ الاحزاب الفلسطينية وكادت تودي بي

التكتل الشيوعي

منذ كانت الشيوعية وتشكيلاتها تتواتر في نابلس والقضاء والحكومة تطاردتهم فلم ينم¹⁷⁸ عددهم وأرد السبب في ذلك إلى عاملين داخلين أحدهما التناقض في المبدأ بقيام أبناء أثرياء بأمرها استغلالاً ، والثاني صلة الشيوعيين باليهود فإن جميع الأحزاب الشيوعية في العالم تعمل القومية ما عدا شيوعيين عرب هذه البلاد فإنهم يتعاونون مع الشيوعيين اليهود كما ظهر وثبت في الكارثة إذ ظهروا كطابور خامس يعمل لصالح اليهود وثم عاملان خارجان عنها وهما مطاردة الحكومة ومقاومة الاسلام . وبهذا ظلوا محدودين العدد الا انهم كانوا يعربدون على كل عمل وطني فيشوهوه .

التكتلات الاسلامية

تشكلت في مصر جمعية كبرى باسم (الاخوان المسلمين) لمقاومة انتشار الشيوعية . فكانت في نهضة اقوى لأنها كانت¹⁷⁹ مضاعفة للشبان المسلمين . وقد اسس لها فرع في نابلس فتما وانتفى اليه كثيرون الا أن دخول الحزبية المحلية فيه وضعف شخصية رئيس الفرع وفضيحة المؤامرات المركزية¹⁸⁰ اضعف الفرع في جبل نابلس وأصبح هزيباً جداً يعيش على مساعدات فرضها على بعض أهل اليسار خير منها لعدم تضعفوا وانكمشوا حتى لم يعودوا يباروا الشيوعيين الذين قاموا لمقاومتهم.

ثم قام الشيخ تقي الدين النبهاني¹⁸¹ بتشكيل كتلة باسم حزب التحرير وانفصل الشيخ عبد العزيز الخياط عن الاخوان المسلمين وأسس في نابلس فرعاً للتحريريين فتمت وتقدمت وأوغلت في المدارس وهم يبشرون باستئناف الحياة الاسلامية وحمل الدعوى الاسلامية واقامة دولة اسلامية . الا أنهم سلكوا اسلوب الجدل والمرء مع عدم التسليم بشيء وقد خولوا كل من ينضم اليهم العمل بمجرد الدخول فأوجدوا فوضى في المساجد والمشارجرات اضطرت الحكومة¹⁸² الى اصدار قانون اسمه قانون الوعظ والارشاد وقد حامت الشكوك حول نفقاتهم وقعود اقطابهم عن العمل فالغي حزبهم وطوردوا واضطهدوا .

178 قال لهم السيد فوزي شاهين وهم في ساحة داره قبيل انتخابات سنة ١٩٥٦ البرلمانية و انكم موجودون منذ ثلاثين سنة فلم يزد عدكم عن ثلاثماية فما هذا العقم ، وهذا التعبير الساذج اصح تعبير عن وضعهم .

179 خمدت الحركة الاسلامية التي انعشها السلطان عبد الحميد وظهرت فوضى الحادية بسبب نقمة الاتحاديين على الحركة المحمدية التي قام بها الشيخ محمد ابو الهدى الصيادي ضد الدستور فحصل استخفاف بالدين . ثم كان اهمال أثناء الحرب العالمية ثم تلاه ياس بعد انهيار الدولة العثمانية وقول غورو رجعتنا يا صلاح الدين وقول اللبني انتهت الحروب الصليبية . الا ان انتفاضة مفاجئة ظهرت بظهور جمعيات الشبان المسلمين في مصر وجمعية الخلافة في الهند واستمرت جمعيات الشبان المسلمين عاملة برئاسة عبد الحميد بك سعيد وقد فتح لها فرع في نابلس الا انه كان شكلها فيلم يكن سوى تبديل اسم النادي العربي باسمها والقاء بعض محاضرات اسلامية ثم است جمعيات و الاخوان المسلمون ، برئاسة حسن البنا وكان سيرها جزري بالقيام بالواجبات الاسلامية الا ان المركز في مصر قد تلاعبت به الاهواء وتآمر على الدولة القائمة فالغي واضطهد .

180 قبل تأسيس الفرع زارني الشيخ عبد العزيز الخياط والشيخ سعدي هاشم والاستاذ عبد الله الرزق وحاولوا اقناعي بالقيام بتأسيس الفرع في كان رأيي ان يتعاونوا معي لا عادة تشكيل جمعية الهداية الاسلامية والعمل للاسلام والمسلمين عن طريقها وحجتي ان الفرع المربوط بمركز يحاسبه ويحمله مسؤوليته وهو لا يقوى على محاسبة المركز فلم يقبلوا رأيي بل اسسوا الفرع واستمرت اتصل بالفرع القى بعض المحاضرات وأقوم ببعض الزيارات وأسدى بعض النصائح لاني وجدت في هذه التكتلات بعض الفوائد الاسلام والمسلمين ولو سارت كما اردت لكنت فوائدها اجل واعظم الا انها استغلت لغايات و أرب شخصية فقضت في النهاية على قاعدة القصور الذاتي .

181 وقد اتهموا بان حركتهم اميركية لما كان يظهر في نشراتهم من الدعاية لاميركا فمن ذلك ما جاء في نشرتهم المؤرخة جمادى الأولى سنة ١٣٧٣ هـ وفق فبراير شباط سنة ١٩٥٣ م وهو : « تعتبر الدولة الأولى الان في الموقف الدولي اميركا لانها اقدر الدول على جعل السياسة الدولية بجانبها والواقع انه لا تقع ولا تنفذ الا الاحداث السياسية التي تريدها اميركا . ، واستمرت النشرة كلها على هذا النمط دعاية الاميركا تقنع القارىء ان اميركا ليس عندها بغض للإسلام كاوروبا الى غير ذلك من الآراء التي أوقعت عليهم الشبهة كما انهم في نشرة اخرى دعوا الايقاف الجهاد الا تحت راية الدولة الاسلامية المحضة .

182 بعد ان حصلت على فتوى من علماء وفي مقدمتهم أصحاب السماحة رئيس وأعضاء محكمة الاستئناف الشرعية وسماحة قاضي القضاة وسماحة المفتي العام واصحاب السماحة رئيس وأعضاء الهيئة العلمية الاسلامية وكذا أصحاب الفضيلة قضاة المحاكم الشرعية .

وتشكلت جمعية أخرى باسم جماعة البر الخيرية بنابلس لمساعدة العائلات المستورة واقراض الطلاب الجامعيين المتفوقين الفقراء ومحاولة منع التسول وقد انضم اليها كثيرون .

التكتلات السياسية

اسس في سوريا حزب باسم حزب البعث غايته الوحدة العربية وهي بديهية يدعو لها العرب كافة ولم يبينوا ما يجب عمله لازالة الاوضاع ومعالجتها . وقد اسس له فرع في نابلس قوامه السيدان حمدي عبد المجيد وحسني الخفش فقد ظل محدودا يتنافس مع الشيوعيين ثم اوقف بأمر حكومي . واسس نادي عربي ثقافي قوامه السيد محمد العمدة والدكتور صلاح العنبتاوي وقد انتموا للقوميين العرب وقد تدخل في السياسة المحلية ثم أغلق وصودر متاعه .

وأسس في عمان حزب اشتراكي عربي قوامه جماعة من البرلمانيين ومنهم في نابلس السيدان حكمت المصري ونعيم عبد الهادي وقد أوقف في ذيول حوادث محاولة الانقلاب سنة ١٩٥٧ .

التكتلات النسوية

ضوعف الحجاب بعد فتح جبل نابلس وامتلاء البلاد بالغرباء من عسكريين واداريين الخ وكانت ظروف الدولة تستدعي ذلك وقد بقيت¹⁸³ المرأة في التربية والواجب على جانب كبير من الروح والحياة التي كانت عليها جداتها في الماضي لا سيما القرويات¹⁸⁴ اللواتي يقمن بالواجبات الكثيرة . الا انها على العموم حملت ولعت بالازياء والتغرب الى حد الاسراف والتبذير وبهذا تحربت بيوت كثيرة وأفلست وبعد فتح مدارس البنات والتخرج منها ظهرت آثارهن في التعليم وفي الحركة الوطنية¹⁸⁵ وكانت القائدات السيدات مريم هاشم وفاطمة ام طارق البشناق وأم حسن الحجاوي وبهيجة النابلسي وام واصف كمال الخ وقد قمن يجمع التبرعات لعائلات المنكوبين والشهداء وللحركة الوطنية وقمن ببعض المظاهرات ومساعدة الجرحى كما مر . ثم خمدت حركتهن الى ان كانت الحوادث الاخيرة فظهرت التكتلات المنظمة الآتية :-

- 1 - جمعية الهلال الاحمر النسائية برئاسة السيدة شهرت المصري وهذه الجمعية تعنى بالمسائل الاسعافية وكل ما فيه عطف وتفقد للجرحى والمرضى والمساجين والفقراء والعجزة وعائلاتهم .
- ٢ - الاتحاد النسائي برئاسة الحاجة عندليب العمدة وله مستشفى مجاني للفقراء والمساعدة الحوامل ولا سيما اللاجئات وملجأ لليتيمات يتعلمن الخياطة والتطريز وله سكرتيرة هي الاستاذة عصام عبد الهادي .
- ٣- رعاية الطفل والمناضل الجريح برئاسة السيدة فائزة عبد المجيد الكاتبة المعروفة وهي من مؤسسات الهلال الاحمر فرع نابلس .

¹⁸³ وممن يقين بروح الماضي بعض نساء آل النمر وآخر هن شقيقتي الأنسة فريدة النمر وقد كتبت عنها كراسا هو قيد الطبع
¹⁸⁴ القرويات ما زلن عاملات دابئات يشاركن الرجال في اعمال كثيرة وقد أصبح في القرى الكبيره مدارس للبنات صرن يتحضرن
¹⁸⁵ واشهر من اتصلن بالثورات الحاجة حليلة الحاج محمد شقيقة عبد الرحيم الحاج محمد رئيس قواد سنة ١٩٣٨ فكان لها أثر في تشجيعه ومساعدة أبنائه من بعده .

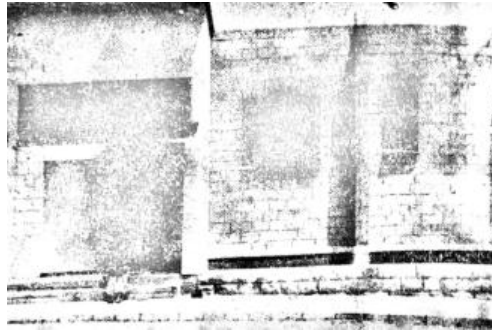
هذا وقد اتجهن الى المهن والصناعات النسوية وقد ملأن الكويت والسعودية الا ان البارزات منهن مقصرات بواجب النهي عن الاسراف والتبذير والاسراف في التغرب في الازياء والتلهي والانشغال عن البيوت بالسهرات والاستقبالات والاجتماعات الخ التي كانت طفرة بقوة النفس النابلسية مما يؤدي الى تقويض الاسرة وانهيارها .



صورة دوار نابلس

الانشاءات

مر ذكر مساجد نابلس في الجزء الثاني من هذا الكتاب وقد بني وعمر مساجد جديدة أحدها مسجد الكفير في طريق قرية رفيديا بني بتبرعات من اثرياء نابلس بمساعي جمعية التضامن الخيرية . وكذلك بني مسجد في الجهة الجنوبية في الحي الجديد لنابلس وكان هذا بمساعدات وتبرعات من سكان الحي ومن اثرياء نابلس وهو جامع الامام علي وقد هيء مقام العמוד للصلاة بتبرعات قام بها سكان حي المنكوبين ثم قام مؤلف هذا الكتاب والمرحومة الحاجة عزيزة النمر باتمام العمارة وهي بناء غرفة للوضوء وتبليط الساحة وغرفة الشيخ علي الدمشقي . وتحويله الى مسجد هو أمر ضروري لحي المنكوبين . وقامت الحاجة عفيفة ملحس بانشاء مسجد صغير في الحي الشمالي الجديد وهو ضروري ايضا لذلك الحي ، وقام الحاج معزوز المصري ببناء مسجد في نهاية محطة سكة حديد الحجاز .



صورة جامع الامام علي



صورة مسجد الحاجة عفيفة



صورة باب الجامع الكبير

واعيد باب الجامع الكبير الشرقي الذي هدم في زلزال سنة ١٩٢٧ وهو من صنع معلم البناء السيد احمد جاموس والنقاشين الحاج حيدر العامودي وولده محمد .

ملحق الاجزاء الثلاثة

لتاريخ جبل نابلس والبقاء

ملحق للاجزاء الثلاثة

الفصل الاول - مواد متفرقة

تنبيه

ما يزال في نابلس - هذا البلد - من ينظر الى هذا التاريخ بعين وفكر عهد الاقطاع الاوروبي وبعضهم يقيسه على تواريخ الاقطار المجاورة لا سيما مصر والشام . ولهؤلاء اقول ان هذا وذاك قياسان مع الفارق وقبل الحكم ينبغي دراسة هذا التاريخ ثم دراسة تواريخ الاقطار المجاورة لا سيما تاريخي الجبرتي والامير حيدر الشهابي فتظهر له الحقيقة فأن تاريخنا أنبل تواريخ ذلك العهد . وما يزال اناس يعتبرون على عدم ذكرهم او قلة ما ذكر عنهم في هذا التاريخ رغم نشري نحو ستين اعلانا في صحفنا اليومية وهي أطلب فيها المعلومات ، « قل هاتوا برهانكم ، ورغم اتصالي شخصيا خلال نحو نصف قرن فلم يصلني الا النزر اليسير من المعلومات .

معلومات متفرقة

(١) تصحيح هامش ص ٦٥ من ج ٢ ان قرיתי بيت سوريك ودير بزيغ هما من قضاء رام الله وليس من قضاء الخليل

(٢) آل قراجة : منهم في حلحول وصفه ودير بزيغ .

(٣) من مؤلفات الشيخ محمد السفاريني الكبير ، البحور الزاخرة في علوم الآخرة وهو كتاب جليل القدر اشتمل على الموت والبرزخ والمحشر والجنة والنار . ومن مؤلفاته : (القول العلي لشرح أثر الامام علي رضي الله عنه . وله ثلاثيات سند الامام احمد وشرح نونية الصرصري سماها معارج الانوار في سيرة النبي المختار وتحبير الوفا في سيرة المصطفى . وغذاء الالباب

(٤) الشعر الهلالي المذكور في ج ٢ يقال له (الشروقي) ايضا .

(٥) جردة الحج اي لوازم المحمل وما يتعلق به .

(٦) ان ما ذكرته في الجزء الثاني عن السامريين هو من الكاهن ناجي خضر كان اعلم الكهان

(٧) آل العصفور : هم من آل الخطيب في قونية وقد لقب جدهم بالعصفور لنشاطه

(٨) جرارحة فلسطين من طيء .

(٩) ابو الرب كبلاني .

(١٠) المجالي استطاعوا بعد جهود وتضحيات رفع خاوة البدو وقد شهد من نزلوا في الكرك من النوابلسة وغيرهم انهم اهل سماحة وكرم .

(١١) اسم آل الشحروري نسبة الى الشحر وقد نزحوا وانتشروا في بلاد عديدة منها بيروت و نابلس وهونين وحلب وكفر حمام (في البقاع) وكفر نعجه وبلعه ومجدل الصادق . وهم من حيث المذهب سنيون وشيعة ونصارى

(١٢) نواحي جبل نابلس هي - (١) المشاريق (٢) المغاريب (بني صعب) (٣) جورة عمره وجماعين الجنوبية (٤) بلاد حارثة (الشمال) (٥) الشعراويتان (الشمال الغربي) (٦) وادي الشعير (وهو الوادي الواقع في وسط جبل نابلس وهو يبدأ من دير شرف شرقا حتى زنانه غربا وهو بين بلعه شمالا وبيت ليد جنوبا .

(١٣) من الشعر النسوي المقفى - (النواح)

مال الشمس اعطتني قفاها بنات العز خرجت من خباها

(١٤) آل الطياح في نابلس (انقضوا) ومنهم بقية في طولكرم وغيرها جاء في ترجمة الشيخ علي المنصور الكرمي في تراجم الشيخ جميل الشطي (الدمشقي) ان الشيخ علي المذكور قرأ القرآن على الشيخ محمد الطياح في طولكرم .

(١٥) عائلة الحمامي المجاورين لجامع الانبياء بنابلس - يتفرعون من زعرور ولهم أقارب في فاره وفي طوباس .

(١٦) تابع الفلكلور النابلسي : جرت مباراة بين زفتي نابلس ودمشق في عرس المرحوم الامير (الملك طلال) فحكم الملك عبد الله ورجاله لنابلس لان زفة دمشق الحماسة فيها محدودة - وقد شاهدتهم - لانهم جميعا يمسكون السيوف بأيديهم فتتعلطل عن التصفيق وأما زفة نابلس فان احدهم يركب اكتاف آخر وبيده السيف يمدح والباقيون يصفقون مع المديح فيكون لها دوي وحماس - وآسف انها قد اضمحلت .

(١٧) القواس من عنتر وعنتر ششتري وقد لقب عنتر لقوته .

(١٨) جمعة - مخلوف اصلهم من كفل حارث آل (ابي معروف) .

(١٩) تابع الشقران : هو شقران بن عمرو بن صريم الغساني .

(٢٠) ولما خرج الاجلق من كفر الديك نزل في ساحة بروقين فقتل هناك.

(٢١) في سنة ٥٥١هـ حصل زلزال دمر نابلس وكان سكانها (١٥٠٠) نسمة فقتل منهم خمسمائة نفس

(٢٢) تناقض في كتاب ظاهر لميخائيل الصباغ : فهو يقول عن ابن ماضي شيخ مشايخ جبل نابلس وانه يتحصن في صانور ثم يعود فيقول ان آل جرار هم سادات جبل نابلس وحماته في قلعة صانور ثم ينزل بهم فيقول انهم يتلقون الأوامر من بيت طوقان القديم .

ويناقض نفسه بالحوادث فبينما يقول ان رجال جبل نابلس كانوا يسيطرون على الناصرة وبلاد المتاولة أظهر ان ظاهر العمر كسرهم فاستجدوا بالوالي فأشار عليهم بأن يتراضوا مع ظاهر العمر وبهذا ظهر ان عملهم هم وابن طوقان كان

بغير رضى الدولة فلم يكونوا يأتَمروا. والوثائق المسجلة في محكمتي القدس و نابلس الشرعية تثبت ان الحكام في ذلك الوقت هم ال النمر وانهم كانوا مقيدين بمركزهم فلم يشتركوا بهذه المعامع لا كما يستنتج دروزة من انهم لم يكن لهم شأن .

(٢٣) تنبيه : - انبه من يقرأ تاريخ فلسطين للاستاذ الدباغ الى ان الذين ذكرهم من العلماء ونسبهم لنابلس أكثرهم لا يجوز ذكرهم في تاريخ نابلس لانهم نشأوا وعاشوا خارجها وليس لها عليهم أي فضل وانما قصد بذكرهم نسبة النقص والتقصير التاريخي فليعلم .

(٢٤) تحققت ان آل صبري في قلقيلية يقال لهم المشايخ وهم مستقلون لا ينتمون لاي من الحمايل الاربعة .

(٢٥) أغنية - الآغا - كان الآغا - محبوبا من الشعب كثيرا فكانت أهازيجهم وأغانيتهم للآغا وقد ذكرت في الجزء الثاني اهازيج وقد بلغتني الاغنية الاتية التي تمثل الحاكمية المطلقة :

دخلك يا طير علمني لغالغا دخلك يا طير واطلعي قصر الآغا

شفت الطير بعشش جوا الليمونه شوها الطير عيونه جنوني

قتلتو يا طير اطلعي عالليمونه قال لي الطير ليأمر سيدي الآغا

شفت الطير بعشش جوا التفاحة شوها الطير عيونه سود مرتاحة

قتلتو يا طير اطلعي عا التفاحة قال لي الطير ليأمر سيدي الآغا

وهي طويلة لم يردني منها الا هذا المقطع¹⁸⁶ وقد انتجتها المعاملة الطيبة التي طيعت له الناس حتى تصوروا ان الطير لا يعصاه .

(٢٦) بلاد حارثة تقسم الى قسمين شرقي ويشمل جنين وعرابه والجلمة وصندله وزرعين والمزار ونورس وعربونه وبيت قاد ودير غزال وجلبونه وام التوت وجلقموس والمغير .

وبلاذ حارثة الغربية وتشمل - : برقين وكفر دان والهاشمية واليامون والسيله الحارثية وسالم وتل الذهب وزلفه وام الفحم واللجون (وهواسم رومي معناه الكتبية وكان يطلق على بلاد حارثة فتعتبر لواء اللجون

(٢٧) من السباهية بنابلس - النعمان والبابا وامهان والكنا والبيت والبابا والدريخ والمطبقاني واغلبهم قد انقرضوا .

(٢٨) الديرية¹⁸⁷ في عقربه - نسبة لدير الزور نزلوها بعد حادثة التتار فنسبوا اليها وهم من السيد احمد بن المعتصم العباسي ويقال لهم بني حمزة الفضل وانهم اقارب عشائر الفضل والفاعور ويقسمون الى حمزات نسبة لحمزة الفضل وصعابنة نسبة لجدهم صعب ومرأوحية والى هواوشة نسبة لجدهم ابن هواش من الحمائدة ومنهم في الاردن .

¹⁸⁶ من رواية شقيقتي الست عفيفة وقد ماتت عن ٩٦

¹⁸⁷ هذه وما بعدها من رواية شيوخ عقربا المعاصرين

(٢٩) بني منه في عقربا فجدهم المنيني باني الكعبة وهم قسمان الزياتي من قضاة البدو في سوريا والقسم الثاني من شمر جربا .

(٣٠) اما بنو جابر في عقربا فهم من ذرية سيدنا جابر الانصاري .

(٣١) اما الميادنة في عقربا فهم من بني خاطر البلقاوية ومن العبيدات في مادمة .

(٣٢) اما بنو جامع في عقربة فيقسمون الى دار ابي شهاب نسبة لجدهم شهاب من الحوارث والى دار صبره من غور الصافي والى دار حميده نسبة لجذتهم حميدة .

(٣٣) أبو غصيب في نابلس ينتمون الى جرار وجدهم اسمه يوسف صافية لقب بأبي غصيب لكثرة غضبه وسبب نزوله في نابلس أنه صارع فهذا فاصيب بالحمرة فظن انه جذام فنزل في جامع المساكين فشفي وبقي في نابلس واولد نسلا اصحاء .

(٣٤) والجبعي يدعي أنه من آل جرار جبع .

(٣٥) من تصرفات المشاقي انه ارسل خيله لتلقح من حصان عند البدارين فرفضوا وقالوا نحن لسنا برامكة وشتموه ولما علم شيوخهم بذلك اندزوا بالرحيل فنزلوا على أصهارهم النعيرات في ميثلون فارسل المشاقي عليهم جيشا أبادهم والنعيرات ولم يبق من هؤلاء الا ولد هربت به امه الى اهلها في العطارة . وترك ذرية داروا مع ال جرار ضد الربابعة الذين داروا مع آل عبد الهادي .

(٣٦) آل الحاج حسين في صانور هم من الايدة من عنزه فهم ابناء عم الفريحات في جبل عجلون وكانت لهم مواقف مجيدة في ثورة فلسطين الكبرى وما بعدها وقد هدمت دورهم لاسيما برج صانور الذي كانوا يسكنونه

(٣٧) منازل البلقاء : لما وقعت الحرب بين بني صخر والعدوان انضم لبني صخر عباد والصقر وابن شعلان وانضم للعدوان السلطية وبنو حسن والدعجة والحمايدة .

(٣٨) ورطة السيد البسطامي - كان معاديا لآل عبد الهادي فرتبوا عليه قضية وعلموا الاولاد مديحية :

البسطامي ابو ديمه حامل بيدو و قريبنه

اجا لتفريغ فينا طلعت بلا صوانه

ولما ذهب قضية الى دمشق ساعده محمد سعيد باشا شمددين الكردي متصرف نابلس سابقا فشهد لدى الوالي ان هذا الشيخ مخلص للدولة وانه تبرع من ماله الخاص بما يساوي ما طلب من نابلس كلها وان السلطان منحه وساما عاليا وان قضيته مجرد تحامل مغرض فبرأه الوالي.

(٣٩) العباسيون في نابلس : جاء في تراجم المرادي الشيخ أحمد الباقاني حفظ القرآن على الشيخ السيد محمد السقي النابلسي الشافعي .

(٤٠) اسم يعيش - جاء في ترجمة ابن الاثير المؤرخ أنه تردد على مدينة بغداد وقرأ بها على الشيخ أبي القاسم يعيش الفقيه .

(٤١) تأييدا لعرفنا ان العرض بثلاثة : السرج والفرج والسلاح وجدت ان أحد المناذرة طلب فرس أحد الفرسان وكان اسمها سكاب فقال له : ابيت اللعن ان سكاب علق نفيس لا تعار ولا تباع

(٤٢) القصير هو الذي يكون مع آخر وفي دبرته دون اعلان طنن فيطالب بحمايته فانه يستطيع طلبا لنفسه بحقه وان تصالح الفريقان .

(٤٣) في ابي الفدا الحموي ان الامير مجير الدين والامير علي بن شجاع استشهدا في نابلس في حربهم مع التتار سنة ٦٥٦ .

(٤٤) جامع الخصرة بنابلس عمره الملك المنصور قلاوون وبني المئذنة .

(٤٥) من ابي الفدا الحموي - عمر الملك الظاهر جسرا بين قراوة ودامية وتولى عمارته والي نابلس والاغوار سنة ٦٦٤

ملاحظة - ولا تزال انقاضه ظاهرة .

(٤٦) كشكش بنابلس يتفرعون من ابي زعرور وهؤلاء سباهية .

(٤٧) الهقش أصلهم سلامه النصار من الدويكات

(٤٩) دار صلاح الدين يتفرعون من آل جابر وهم غير آل صلاح الباقاني .

(٥٠) ومن بني عطية البطز وكتبونه وكنعان .

(٥١) أغا بطبله اي انه يقرع الطبل امامه . وهو الموظف وأغا بلا طبله اي الوارث اللقب بدون وظيفة فالأغا النمر بطبله لدوام الوظيفة فيهم والأغا طوقان بلا طبله لانقطاع الوظيفة .

(٥٢) تابع الفلكلور النابلسي النسوي - كان هذا يمثل في حي الحبله لا سيما في افراح آل النمر حيث تحضر بنات الحي ويحمسهن الستات بنات النمر (قائلات كف يا حبلأويات فيشتغل التصفيق الذي يسمع في الحي الغربي لا سيما الاغنية السابقة في العدد ٥١) فتحضر السيدات نساء التجار ليشهدن هذا المهرجان الحماسي النسوي (ويجبن حبلأوية وامارة - وقد ادركنا شيئا منه رحم الله تلك الايام حيث كانت السعادة مخيمة على الناس للبساطة الفطرية لخلو البلاد من الافكار الغربية ولغلبة الآداب الاسلامية.

(٥٣) عائلة قزيع متفرعة من عائلة فرح في الخليل .

(٥٤) آخر اصحاب الكتاب : الشيخ مسعود العكر ، والشيخ عبد الغفار النعنيش والشيخ نجم فيضي والشيخ اسماعيل العكة (المصري).

(٥٥) كان ارباب الحرف اذا فرضت عليهم ضريبة او تضايقوا اغلقوا حوانيتهم وتظاهروا واذا لم ينتفعوا حصلوا على عريضة موقعة من المفتي والقاضي والنقيب الخ وارسلوها للوالي فيرفع ظلامتهم .

(٥٦) صدر قانون الاراضي سنة ١٢٧٤ . وصدر قانون القرعة سنة ١٢٩٠

(٥٧) صدر قانون البلديات سنة ١٢٧٤ هـ وعدل ١٢٨٥ هـ

(٥٨) كتاب سياحه اوليا شلبي قال عنه فاسيلي بارتولد الروسي انه يحتوي على كثير من المعلومات الملفقة .

(٥٩) ال ابي زنط من تل شهاب في سوريا .

(٦٠) العكليك والصباغ اصلهم الشريكي

أ - في سنة ١٢٧٤ هـ عين مسعود اغا الحمداني (والد الوجيه فارس المسعود) مديرا على وادي الشعير ثم عين مصطفى اغا البرقاوي سنة ١٢١٥ هـ

ب - وفي نفس السنة عين سليمان آغا الريان مديرا لنصف جماعين

(٦١) ومن اعضاء المجلس البلدي المنتخب سنة ١٩٢٥ السيدين توفيق احمد عرفات والحاج سعيد كمال .

(٦٢) مما يدور على الالسن : نابلس الهرمة مبيدة الظلمة ، ماؤها لا يغور وميتها لا يفتن

(٦٣) من الرواة الحاج محمد الحميد (برقة) .

(٦٤) كانت طواحين مائية وطواحين هوائية وطواحين بغال اذ لم يكن بواوير حتى عهد قريب .

(٦٥) ال الشخصير : في روايته انهم عباسيون وانما هذا الاسم لقب لصنعهم الشخصير وهو السروال الواسع

(٦٦) كان من اعضاء الاتحاد النسائي الست رية عقيلة السيد جمال القاسم.

(٦٧) من اعضاء المجلس البلدي ص ١٦٩ ج ٣ الحاج سعيد كمال والسيد توفيق احمد عرفات .

(٦٨) تابع حمايل ققيلية : منها حامولة جبارة (احجازي) وهي حامولة مستقلة كانت تتصل بحزب اليمين

(٦٩) ذبائح السامرين : - جاء في طبقات ابن سعد ان عمر عبد العزيز قال : (لا بأس بذبائح السامرين)

(٧٠) ان احمد بن بكر بن وائل الذي وفد على السلطان سليم العثماني كان شيخ جبل نابلس .

(٧١) تابع الردود : يدعي بعضهم انني انما اردت احياء بيوت الحكم لا بيتي والحقيقة ان هذه البيوت موجودة والله الشهيد اني لم ارد الا الرد على اللثام الذين تناولوا عليهم الى حد حرمانهم حقوقهم المشروعة مهما كان نبوغهم . ومع مقاطعتهم فان هذا التاريخ اصبح عالمي اذ تقرر في مؤتمرات التاريخ انه مرجع لا مثيل له من مراجع تاريخ الشرق الاوسط .

(٧٢) في مظاهرات سنة ١٩٣٢م قتل عزمي قرقرش وقد شيعت جنازته بمهرجان كبير في نابلس .

(٧٣) ومن الانس الجليل : قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن غانم بن احمد غانم المقدس النابلسي ولى قضاء نابلس مدة طويلة ثم ولى قضاء صفد ثم ولى خطابة القدس في شهر ربيع الآخر سنة ٨٠١ بمال بذله ثم سعى عليه القاضي جمال الدين عبد الله بن السائح قاضي الرملة بمائة الف درهم ولم يقيم بها غير ثلاثة اشهر وعزل بالباعوني توفي ابن غانم بدمشق ودفن بمقبرة الاشراف .

(٧٤) وانني اذكر بالشكر الجزيل فضيلة المرحوم الشيخ نسيب البطار لانه ساعدني مساعدة في الاطلاع على سجلات المحكمة الشرعية في القدس .

(٧٥) جاء في الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل : القاضي عماد الدين بن الشيخ تاج الدين بن عبد الوهاب بن الاخرم النابلسي احد خلفاء الحكم العزيز بالديار المصرية يومئذ وكانت مباشرته للقدس في ست وخمسين وثمانماية .

(٧٦) من الانس الجليل : الشيخ القدوة المحقق الملك غانم بن علي بن حسين الانصاري الخزرجي مولده في قرية بورين من عمل نابلس في ٥٦٢ ولاء الملك الناصر صلاح الدين يوسف المشيخة بالخانقاه الصلاحية المنسوبة بالقدس والنظر عليها . ورأيت توقيعه بذلك وعليه خط السلطان لما قرأته الحمد لله على نعمائه ، وقد زال تاريخه لطول الزمان وهو اول من رأسها وسكن من ذلك التاريخ وتناسل منه ذرية معروفون ومشهورون صحب الشيخ غانم مشايخ اهل زمانه واخذ منهم مكارم الاخلاق وحسن المآثر . توفي في دمشق في شهر رجب سنة ٦٣٢ .

(٧٧) من ظلم المماليك : واستمر الناس في الضرب والترسيم والمحنة وهتك الحرم شهر ربيع الآخر بكماله . وباع الناس امتعتهم وثيابهم بابخس الاثمان وبيع كل مثقال من الذهب الطيب بدون خمسين درهما ، وباقي الناس يأخذون الارث كل قطار بخمسة عشر ديناراً ويبيعونه بمائتي درهم وخمسين درهما فضة فكانت الخسارة اكثر من الثلاثين .

ملاحظة : - ومثل هذا مر كثيراً في الانس الجليل - (احسان النمر)

(٧٨) وفي الانس الجليل - قاضي القضاة علاء الدين ابو الحسن علي بن شمس الدين الهاشمي المالكي الكركي الاصل المشهور بابن المزاور ولى قضاء القدس سنة ٨٦٤ هـ وولى قضاء الكرك وغزة .

٧٩ جاء في الانس الجليل حوادث سنة ٨٧٣ هـ وفيها استقر القاضي كمال النابلسي الحنبلي قضاء الحنابلة بالقدس الشريف والرملة عوضاً عن القاضي شمس الدين العلمي .

٨٠ وفي الانس الجليل - الشيخ العالم العلامة زين الدين عبد السلام بن ابي بكر بن الرضى الكركي . ولد بمدينة الكرك ونشأ بها . وكان على مذهب الامام الشافعي . ثم قدس الى بيت المقدس في شهور سنة ست وسبعين وثمانمئة وانتقل الى مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان رضي عنه . وتفق على الشيخ ناصر الدين الشنتير وبرع في مذهب ابي حنيفة وأذن بالافتاء ودأب وحصل وتقن في العلوم وتصدر للافتاء والتدريس وكتب على الفتاوى كثير وانتفع الناس به واشتغل عليه الطلبة . وكان من اهل السكينة والوقار توفي يوم الجمعة ثامن عشر شهر رجب سنة ٨٩٧ هـ بالطاعون وحمل تابوته على الرؤوس ودفن بماملا .

٨١) جاء في الانس الجليل سنة ٨٧٦ هـ وفيها في أواخر السنة حضر الى القدس الشريف القاضي برهان الدين بن ثابت النابلسي وكيل السلطان وكان في ابتداء وكالته توجه للسلام عليه قضاء بيت المقدس وتوفي سنة ٨٨٢ هـ

٨٢) وجاء في الانس الجليل في حوادث سنة ٨٧٩ هـ وفيها من رابع شهر ذي الحجة استقر قاضي القضاة شمس الدين محمد بن يونس النابلسي الشافعي قاضي الرملة ونابلس في قضاء القدس عوضاً عن القاضي شهاب الدين بن عبيه، ووصل اليه علم بذلك وهو بالرملة في شهر ذي الحجة. وكانت وفاته بعد أن أدى فريضة الحاج سنة ٨٩٢ هـ .

ملاحظة - هو جد ال الشافعي اليونسيين بنابلس - احسان .

٨٣) وفي الانس الجليل من حوادث سنة ٨٨٠ هـ : وتوجه السلطان في ليلة الاربعاء الى الرملة وكان في زمن شتاء ووقع مطر كثير وهو بالمخيم على قبة الجاموس . وما اتفق ان انسانا من اللصوص دخل على السلطان وهو نائم بالخيمة في الليل وسرق بقعة قماش من عند رأسه . فاصبح السلطان وقبض على الشيخ حرب شيخ جبل نابلس بسبب ذلك وقصد قتله وغرمه مالا . وقدر ان اللص الذي دخل على السلطان قبض عليه وجهر الى السلطان ووقف بين يديه واعترف بدخوله عليه فأمر بسجنه بالمقشرة ولم يقتله

(ملاحظة - هو حرب الجبوسي جد ال الجبوسي) .

٨٤) ومن الانس الجليل في حوادث سنة ٨٨٥ هـ . وفيها استقر القاضي زين الدين عبد الباسط بن بدر الدين محمد الجعفري الحنبلي النابلسي في قضاء الحنابلة بالقدس الشريف وولد سيدنا الخليل عليه السلام وولي قضاء القدس والرملة ونابلس بعد شعوره عن اخيه القاضي كمال الدين .



صوره الست مريم هاشم مؤسسة النهضة النسائية بنابلس

٨٥) وفي الانس الجليل - قاضي القضاة بدر الدين ابو محمد بن قاضي القضاة شرف الدين ابي حاتم عبد القادر بن شيخ الاسلام شمس الدين ابي عبد الله محمد الجعفري النابلسي الحنبلي . ولد في سنة احدى وتسعين وسبعمائة بنابلس ونشأ على طريقة حسنة . وهو من بيت علم ورئاسة وسمع من جده وابن العلاني وجماعة واشتغل بالعلم ودأب وحصل . وباشر القضاء بنابلس نيابة ثم وليها استقلالاً بعد الاربعين والثمانمائة . ثم اضيف اليه قضاء القدس الشريف بعد عزل القاضي العلمي قبل الخمسين والثمانماية ، ثم عزل من القدس واستمر بنابلس . ثم باشر القدس مرتين عوضاً عن القاضي شمس الدين العلمي في شهور سنة ٧٦٤ ، والثانية سنة ٨٦٦ وكل مرة يقيم مدة يسيرة ثم يعاد الى قضاء نابلس.

وولي الرملة ثم نيابة الحكم في الديار المصرية. وكان حسن السيرة عفيفا في مباشرة القضاء مهيبا عند الناس وكان حسن الشكل منور الشيبة عليه الابية والوقار . ونورانية العلم والتقوى ، وعمر ورزق الاولاد والحق الاحفاد بالاجداد ومتع بدنياه الى ان توفي في يوم السادس عشر من رمضان سنة ٨٨١ وله نحو تسعين سنة .

(٨٦) وجاء في الانس الجليل . وكان له عدة اولاد امثلهم : قاضي القضاة كمال الدين ابو الفضل محمد . ولد سنة نيف وثلاثين وثمانمائة ، دأب وحصل وسافر الى البلاد واشتغل بالعلم واخذ عن المشايخ وفضل وبرع في المذهب . وأذن له الشيخ علاء الدين المرداوي عالم الحنابلة في وقته ومصحح مذهب الامام احمد ومنقحه بالافتاء والتدريس في سنة احدى وخمسين وثمانمائة، ثم أذن له الشيخ تقي قندس ، فتميز وصار من اعيان الحنابلة . وافق ونظر ، وعنده معرفة بطرق الاحكام وبأشهر القضاء نيابة عن والده بنابلس ، ثم نيابة الحكم بالديار المصرية عن قاضي القضاة الكناني ثم ولي قضاء القدس والرملة في جمادى الاولى سنة ٨٧٣ عوضاً عن القاضي شمس الدين العلمي - المتقدم ذكره - ثم اضيف اليه بعد وفاته قضاء الرملة ثم قضاء نابلس وعزل عن القضاء سنة ٨٧٨ هـ واستمر سنة كاملة سنة ٨٧٩ ثم عزل في جمادى الآخرة سنة ٨٨٢ وتوجه الى دمشق فاقام بها نحو ثلاث سنين ، ثم توجه الى ثغر دمياط بأمر به نيابة الحكم ، ثم سافر من دمياط وانقطع خبره ولم يعرف مقره . ثم ورد الى القاهرة خبر وفاته بمدينة الاسكندرية في شهر سنة ٨٨٩ هـ ولم تعلم حقيقة الحال في وفاته .

(٨٧) وجاء في الانس الجليل من حوادث سنة ٨٩٢ هـ . ثم في يوم الخميس السادس عشر من شعبان توجه (اي جان بلاط) وصحبة ملك الامراء بغزة وشيخ الاسلام الكمالى والناظر والنائب والقضاة الى ظاهر القدس الشريف وجلسوا على تل الغول لايقاع الصلح بين نائب القدس السيفى خضر بك وبين خليل بن اسماعيل شيخ جبل نابلس بسبب ما وقع بينهما من التنافر فحصل الصلح بينهما وكتب الجواب للسلطان بذلك .

(٨٨) وجاء في الانس الجليل في حوادث سنة ٨٩٣ هـ : توجه الامير اقبيري الداودار الكبير من القدس الى جهة نابلس لتجهيز الرجال للتجريدة لقتال بايزيد خان ابن عثمان

(ب) وتوجه الداودار الكبير والقاضي كاتب السر لجهة نابلس وجهز الرجال في جهة نابلس .

(٨٩) من الانس الجليل : ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثمانمائة . فيها حضر الامير البردي الداودار الكبير الى جبل نابلس في شهر المحرم بسبب القبض على بني اسماعيل مشايخ جبل نابلس لما حصل منهم التقصير في المهم الشريف ببلاد الروم. وبرز الامر لنائب القدس دقماق باسترجاع مال التجريد ممن كان دفع اليه من الرجال لما نسب اليهم من التقصير وعودهم من بلاد الروم بغير اذن. فاحضر دقماق كل من اخذ شيئاً واسترجعه منه بالضرب والحبس وافحش في الامور. ومن الناس من تسحب فقبض على من يكون منسوباً اليه من اقاربه واصحابه وجيرانه وشرع يضرب الناس بالمقارع ويضعهم في الحبس وفعل فعلاً لم يسمع بمثله في زمن الجاهلية حتى ان بعضهم باع ابنته كما يباع الرقيق وتفاش الامر وبقي الناس في شدة شديدة ومحنة لم تعهد بالارض المقدسة قبل ذلك . فسبحان من يتصرف في عبادته بما يشاء وتوجه الداودار الكبير في اوائل جمادى الاولى الى محل وطنه بالديار المصرية .

(٩٠) مثل من ظلم المماليك : من الانس الجليل : الامير شاهين المشهور بالذباح نائب السلطنة بالقدس الشريف - كان اميراً معتبراً شجاعاً . وسبب تسميته بالذباح : انه امسك جماعة من العرب وذبحهم عند باب النيابة بالقدس فجرى الدم الى مسافة بعيدة لكثرة المذبوحين .



صورة نموذج من نقوش قصر المشتى في بركة عمان

(٩١) من الانس الجليل - قاضي القضاة عماد الدين ابو عيسى احمد بن القاضي شرف الدين عيسى بن موسى العامري الازرق الكركي الشافعي . ولد بالكرك في شعبان سنة اثنتين واربعين وسبعمائة واشتغل بها وحفظ المناهج . قرأ على والده وغيره وكان ابوه من تلاميذ الشيخ تقي الدين السعلي ومات في ثلاث وستين وسبعمائة ورحل الى الشام والقاهرة في طلب الحديث واخذ عن جماعة ، وولى قضاء الكرك بعد والده وعظم قدره وصحب الملك الظاهر برفوق حين سجن بالكرك ، فلما عاد الى السلطنة ولاه قضاء الديار المصرية عوضاً عن بدر الدين ابن أبي البقاء فباشر بصرامه وانفاذ للحق وحكم بالعدل .

ثم صرف عن القضاء في ثامن المحرم سنة خمس وتسعين وسبعمائة ، ثم استقر في الصلاحية وخطابة المسجد الاقصى وامامته في سابع عشر رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة وتوفي في صبيحة يوم الجمعة سادس عشر ربيع الاول سنة احدى وثمانمائة ودفن بمأماً عند الشيخ ابي بكر الموصلي رحمه الله .

الفتح الصلاحي النابلس

(٩٢) وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين على سمت نابلس ووصل الى سبسطية فتسلمها . ووجد مشهد زكريا قد اتخذه القسس كنيسة فاعادوه مشهداً كما كان . ثم قصد نابلس ونازلها وحاصرها ولم يزل مقيماً عليها حتى استأنوه

ووثقوا بأمانه ثم سلموها وخلصت له نابلس واعمالها وكان معظم اهلها وجميع سكانها ونواحيها مسلمين وكانوا في شدة عزيمة من الافرنج

(٩٣) ولما خرج سيف الدين على بن احمد المعروف بالمشطوب من الاسر قرر على نفسه خمسين الف دينار فأدى منها ثلاثين الفا واعطى رهائن على عشرين الفا . ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر ، فقام اليه واعتنقه وتلقاه واقطعه نابلس واعمالها وعاش إلى آخر شوال من هذه السنة ، وتوفي رحمه الله فعين السلطان ثلث نابلس واعمالها لعمارة البيت المقدس وعمارة سورته وبقى باقيها لولده .



صوره من آثار سبسطية

(٩٤) كان من الرواة السيد محمد صالح سويسه .

(٩٥) كان من الضباط في العهد الحميدي عبد الوهاب حامد العوده من كفر ثلث شهد الحرب الروسية العثمانية الا هذه جاء في اداب اللغة لزيدان

(٩٦) بني جامع كفر ثلث في هذا القرن

(٩٧) شهاب الدين العنایاتي النابلسي ، اصله من نابلس وقد انتقل الى القدس وحلب والحجاز وغيرها الى ان استقر في دمشق يعلم في المدرسة الباذرائية حتى مات سنة ١٠١٤ .

له :

١ - مجموعة شعر في المتحف البريطاني.

٢ - الدرر المضیة في الاخلاق المرضیة في الادب .

(٩٨) سقف الحیط : هم من جبر الجبرین الحویطي - نسبة للحویطات

(٩٩) كفالتی الصلح فی العطوة ، وجه (كفیل) الوفاء علی المطرود . وجه (كفیل) الوفاء علی الطارد لئلا یعتدوا بعد الصلح علی عشیرة الجاني . وهذا متفق علیه قبل البحث فی شروط العطوة

أ (بروز شخصيات في نابلس ابان الحرب العالمية الأولى برزت شخصية الحاج سعيد عبد المجيد فصار بيته ملفي القواد والمتصرفين.

ب) وكذا الاخوان حافظ آغا طوقان وعبد الفتاح آغا طوقان فقد نزل عليهما الامير شقيب ارسلان ووجوه المتطوعين معه ولما زرت الامير حسن ارسلان في حي الامارة في الشويقات سنة ١٩٢٨ قال (ان الطالب اذ ذاك خليل آغا طوقان بالنيابة عن ابيه رد لبيتي زيارة اخي الامير شقيب ارسلان) . وكذا من الذين برزوا الحاج محمود النابلسي واولاده



صورة آثار الازرق في بركة شرق الاردن



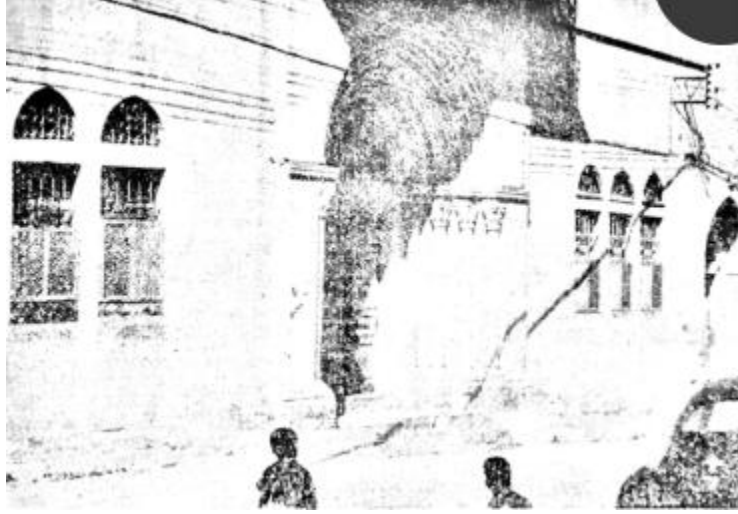
صورة الاستاذة امينة عقلاان ام الاستاذ نظام المدني من اقدم المشتغلات بتعليم الاطفال

(١٠٠) عادة الدواوين : نمت عائلات شعبية وتفرقت في انحاء البلد فأوا ايجاد مكان يجمعهم ففتحت دواوين لعائلات الاغبر ومقبول والشخشير ويعيش

(١٠١) القسم الشمالي من داري الاغا النمر الكبيرة والصغيرة - اخيرا وقعت بيدي حجج استبدال من قاسم بك الشافعي من وقف جدته الست فخري بنت المرحوم صالح بك يونس وليست بطريق الارث كما ذكرت في الجزئين الاول والثاني من هذا الكتاب .

(١٠٢) الدفا للطارد - والوفا للمطروود .

(١٠٣) وثمت خرائب في كفر ثلث وحولها كما ان شيخها احمد موسى



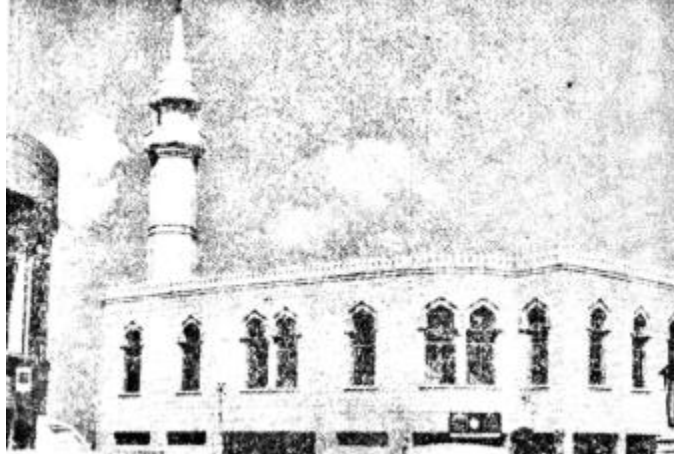
صورة دار الحاج محمود النابلسي بنابلس

وقف بوجه ال القاسم .

(١٠٤) وكانوا يقولون عن الدراجة (البسكوليت) عفريته واول من اقتناها شبان آل عبده (الغزاوي)

(١٠٥) اسماء الوجهاء المذكورون في الصحيفة ٢٢١ من الجزء الثالث هم الصف الأول من اليمين الى اليسار السادة ماجد القطب ، احمد الشكعة مصطفى البشناق سعيد كمال ، احسان الجابري، توفيق حماد اسعاف النشاشيبي قاسم آغا النمر ، سعد الله الجابري اسعد داغر عبد اللطيف صلاح عبد الرحيم النابلسي عبد الرحيم التميمي .

اما الواقفون خلفهم فهم من اليمين الى اليسار السادة عزة الطاهر فريد العنبتاوي حكمت المصري واصف كمال .



صورة جامع جنين

(١٠٦) الصورة في ص ٢٧٢ من الجزء الثالث ، ، جرن مع العصافير النحاسية والقطعة (الشمعة الرخامية في شادروان
(بركة دار الآغا النمر) .

١٠٧ اغاني الختان

عبر الختان يا ميمتي خبيني وافتحي الصندوق يا عمتي لبسيني

عبر الختان بعدته وامواسه حلف الختان ما يخرج الا بشاشة

عبر الختان بعدته الشلبيه حلف الختان ما يخرج الابميته¹⁸⁸

عبر الختان بعدتو والشمعة حلف الختان ما يخرج الانخلعة

(١٠٨) حمام العروس

يا بيك خلاك حمام وارخالك عالجرن اترية

يا بيك نفق من جيبه مية اربال دقة مصرية

عريسك في الحمام بقلع ولبس

مورد على العين بسقي خيوله

من علقت الخيل علق تلاته

خلي عليق الخيل عالخيول واجد

¹⁸⁸ اي بمئة قرش .

زفة العروس :

فلانه يا ام اليهودج فلانه يللي سبيته الخياله

خلى بينك عزك يا فلانه وخلى الاخوة عزك

خلى خوالك يا فلانه عزك خلى اعمامك يا فلانه عزك

خلى زوجك يا فلانه عزك نقطك ليلة عرسك

تقال لبنات الامراء :

اتحدري وقومي معنا يا بنت شيخنا وسيدنا

يا بنت امير العرب يا عاقلة وكاملة المعنى

واتحدري بالزنزاري يا حلوه شرحتي بالي

واجهاز الاكابر غالي والاشاير باربعمية

قومي اطلعي له عالصالو شوفي عريسك شو مالو

ضيع ماله وراس ماله كله عشانك شلبيه

جلوة العروس :

آي بسم الله آي بسم الله آه يا عروسه يا ام الشماسي المفقوسه

آه يا شلبيه يا ام العيون العسلية آه يا غندوره يا ام الشامات المبدورة

اني بجليكن يا ليت العين ما اتاذيكن اني بقلك يا الله يحرسك لعريسك وامك

(١٠٩) الاستاذ خيرى حسني حماد احد نوابغ نابلس تخرج من الجامعة الاميركية في بيروت واكمل حياته خارج نابلس
يترجم ويؤلف فانتج عدداً ضخماً من الكتب ويؤسفي انني لم اتمكن من الحصول على اسماء هذه الكتب وقد توفي منذ
عهد قريب .

(١١٠) من الشباب الوطنى الذين كانوا يحضرون الجلسات السرية في نابلس في اول الثلاثينيات هم السادة : عبد الحليم
عرموش واكرم زعيتر . وسعد الدين سعد الدين وامين حنون

الفصل (1) الثاني

عن الحمائل (٢)

حمائل كفر قدوم

¹⁸⁹ حامولة الشتيوان : هم التميميون الذي يستحقون في وقف تميم الداري رضي الله عنه وقد اضطرتهم الظروف المذكورة في الجزء الاول الى التفرق ففريق نزلوا انا بلس فعرفوا بالقدومي وظلمته والجدو ابي العدس والعسلية ونزل فريق في قرية رفيديا باسم ابي السعود ونزل الى ابراهيم والدعاس والقاضي في بيت امرين وقد عاد فريق من الدعاس الى كفر قدوم . وبقي منهم في كفر قدوم سلمان و خليفه و شهوان ونزل فريق في اكسال باسم الوجيه .

¹⁹⁰ حامولة قمير : وهم ابناء عم النصيرات والنصرات ويقال ان اصلهم انصار ويقسمون الى دار ¹⁹¹ اعبيد ودار جمعه و دار آخريان و دار برهم و دار عامر ودار على ولم ينتقل منهم الا فرع عبيد الذين اشتهروا بال صوفان بيت العلم والقدومي في جينصافوت وكانوا من ابرزهم من العهد الحميدي في شيخهم وسعد الاحمر الذي كان يظاهر الجمعية الحمادية .

حمائل طمون

(1) البشارات : وهم يقسمون الى : الصبوح ، والبشارات .

(٢) ودار عوده : ينقسمون الى مطور ، وشحادات ، وبني ديب ، وقطيشات وبنو عودة .

حمائل قريوت

(١) معمر : ويقسمون الى ، دار عازم ، ودار موسى والمرادة ، ودار ابي نجم وكساب ، وعيسى ، وحسن ، و خليل ، واسماعيل . (٢) الابوم ويقسمون الى دار حامد ودار محمود ، ودار حمدان ، ودار ابن مرة . ٣ - ال سعادة الحاج محمد وكانت لجدهم المشيخة بعد ابيه وقد صاهره حسن آغا النمر بأن تزوج ابنته

حمائل عزون

(١) عدوان : وتقسم الى ، شبيطه ، والحواري وسليمان

(٢) رضوان : وتقسم الى ، خليف وحسين .

(٣) اسليم ليس لها فروع .

(٤) سويدان . كذلك .

¹⁸⁹ هذه معلومات كنت احصل عليها بالصدفة بسؤال بعض الافراد من القرى نشرأ مع الملحق كما بلغتنني وسرت في ترتيب القرى بالصدفة كذلك فلا عتب .

¹⁹⁰ هذا اصطلاح في بلادنا بدلا من العشائر .

¹⁹¹ دار في اصطلاح بلادنا تقوم مقام ال .

عيال جوريش

(١) دار منصور (٢) دار خالد ، دار عواد (٣) واللطائف (٤) احمد جاموس والبارز فيهم حاملوة كنعان الحاج محمد وفيهم المخترة

حمائل بروقين

بروقين في قضاء جماعين تسكنها الحمائل الآتية :

(١) دار خاطر (٢) دار البركات وتتفرع من بركات المحامدة والكراكشة

(٣) دار صبرة وعامر وعبد الله وسلامه وبكر والخطيب

حمائل بورين

كانوا في الاصل (١) عسوس وقادوس (٢) وخليفه (٣) ومنصور واصبحوا اليوم : (١) الحصان ويعرفون بدار عمران ، ومنهم فرع في معان (٢) والعيال وكانوا يعرفون بعسوس وهم اقدم حمائل بورين . وتفرع من عسوس سكان كفر اللبد ومنهم فرع في شرق الاردن.

(٣) ودار زين واصلمهم خليفة ٤ (ودار عبيد (٥) ودار النجار نسبة لحرفة جدهم .

حمائل عورته

القيس - عواد والدرأوشه والعبدات وابو القواريق .

اليمن الشراربه وهم قدماء وقد نزلت عليهم حامولتي عواد والدرأوشه جاء جدهم خليل من ضبعة في شرق الاردن

حمائل عصيرة الشمالية

في الحارة الغربية : الصوالحة ، واليساينة والشولة والحماندة والجرارعة وغلّس وحمدان البرهم .

في الحارة الشرقية : الجوابرة والسوالمه والرحمان ، الرواجبة والبياروة دار اسماعيل الحمد .

حمائل سيريس

خليل ، قطيط ، زيد وعواد وسمارة والفقها ومحمود نجم .

حمائل جبع

علاونة ويتفرع منهم : غنام ، فشفوشة ، عليواني .

الحمامرة ويتفرع منهم : الخليلية ، وضياعي ، وجرار ، وحمور وملايشة .

حمايل الفندقومية

القرارية ، عزام ، رباع .

حمايل ظلوزة

١ (الحشائكة ويتفرعون الى ١) عطاظه (٢) عوايضة (٣) براهمة ٤ (دراوشة ٥) بلاطية .

٢ (الحناجرة ٣) شنبلة ٤ (دبابسة ٥) صلاحات .

حمايل بيت ايبا

١ (دار اسماعيل (الحارة الوسطى) : يتفرعون الى دار حسن العلي

٢ (السماعنة (الحارة الشمالية) : ويقسمون إلى دار حمدان ، ودار عقل ودار سالم ودار الصوص ودار صالح الحسن ولهم اقارب في جهات متعددة في بيت طيحا (غزه) وفي بيت نتيف ، والسوافير

(٣) دار اشتيوي (الشرقية) .

٤ (حمايل الحارة الفوقه وهم : دار دبوس ، ودار خليل ودار الثلث

حمايل الفندق

(١) دار سمحان

٢ (دار عباس وهم يتفرعون من الحواترة في سلفيت ويدعون ان اصلهم من الخليل .

حمايل جالود

١ (دار عباد (٢) دار مطير (٣) دار ناصر المنصور (الحاج محمد) ٤ (دار احمدود

حمايل الناقورة

١ (دار عبدالله (٢) دار ابو خليل (٣) دار ابو عيده ٤ (دار محمود واصلهم من برقة

حمايل طوباس

١ (الضراغمة ويتفرعون الى ضبابات و عبد الرازق وقواورة والمحاسنة العنابسة ومطاوعة، والحاج اعمر وحمودات وعويضات ، العواسرة ، الحج المساعيد (٢) صوافته ويتفرعون الى : خضيرات وموارسة ، ودار ابي خضر ودبابرة

٣) الفقهاء - ويتفرعون الى : خضور ، عيسى ، وز عيبة ، وخضر ،

حمايل قصره

1) دار ابي ريده (٢) دار حسن (٣) دار عوده (٤) فرع من كنعان الحاج محمد .

حمايل عوريف

1) دار شحادة (٢) دار ابو الصباح (٣) دار الصفدي (٤) دار الملاح (٥) دار ابو عوده (٦) دار ابو رباح (٧) دار ابو هرفين (٨) دار المعالمة .

حمايل قوصين

1) اليدك (٢) وعبد ربه (٣) وسلمان (٤) والراميني .

حمايل بلاطه

1) اسعيد الحايك منهم الجيعان (٢) الشيخ موسى (٣) سلمان (٤) سليمان (٥) الاسمر (٦) دار عبدالله (٧) دار عيسى (منهم اسعيد) .

حمايل بيت فوريك

1) الحننة ، احمد الحاج محمد ، المليطات ، النصاصرة ، الخطاطبة

حمايل بيت دجن

١ - ابو جيش ٢ - وعبد الجليل الحاج محمد ٣ - ابو ثابت ٤ - العيسى ٥ - الحنيني ٦ وحامد ٧ - ابو حلوان ٨ - ابو حنيش ٩ - ابو سعادة
١٠ - ابو غنيم ١١ - قاسم الاحمد .

حمايل مردا

1) الخفش (٢) بداح (٣) سليمان .

حمايل كفر حارث

(١) دار ابو يعقوب (٢) دار صالح ٣ - البوذيه

حمايل زواته

1) دار موسى (٢) دار عليوي (٣) الزواتية (٤) دار عدوان (٥) دار الوراق ٦ ، دار ابي جودة (٧) دار العر .

حمايل عسكر

١) دار محمود العثمان ٢) دار ابي عيشه ٣) دار يونس ٤) دار ميالة ٥) ودار عاشور ٦) ودار نصار ٧) دار الشح ٨) دار ابو خضر .

ملاحظة - وجميعهم من قبيلة الدويكات المار ذكرهم في الجزء الاول

حمايل سالم

١- دار ابو ارشيد (اصل البلد)
٢ - دار اشنية . ٣ - العيسة . : - الجبور

حمايل صانور

١ - جرار ٢ - العيسة ٣ - حبايه (ولد علي)

حمايل ميثلون

١ - ربابعة ٢ - يوسف الحمد ٣ - فتول ٤ - عبد الغفور ٥ - سليم ٦ - جرار ٨ - نعييرات ٨ - مصلح ٩ - فرح ١٠ مقيل ١١ - الوشيخة ١٢) ابو السكن ١٣ (ذياب ١٤) زين ١٥) ابو شمله ١٦ (الحاج صالح ١٧) طافش.

حمايل بيت وزن

١) دار خليل وتنفرع الى (ابو) عيشه ، والحجرج ، وطه وزيدان .
٢) دار عبد الحق وفروعهم : دار علي ، ودار الدبس ، ودار حمد .

حمايل حجة

١) بصلات ٢، دعاس ٣ ، خليفة ٤ ، ربطة

حمايل ديرستيه

١) دار زيدان - جعبرية من الخليل ، ٢ ، الحبول (ابو حجلة ٣) دار القاضي ٤ (العويم ٥) دار ابي سليمان ٦) دار ابي ناصر ٧ (الخطيب ٨) عقل ٩ (الخفش .

حمايل قبلان

١ (الاقرع ٢ ، الازعر ٣ ، والعمله .

حمايل صانور

١ (جرار ٢) العيسه ٣ (الحبايه ٤) ولد علي ٥ (ابو علي .

حمايل حواره

١ (دار عوده ٢) الخموس ٣ (ابو حميده .

حمايل الساويه

١ ، دار احمد (ابو راس) ٢ (المحامدة ٣) ابو قفه ٤ (دار صالح وتفرع منهم دار ابو دولة ٥ (كفيينا ٦ (الطبل
٧) الديك

٨ (الخطيب وتفرع منهم دار عثمان ٩) ابو جازي .

حمايل سفارين

١ (دار محمد الاعمر ٢) دار الحاج صالح ٣ (دار اسعيد ٤) دار نوفل.

حمايل رفيديا

النصارى ١ (الدواني ٢) خضر ويتفرع منها : الحنا ، البرهم ، البغل ، ٣ (كوع ٤) الخوري ٥ (سعادة (القاق)
٦ (فردة ٧) هريمات ٨ (ذيب .

المسلمون : ابو السعود ، ابو علي « حسونه » .

حمايل كفر قليل

١ (عامر : وتتفرع الى عيلة صالح وعيلة احمد ، وعيلة حمد ، (وعامر اصلهم من كفر بيل جبل عجلون)

٢ (منصور : ويفرعون الى : عيلة ابو غنيم ، وعيلة دار حماد واصلهم من مناصر عباد « القط » وهم ابناء عم
منصور بورين

٣ (دار الدياب (وهم اصل كفر قليل غلبهم دار عامر وقد رحل قسم منهم الى الجديدة)

حمايل كفر الديك

١ (دار الديك ٢) دار علي احمد ٣ (دار ناجي

حمايل تل

١ (رمضان (ومنها الصيفي ٢) اشتيه ٣) ابو عصيدة ٤) احمد

حمايل جماعين

(١) عوض (٢) مدينة (٣) الحاج علي (٤) دار ابي عمر (٥) الزيتاوي

حمايل دير الغصون

١ الصورة ٢ - الخلايلة (٣) غانم

حمايل صرة

(١) ابو ترابه (٢) دار عبدالله (٣) دار ابي حسين (٤) دار غانم .

حمايل يعبد

(١) دار الطاهر (٢) دار زيد (٣) ابو شمله (٤) ابو بكر (٥) البدارنه (٦) العطاطرة (٧) العمارنة (٨) احمد الجابر (٩) السلمي (١٠) الحمارشة (الفوارس)

ملاحظة : يقال ان اصل هذه الحمايل العمارنة والبيكارنة اي عمر و وابو بكر .

حمايل سالم

(١) اشتية وفروعها : ابو مسلم وابو حمدان ، وجبر (٢) العيسة وفروعها : الجبور والعيسة . (٣) ابو رشيد وهم اصل البلد .

حمايل اليامون

(١) اصله من سمنلود بمصر (٢) الشرقية من فريحات عجلون (٣) ابو عبيد من عرابة (٤) الحوشية (٥) الخماسية (من الحصن)

حمايل روجيب

(١) رواجبه (اصل البلد) (٢) الحلبيه (دويكات) وقد تفرعوا الى دار يوسف ، دار الحلبي وابو عيشه ، وحامد الاسمر

حمايل عتيل

(١) دار ابو ناصر (٢) دار ابو حجة (٣) دار ابو خليل .

حمايل بيت امرين

(١) حسون - تفرع منهم ، دار ابي شهاب والغبون والطوف (وهم الاصل) ودار سعيد اليوسف . (٢) سماره الحاج محمد - (اصلهم احفاد من برقة) (٣) الفقهي (٤) عبده

حمايل دير الحطب

١ - دار حسن ٢ - دار عوده

حمايل يتمه

١ - دار النجارة ابو خضر ٢ (دار ابو صنوبر .

حمايل قباطيه

١ - ابو الرب - اصحاب نسب علوي شريف - وهم منتشرون في : قباطية ومسلية وجلبوقة واربد والزرقاء

٢ - نزال ويتفرع منهم - الخزيمية ، حناشي سباعنة

٣- الزكارنة ٤ (قميل .

حمايل مجدل بني فاضل

١ - دار عثمان ٢ - زين الدين .

حمايل تلفيت

١ - دار مسلم (وهم الاقدم) ٢ (دار شاهين ٣) دار عواد ٤ (دار عجالات ٥ (دار منصور (الحاج محمد)

حمايل بيته

١) بنو شمسه و قيل اصلهم من كنانه في الحجاز وقيل من شمر ، وهم يتفرعون الى عديلي " الشيوخ ، ورماني وداود وبلوط .

٢) يمك ٣) ودويكات ٤ (والشرفا وهم اصحاب نسب ، راجع الجزء الثاني من تاريخ جبل نابلس والبلقاء .

حمايل دير شرف

١ - نوفل ٢ (وفقها (مسعود) ٣ (وعنترى

حمايل دومه

١ - السلوده - نسبة لسلواد ويتفرعون الى : نعمان وعليان ومالك

٢ - الدوابشة المزراعوية - اصلهم من بني نعيم (عشيرة المناصرة يتفرعون) الى نصر وفراج ومصطفى واحمود .

حمايل اللبن

١ - عوايسه ٢ - ضراغمة .

حمايل كفر اللبد

١ - دار رجب ٢ - الثلثين ٣ - الفقهاء .

حمايل اودلة

١ - دار يوسف ٢ - دار جبر .

حمايل كفر سابا

١ - الولول ٢ - هلال ٣ - الهرياسي ٤ - جميل .

حمايل السيله الحارثيه

١ - دار زيد ٢ - الجرادات ٣ - الشواهنة ٤ - الطحانية .

حمايل سبسطية

١ كاید ٢ - الحاج ٣ - غزال ٤ - الشولة ٥ - الحواري ٦ - الطوابنة

حمايل عصيرة القبليّة

1 - العصايرة وهم اصل البلد ٢ - خليفه (اصلهم من بورين) .

حمايل المغير

١ - ابو عليّة ٢ - النعسان ٣ - الحاج محمد .

حمايل دير الحطب

١ - دار احمد الحسين (اصلهم من روجيب) ٢ - دار زامل ٣ - دار يوسف العمران ٤ - دار عوده (اصلهم من البيرة)

حمايل بلعة

١ - دار شحرور ٢ - ابن حمدان ٣ - دار محمود ٤ - جياتوة .

حمايل رمانة

١ - مصطفى الاحمد ٢ - الصبيحات ٣ - العمور .

حمايل الزاوية

١ - المجزوبية ٢ - خضر وكلاهما من ابي الوفا الحسن العلوي

حمايل عنزة

١ - البراهمة ٢ - صدقه ٣ - عبيد ٤ - اعمور ٥ - عطايا ٦ - خلف ٧ - خضر .

حمايل مادما

١ - نصار ويتفرع منها : صالح ومحمود وشحاده .

٢ - زياده ويتفرع الى القاضي والخطيب .

٣ - القط وتتفرع الى حمد وحسين .

حمايل عمورية

(1) الحكواتي (٢) وعبد الله

حمايل كفر راعي

(1) دار حسين ويتفرع منهم : ملحم ، وذياب وجوابره والاطرش والصوالحه (٢) حرز الله ويتفرع منهم ، شيخ ابراهيم ، واصببح ويحي ويعاقبه و مرشد

حمايل حجه

(١) بطه (٢) عباس (٣) احمد ابو كحيل (٤) حمد جاسر (5) نوفل (٦) علي ببيدس والسعيد (٧) مصالحه (٨) الربع

حمايل مجدل الصادق

(١) حميدان (٢) ريان (٣) ضميره (٤) ابو امير (٥) اعليان (٦) السلع (٧) العايد .

حمايل عظموط

(١) علاونه (٢) صوالحه (٣) حوامدة

حمايل اجنسية

1 (دار الشايب (٢) دار برهم (٣) ابو ربيعه (٤) الحفاة .

عائلات ابو الكلبات (نابلس)

لقب ابو الكلبات والاصل الغنيت من آل الننتشه في الخليل من الاكراد الصلاحية . طوردوا بدم فنزلوا على آل النمر وكان جدهم يطلع الاسنان بالكلية فلقبوه بابي الكلبات .

العكيك بنابلس

اصلهم عرموش

آل ابي الرب

علويون وهم منتشرون في قباطيه ومسلية وجليبونه واربد والزرقا ويقال ان جدهم اصله من مرداجاء الى قباطية وحرك الرب الساخن بيده فلقب به.

الجبارات

نسبة الجابر بن عبدالله الانصاري .

حمائل كفر ثلث

مهنا ، دار عودة ، الشواهنة ، البشايرية (الاعرج) .

حمائل ام الفحم

يقال انهم نسل اربعة اخوة وهم (١) محمود - وتعرف ذريته بالمحاميد وانهم ابناء عم المحاميد شيوخ حوران ويتفرعون الى : كيوان، خضر ، حماد، عواد.

(٢) اغبير وتعرف ذريته بالغبارية ويتفرعون الى : بشير (موسى) وخليفه وابو سعاده (قحاش) وفرع في نابلس يعرفون بالاغبر (ولديهم رواية ان جدهم كان اميراً كبيراً وهي رواية تفتقر الى اثبات .

(٣) جبرين وتعرف ذريته بالجبارين ويتفرعون الى : صوالحه (او دار صالح)

وينسه (او دار يونس)) وحسينه وجوابره .

٤_ ومحجن وتعرف ذريته بالمحاجنه ويتفرعون الى : طاميش وبدير ، وابي غزاله وابو رعد وشويخات .

دار خضر (خمخوم) في نابلس

جدهم خضر بن بدر ابو هاشم المنتمي الى عماد¹⁹² الدين .

دار صايمه بنابلس

نسبة الى صايمه بنت خلف البحر وامها لطيفة بنت محمد العبوة .

ملاحظة : ومن البحر سلمان (الصابر) وشلخ .

¹⁹² المحكمة الشرعية بنابلس .

حامولتي عاشور في نابلس

حامولة عاشور الغربية اصحاب الدور اصلهم من الفقها في قرية سنجل . والحامولة الشرقية وهم اصحاب الكروم فانهم يعرفون بابي طاحون واصلهم من حوران

الصملة

اصلهم من قبيلة الصمليات في الحجاز : ومنهم آل البطة في حجة وجبارة وآل الحجاوي في نابلس .

عوادة

من عرفات حمودة وليسوا من عرفات الشاهد .

اللحام بنابلس

ودرويش الحجي من اصل واحد لم اعرفه .

بنو شمسة

اصلهم كنانيين من الحجاز وليسوا من شمر ينزلون في بيته من مشاريق نابلس .

مسمار في نابلس

في رواية انهم من بني عطية لهم اقارب في السلط واخرون كانوا في بيسان قبل الحوادث يسمون بآل تكرروري ، وفرع في الكرك ينضمون الى المجالي .

عيال بدر القباني في نابلس

الكخن ، الخاروف¹⁹³ (اللبنيّة) ، الهدهد ، الحنفية (الشيخ ياسين ، الحاوي) السخل ، الزبيدي ، النحلة ، مصع ، عناب

عنتر

اصلهم من زعتر ، وعنتر اخرى (ششتري) (اصهار القواس) .

¹⁹³ ويوجد خاروف آخر اقارب دار الخياط جوار حوش الشيطان يلقيون بزق .

فروع حنون الاخرمي

الباشا ، الجلبوش ، النجار ، الحلو ، ابو سماحة (طولكرم) ابو اشريفه وزعرين ومنهم في حوران باسم النصر والاقطيشات .

زكريا

نسبة لقرية زكريا في جبل الخليل ، وتوجد عائلته بهذا الاسم في العريش يقال انهم من مصر ويعرفون هناك بالزكاكرة

حمائل طر مسعيه

١ - الحمائل وتنتفع الى شلبي ، والفرق ، والحزمة ، وجبارة .

٢ - ابو عواد ويتفرعون الى : اسعيد ، سليمان و ابن سلمان و حميدان و علقم ، واغنيم وحجار ومحمد عواد .

الاسطه

الاسطه لقب تركي اخذ من الفارسية استعمل للصانع الماهر - وكان يلقب به المتطبيب وقد لقبت به عائلتان في نابلس وجد اسطه القريون الاسطه محمد بن بدر الجراح¹⁹⁴ باشى اي رئيس الجراحين والاسطه الثاني في حي العقبة وبنفس السبب .

البطون

ويقسمون الى ابي غوش في جبل القدس وبطايئة في البارحة (من قضاء اربد) وفي سيوف البلقاء وال مصطفى الاحمد في رمانة ويعبد (قضاء جينين) وال الحوت في الصالحية (دمشق) وببيروت واللالا في البقاع وفرع في مادبة واختلف في اصلهم فالبعض يقول اصلهم شركس والآخر يقول جدهم عبدالله عرمان من جبل الدروز .

واشهرهم في بلادنا ابو غوش وهم رأس صف اليمين ويقسمون الى :

١- عثمان ٢ - واقطيش -- وجبر ٤ - ابراهيم .

وكانوا يتعهدون بحراسة الطريق بين يافا والقدس وكان معهم في صفهم الحمائل: البيتوني ، والكسواني والخواجه والبيره وعشيرة الترايبية ، والمعالقه (نصف اسدود) .

وكانوا ضد العزه واللحام (وهم قيس في الجنوب) واحيانا يشتبكون ضد جموع الساحل بقيادة ابي كشك.

194 سجل المحكمة الشرعية بنابلس

الفواز

منهم العرسان مشايخ السردية وهم مع الصقر اصلهم من بادية الشام قبل ان ينزلوا في غور بيسان وقبل ذلك كانوا في بادية مكة المكرمة . ويتفرع منهم الفواز في دمشق ومنهم الملاك - ومنهم ال شما في صفد .

آل عبده بنابلس

اصلهم من شعشاعة بغزة ولهذا سموهم الغزاوي .

اول من اتى منهم الى نابلس : الحاج احمد (وقد سافر لمصر وذريته فيها للآن) وخلف أيضاً عبدالله والحاج عبدالرحمن وعبدده وسلامه أما عبد الله فقد خلف محمد ومسعود واسعد . أما الحاج عبد الرحمن فقد خلف الحاج ابراهيم والحاج سعيد .

أما عبده فقد خلف الحاج رشيد(وذريته في رام الله) والحاج محمد علي فلم يعقب .

أما سلامه فقد خلف حسن و هذا خلف مصطفى و مصطفى خلف شحادة.

أما ذرية محمد واسعد وعبدالله فهم في مصر أما مسعود بن عبد الله من ذريته عبد الرحيم وعبد العزيز .

ولامر ما غلب اسم عبده على العائلة كلها والغالب للتخلص من التسمية بالغزاوي .

آل سالم الي زهرة

ومثل هذا ما حصل مع ال سالم فقد غلب عليهم اسم سالم عُمُهُم والا فهم من آل ابي زهرة .

خرج جدهم مولاي عبد الرحمن من مراكش حالياً لجرم وقع بينه و بين اقاربه وتفرقت ذريته باسم الجاوردي بدمشق ، والقاضي في قلنسوة قضاء طولكرم ، وابي زهرة في نابلس ومصر .

حمائل بيت جبرين

العزة ، الغباريه ، والشوابكة ، والدعامة .

اعيال من صره في نابلس

فضة ، والبعم ، وأبو العصب وباكير والصرراوي .

اعيال من باقة الحطب

سكان طيرة بني صعب ، حمائل قلقيلية (شريم وداود و نزال) .

ملاحظة : اما الحامولة الرابعة فهم بنو زيد فليسوا اقارب هؤلاء ولهم اقارب في الطفيلة يعرفون بال كريشان.

بنو هاني - المرازيق

اصلهم من جهات الكرك - من الامامية خرجوا ونزلوا البارحة وريمون و دمشق

عيال مرواد

مرواد من اقدم تجار نابلس وتفرعت ذريته الى دده ، صيفي ، وعريض و خويره ، وابو عقلين .

ملاحظة : ويقال أنهم جعافرة دون ان يتبين لاي جعفر ينسبون جعفر الطالبلي ، ام العباسي ، ام البرمكي الخ .

اللهجات في نابلس والجبل

ص ١٠ ج ٢ لهجات القرى كما ذكر في ص ١ ج ٢ من هذا الكتاب والمدينة تلفظ الامالة الكبرى وهي احدى لهجات العرب الرئيسية ومن الجهل التهكم عليها وتركها كما هو مشاهد .

ملاحظة : ولم يكن في لهجة آل النمر امانة اذ كانوا يلفظون نظر - اي بدون امالة اذ حافظوا على لهجة وطنهم الأصلي في سوريا الشمالية

الحنه دين الحنه الحنه الحنه دين لابي صالح¹⁹⁵

واحنا شباب ما منصالح

الحنه دين الحنه الحنه الحنة دين للحبلاوي¹⁹⁶

يلبق¹⁹⁷ له لف الاغباني

الحنه دين للقيروني¹⁹⁸ يلبق له شرب الغليون

الحنه دين لليسميني¹⁹⁹ يلبق له حمل السكيني

الحنه دين الحنه الحنه وال دشمان²⁰⁰ يرحل عنا

والافراح بتيجي إلنا

¹⁹⁵ اي عبد القادر اغا النمر

¹⁹⁶ حارة (حي) الحيلة حارة (حي) الحيلة

¹⁹⁷ اي يناسبه

¹⁹⁸ نسبة الحارة (الحي) القريوني

¹⁹⁹ اي نسبة الحارة (حي) الياسمينه

²⁰⁰ اي العدو باللغة التركية

من الشعر النسوي يوم عرابه قالت بنت عبد الهادي لآخرى

قالت شمسة لسلوح يا منحوسة وين انروح

ان دخلنا البوابه دخولها واطلوع الروح

فماتت على البوابه وكان الشيخ يوسف الجرار فوقهن فمنع دخولهن فحولوهن الى جبع وشوفه وغيرهما .

حمائل برقه : حفاء ويتفرعون الى صلاح ودغلس والحاج سيف ويتفرعون الى عيسى وموسى وداود .

كلمة ختامية

قد تم بحمد الله تاريخ جبل نابلس والبلقاء والملحق بالاجزاء الثلاثة الاولى واعتقد ان في هذا القدر كفاية لقصف
اقلام تجار التاريخ وكم افواه السفهاء